

المملكة العربية السعودية
جامعة أم القرى
مكة المكرمة
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
الدراسات العليا التاريخية والحضارية

بسم الله الرحمن الرحيم
لقد قام الطالب بتصحيح ونقد كل ما طلب من
مدرسة المناهج ، وفقه الله
د. محمد بن عبد الله بن
د. محمد بن عبد الله بن

د. محمد بن عبد الله بن
د. محمد بن عبد الله بن

د. محمد بن عبد الله بن

نظم الحكومة الإسلامية في الأندلس

في عهد بني أمية

خلال الفترة

من ١٢٨ - ٢٦٦ هـ / ٧٥٦ - ٩٧٦ م

٢٢٨٤
يوم الخميس
١١/١١/١٤١٥

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة في الحضارة والنظم الإسلامية



إعداد الطالب

محمد أبو محمد إمام

إشراف الأستاذ الدكتور

ضيف الله يحيى الزهراني

١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م



بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

تناولت الرسالة نظم الحكومة الإسلامية في الأندلس في عهد بني أمية خلال الفترة ١٢٨-٣٦٦هـ. وقد اشتملت الرسالة على مقدمة وتمهيد وخمسة فصول وخاتمة .
وقد تتبعنا الدراسة لنظام الأمانة في الأندلس خلال الفترة ١٢٨-٣٦٦هـ ، وأوضحت أنها كانت أمانة تغلب . كما تناولت الدراسة موضوع الخلافة منذ اعلانها سنة ٣١٦هـ حتى سنة ٣٦٦هـ ، وأوضحت أن إعلان الخلافة في الأندلس كان نتيجة لضعف الخلافة العباسية بالشرق ، وإعلان الخلافة من قبل العبيديين بالمغرب . كذلك تعرضت الدراسة لدى التزام الحكم الأموي في الأندلس بالشريعة الإسلامية .

كما أوضح البحث أن حكومة الأمويين بالأندلس ، قد أوجدت جهازاً إدارياً منظماً ، تمثل في المؤسسات الإدارية التي اصطلح على تسميتها بخطط ، وهي تقابل مسمى الدواوين في المشرق ، ومن أهمها : الوزارة والحجابه ، والكتابة ، والبريد ، والشرطة والمدينة ، والمقابلة ، كما تناولت الدراسة الإدارة الإقليمية التي طورها الأمويون في الأندلس ، وأحدثوا فيها الجديد .
كذلك تناولت الرسالة النظام القضائي في الأندلس ، وأوضحت أن خطة القضاء كانت من أهم وأقوى خطط الدولة . وقد اهتم الأمويون بهذه الخطة وملحقاتها اهتماماً كبيراً .
وتناولت الرسالة النظام المالي خلال هذه الفترة ، وأوضحت أن موارد ومصارف بيت المال لم تكن تختلف عن المشرق ، لأن كلاهما مستمد من الشريعة الإسلامية .

كما تناولت الرسالة النظام العسكري خلال فترة البحث . وأبانت الاهتمام البالغ الذي أولاه الأمويون للتنظيمات العسكرية البرية والبحرية .
ومن أهم النتائج التي خلص إليها البحث : أن الأمويين قد تمكنوا بفضل الله من تحويل جزيرة الأندلس ، التي كانت خالية من المظاهر السلطانية عند مجيئهم إليها ، إلى دولة ذات سيادة ، وقوة ، ومنعة ، واستقلال في مؤسساتها الإدارية ، والقضائية ، والمالية ، والعسكرية ، ملتزمة في ذلك بالشريعة الإسلامية .

معه كلية التربية والدراسات الإسلامية

الشرف

الطالب

د . عابد العفواني

محمد أبو محمد امام د . طيف الله يحيى الزهراني

شكر وتقدير

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على نبيه المصطفى
البعوث رحمة للعالمين .

نسال تعالى : : لنن شكرتم لأزيدنكم ، . فالشكر أولاً لله العلى القدير الذى
ولفنى لانجاز هذا البحث ، ثم للقائمين على جامعة أم القرى وعلى رأسهم معالى
مدير الجامعة ، ومعادة / عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، ومعادة / رئيس
للم الدراسات العليا التاريخية والحضارية ، لإنتمائهم لنا فرصة الدراسة فى هذا
البلد الأمين .

كما أتقدم بالشكر والتقدير لمعادة الأستاذ الدكتور / إبراهيم نجيب عوض
الشرف السابق على هذه الرسالة . فقد منحنى الكثير من وقته وعلمه ونصحه ، نسال
الله أن يجزيه عنا خير الجزاء .

وأقدم كذلك بوانر الشكر والعرفان والتقدير لمعادة الأستاذ الدكتور/ طيف
يمنى الزهرانى ، الذى تفضل مشكوراً بقبول الاشراف على بعد سفر مشرفى السابق ،
ونسأل الله أن يجزيه عنى خير الجزاء .

وأقدم بالشكر والتقدير أيضاً إلى جميع أساتذتى الكرام ، بقسمى الحضارة
والنظم الإسلامية ، والتاريخ الإسلامى ، لما لهم من أياد بيضاء .

والشكر موصول لكل الإخوة الزملاء الذين أهدت من مكتباتهم وأرائهم التى
دلت على كثيراً من الصواب .

والله العادى إلى سواء السبيل .

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله الأمين محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد ..

فقد بدأ المسلمون فتح بلاد الأندلس سنة ٩٢هـ / ٧١١م ، وأتموا فتحها سنة ٩٥هـ ، وصارت الأندلس ولاية من ولايات الدولة الإسلامية .

وقد سعى المسلمون بعد فتح بلاد الأندلس إلى بسط نظم وتعاليم الإسلام في شتى مجالات الحياة ، فثلك رسالتهم الأساسية لأن الإسلام نظام شامل للحياة كلها . وقد أنوا بورهم المنوط بهم خير أداء ، وفي فترة قصيرة تحولت وجهة الأندلس النصرانية إلى وجهة إسلامية خالصة ، وانفتحت قلوب أهل الأندلس - الذين كانوا يعانون من الظلم والإضطهاد من قبل القوط - على الإسلام ، وأقبلوا عليه برغبة صادقة . أما الذين لم يدخلوا في الإسلام ، فقد تركهم المسلمون ، ولم يكرهوهم على الدخول فيه .

ولكن أعداء الإسلام المتريصين به من النصارى ، لم يعجبهم هذا التحول السريع الذي جرى لأهل الأندلس ، فاستغلوا فترات الضعف التي اعترت المسلمين في الأندلس ، وعملوا على تجميع قواهم ، وسعوا سعياً حثيثاً لاستردادها منهم ، وقد تم لهم ذلك في عام ٨٩٧هـ / ١٤٩٢م ، حيث سقطت غرناطة آخر معقل إسلامي في الأندلس .

ومعذ أن سقطت الأندلس في أيدي النصارى ، كان المسلمون ، ولا يزالون يذكرونها والاسى أو الالم يمتلكهم لفقدانها ، وكلما ذكر اسم الأندلس ، أثار في النفوس شجوناً وحزيناً إلى الماضي . كيف لا ، وقد كانت دولة الأندلس نمطاً فريداً بين دول الإسلام ، وقامت بدور ريادي في الحضارة الإسلامية ، وأمدت الأمة الإسلامية بكثير من المؤلفات في الفقه والتفسير واللغة والأدب والتاريخ والإجتماع والطب وغير ذلك .

ومن ثم ، رأيت أن تكون دراستي في مرحلة الدكتوراة ، متصلة بتاريخ الأندلس ، ولهذه الدراسة أهميتها التي ترجع إلى أسباب كثيرة منها ما يأتي :

تركز اهتمام الباحثين في العالم العربي والإسلامي ، من المهتمين بدراسة التاريخ الإسلامي والحضارة والنظم الإسلامية ، على المشرق الإسلامي بشكل كبير ، ولم تعط الأندلس تلك العناية الكبيرة التي أعطيت إلى الدراسات التاريخية والحضارية في المشرق ، إلا مؤخراً ، وربما رجع ذلك إلى ضياع كثير من المصادر الأندلسية ، خاصة وأن محاكم التفتيش الأسبانية ، قد أحرقت معظم مصادر التراث الإسلامي الأندلسي ، ولم يفلت منها إلا القليل .

وبعد اكتشاف العديد من المخطوطات الأندلسية ، التي حققت ، وأبرزت إلى حيز الوجود ، نشطت الدراسات الأندلسية ، من قبل الباحثين العرب والمسلمين والمشرقين ، حيث قدمت العديد من الأطروحات في الدراسات الأندلسية (ماجستير - دكتوراة) .

ومن هذه الدراسات :

(ب)

- * الحياة العلمية في الأندلس في عصر الخلافة . رسالة
ماجستير - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة أم
القرى ١٤٠٢هـ ، د. سعد عبد الله البشري .
- * عهد الرحمن الأوسط في الأندلس . ماجستير - كلية
الشريعة - جامعة أم القرى ١٤١٠هـ . فاطمة محمد زاهر .
- * الخليفة الأموي الحكم المستنصر بالله - وفاء عهد
الله المزروع - ماجستير ، جامعة أم القرى ١٤٠٣هـ .
- * بنو عبّاد في أشبيلية ٤١١ - ٤٨٤هـ - دراسة سياسية
وإحصائية - د. يوسف بن أحمد حواله - ماجستير - جامعة أم
القرى ١٤٠١هـ/١٩٨١م .
- * الأندلس في عهد الحكم بن هشام - أسماء عثمان القصبي
- ماجستير - جامعة الملك سعود - الرياض ١٤٠٤هـ .
- * نظم الحكم في الأندلس في عصر الخلافة - هشام سليم
أبو رميلة - رسالة ماجستير - جامعة القاهرة ١٩٧٥م .
- * عهد الرحمن الداخل وسياساته الخارجية والداخلية -
إبراهيم ياسر خضير الدوري - رسالة ماجستير (مطبوعة) جامعة
الازهر .
- * الحياة الاقتصادية في الأندلس الإسلامي خلال القرن
الرابع الهجري - عبد الحميد محمود الشرقاوي - دكتوراه -
الآداب - القاهرة ١٩٥١م .
- * العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في
عصر بني أمية ومفوك الطوائف . د. رجب محمد عبد الحليم -
رسالة دكتوراه (مطبوعة) القاهرة .
- * الملاحة البحرية في الأندلس في القرنين الثالث
والرابع الهجري - عبد الحميد محمود الشرقاوي - ماجستير -
آداب القاهرة ١٩٤٥م .

(ج)

* خطة القضاء في الأندلس في العصر الأموي - نزيه شحاتة
بيروت .

* الخضر الأموي الأندلسي (دراسة في أحواله السياسية)
٩٥ - ٣١٩هـ - خليل إبراهيم السامرائي - ماجستير (مطبوعة)
بغداد ١٩٧٥ م .

* تاريخ التعليم في الأندلس - د. محمد عبد الحميد
عيسى - دكتوراه (مطبوعة) مدريد ١٩٨٠ م .

ورغبة مني في الاسهام في مجال الدراسات الأندلسية
واثراء مكتبتها أثرت أن أتقدم بهذا الجهد عسى أن أضيف
لبنة جديدة الى جهود من سبقوني في هذا المجال ، خاصة وان
مجال النظم الإسلامية في الأندلس لم يجد قدرا كبيرا من
الاهتمام والدراسة .

ولذلك وقع اختياري على موضوع في النظم الإسلامية هو :
"الحكومة الإسلامية في الأندلس في عهد بني أمية في الفترة من
١٣٨ - ٣٦٦هـ الموافق ٧٥٥ - ٩٧٦م" وهي فترة من أخصب فترات
التاريخ الأندلسي ، ليكون موضوع بحثي للدكتوراه . وقد
تكونت في هذه الفترة أكثر نظم ومؤسسات الحكم في الأندلس ان
لم تكن كلها .

وقد تخوفت كثيرا من الخوف في هذا المقام ، وذلك
لندرة المصادر الأندلسية في مجال النظم الإسلامية ولقلة
معلوماتي عن الأندلس وتاريخه ، الا أن تهجيع استاذي المصطفى
جزاه الله خيرا ، وعونه وحظه لى على القراءة في هذا
المجال ، بدد ذلك الخوف وحفزنى على البحث في هذا الموضوع .
ولظرا لعدم توفر كثير من مصادر البحث فقد قمت برحلة
علمية الى كل من أسبانيا وممر ، لاستكمال مصادر البحث ،
فلى أسبانيا قمت بزيارة المعهد المسمى للدراسات الإسلامية

بمدريد ، ومكتبة المعهد الاسباني العربي بمدريد ، والمكتبة الوطنية بمدريد ، وقد وجدت كل عون من القائمين على امر هذه المكتبات .

وفي مصر زرت مكتبات جامعة القاهرة ، ودار الكتب المصرية ، ومكتبة جامعة الأزهر ، وغيرها من المكتبات العامة .

وفي المملكة العربية السعودية قمت بزيارات عديدة لمكتبات جامعة الملك سعود ، والامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض ، وجامعة الملك عبد العزيز بجدة ، وبحمد الله فقد حصلت على معظم المصادر والمراجع التي يخطبها البحث .

خطة البحث :

جاءت خطة البحث مشتملة على مقدمة وتمهيد وخمسة فصول وخاتمة .

اما المقدمة فقد اشتملت على اهمية الموضوع وسبب اختياره .

وجاء التمهيد مشتملا على نبذة عن الفتح الاسلامي للاندلس ثم دخول عبد الرحمن بن معاوية اليها ، وقيام الحكومة الاموية الاندلسية ، ومعنى الحكومة الاسلامية .

جاء الفصل الاول بعنوان : الحكام الامويون في الاندلس الاسلامية ١٢٨ هـ - ٣٦٦ هـ / ٧٥٥ - ٩٧٦ م - مشتملا على ثلاثة مباحث : المبحث الاول بعنوان : الامارة منذ تاسيسها حتى سنة ٣١٦ هـ / ٩٢٨ م ، وقد تحدثت فيه عن تأسيس الامارة الاموية بالاندلس سنة ١٢٨ هـ ، وعلان استقلالها عن الخلافة في المشرق ومن الامراء الامويين الذين تعاقبوا على الامارة في خلال هذه

الفترة ، وعن سياسة الامراء ، وولاية العهد ونظام الحكم والرسوم التي كانت متبعة .

وفي المبحث الثاني تحدثت عن الخلافة منذ اعلانها سنة ٣١٦هـ / ٩٢٨م حتى نهاية خلافة الحكم المستنصر ٣٦٦هـ / ٩٧٦م ، وتناولت في هذا المبحث اعلان الامير عبد الرحمن بن محمد الخلافة سنة ٣١٦هـ ، وتسميه بالناصر لدين الله ، وتناولت ايضا اخلاعه للفحن الداخلية والظروف التي دفعته الى اعلان الخلافة ، ورد فعل العالم الاسلامي ازاء اعلانه الخلافة . كما تحدثت عن الرسوم والنظم والملاقات الدبلوماسية في عصر الخلافة حتى نهاية عهد الخليفة الحكم المستنصر .

وفي المبحث الثالث تحدثت عن مدى التزام الحكم الاموي في الاندلس بالقوانين الاسلامية .

اما الفصل الثاني وعنوانه : النظام الاداري للدولة الاموية في الاندلس ١٣٨ - ٣٦٦هـ / ٧٥٥ - ٩٧٦م ، فقد جاء مشتملا على ثلاثة مباحث :

المبحث الاول من الوزارة والحجابه : تحدثت فيه عن نشأة الوزارة في الاندلس وتطورها ، كما تحدثت عن مفهوم الحجابه في الاندلس ، واختلاف مدلولها هناك عن مدلولها في المشرق ، ومدى التداخل بين خطى الوزارة والحجابه .

وفي المبحث الثاني تحدثت عن الدواوين والخطط ، ونظرا لعدم وجود الدواوين بالاندلس وفق ماكان معمولاً به في المشرق فقد انصب الحديث على الخطط حيث تحدثت أولا عن خطة الكتابة ثم خطة البريد والشرطة والسديلة والمقابلة ، كما تحدثت في هذا المبحث ايضا عن نظام التعليم ، ووظيفة القمامسة ، ودرجت بقية الخطط للحديث عنها في سباحتها الخاصة بها .

(و)

وتحدثت عن الإدارة الإقليمية ، وتنظيماتها في المبحث الثالث ، وذكرت تقسيمات الأندلس الإدارية ، وماضافه الأمويون من أقسام إدارية جديدة وعن إدارة الأمويين للأقاليم .

أما الفصل الثالث فعنوانه : النظام القضائي في الأندلس ، وقد اشتمل هذا الفصل على ثلاثة مباحث : المبحث الأول من خطا القضاء في الأندلس خلال فترة البحث عرفت فيه لمسمى قاضي الجماعة ، ومضى ظهر هذا المسمى بالأندلس ، وماحدود صلاحيات قاضي الجماعة ، وماالفرق بينه وبين قاضي القضاة . كما تحدثت في هذا المبحث عن القضاة في هذا العصر ، ومن اختياراتهم واختصاصاتهم ومدى احترام أمراء وخلفاء بني أمية لقضاةهم . وذكرت نماذج لبعض القضاة ، كما تحدثت عن التنظيمات القضائية ، وقضاة الكور والأقاليم ، وقضاة أهل الذمة وازراق القضاة ، وأثر الفقه المالكي في القضاء .

أما المبحث الثاني فقد كان عن خطتي الرد والمظالم في الأندلس ، حيث تحدثت في هذا المبحث عن نشأة خطة الرد في الأندلس ، وأوضح أن هذه الخطة خاصة بالأندلس ، إذ لم يعرف النظام القضائي في المشرق هذه الخطة ، كما تحدثت عن خطة المظالم ومضى نشأت بالأندلس وماهي مقام صاحبها .

وتحدثت في المبحث الثالث عن خطة الحسبة في الأندلس ، حيث تناولت فيه مفهوم الحسبة في الأندلس ، كما تحدثت عن خصائص الحسبة في الأندلس ، ودور المحاسب في الحياة الاجتماعية والاقتصادية .

أما الفصل الرابع فقد جاء بعنوان : النظام المالي في الأندلس ، واشتمل على مبحثين :

(ز)

المبحث الأول : موارد بيت المال في الأندلس . وهي الجزية ، والخراج ، والقرى ، والغنيمات ، والاعشار ، والمدقات ، ودخل دار السكة ، وميراث من لا وارث له ، والرسوم على بيع الأسواق ، وبعض الضرائب الأخرى التي ترى الدولة فرضها عند الضرورة .

كما تحدث في هذا المبحث عن الإدارة المالية المركزية والإقليمية ، وعن مقادير الجباية السنوية .

والمبحث الثاني : من معارف بيت المال في الأندلس ، وتناولت فيه أوجه نفقات الدولة محل النفقات على الجوانب العسكرية ، والخدمات المدنية كبناء المساجد والمدن ، وفق القنوات وبناء الجسور ، وإرزاق عمال الدولة وغيرها من نفقات .

أما الفصل الخامس ، فعنوانه : النظام العسكري في الأندلس ١٢٨ - ٣٦٦هـ . وقد اشتمل هذا الفصل على مبحثين . المبحث الأول عن الجيش وتنظيماته في الأندلس حيث تحدثت فيه عن الجيش الأندلسي أنواعه وتنظيماته ، وأهم الخطط العسكرية الأندلسية .

وتحدثت في المبحث الثاني عن البحرية الإسلامية في الأندلس : نشأتها ، أثر غزوات النورمانيين على البحرية الأندلسية - قيادة الأسطول وجنوده - أسلحة القتال البحرية - الرقابة والثغور البحرية - أهم مراكز صناعة قطع الأسطول الأندلسي - أهم أنواع السفن الأندلسية .

ثم جاءت الخامسة مشتملة على أهم الفخاخ التي علم اليها البحث .

أهم مصادر البحث :

اعتمد البحث على مجموعة من المصادر والمراجع من

أهمها :

(١) ابن حيان القرطبي ، أبو مروان حيان بن خلف بن حسين
ابن حيان بن محمد بن حيان بن وهب بن حيان مؤلف الأمير
عبد الرحمن بن معاوية (المتوفى ٤٦٩هـ).

المقتبس من الجاء أهل الاندلس .

ويمد ابن حيان من أشهر مؤرخي الاندلس كما أجمع
الكثيرون على ذلك (١). ويتكون المقتبس من عشرة أسفار فقد
معهها ، كما فقد الكثير من مؤلفاته مثل المتيين وأخبار
الدولة المأمورية والبطشة الكبرى .

ولابن حيان اهتمام كبير بنظم الدولة وإدارتها إلى
جانب الأحداث السياسية . وقد أفدت منه إفادة كبيرة في جميع
مراحل البحث .

ويوجد بين أيدينا الآن خمس قطع من المقتبس :

* قطعة تتعلق بجزء من عمر عبد الرحمن الأوسط من سنة
٢٣٢ - ٢٣٨هـ . تحقيق د. محمود علي مكي . نشرت بالقاهرة
١٢٩٠هـ/١٩٧١م .

* قطعة تتعلق بعمر الأمير عبد الرحمن الأوسط ٢٣٢-٢٣٨هـ
إضافة إلى جزء كبير من إمارة الأمير محمد بن عبد الرحمن
منذ توليه حتى سنة ٢٦٣هـ . نشرت ببيروت ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م .

(١) انظر مقدمة المقتبس ، تحقيق د. محمود علي مكي ، طبعة
بيروت ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م ، ص ٧ . وانظر أنخل جنشانت
بالنخبة ، تاريخ الفكر الاندلسي ، نقله عن الإسبانية
د. حسين مؤنس ، القاهرة ١٩٥٥م ، ص ٢٠٩ .

وحقيقة فان تحقيق د. محمود على مكي لعائين القطمطين
كان تحقيقا رائعا . وقد اقدت من تعليقاته وحواشيه ايما
افادة .

* قطعة تتعلق بعصر الامير مريد الله . وقد نشرها
السرايبي الاسباني منشور الطونسية في باريس سنة ١٩٢٧م . وارى
انه بحاجة الى تحقيق .

* قطعة تتعلق بعمر عبد الرحمن الناصر . وتتناول
ثلاثين سنة من عمره من سنة ٣١١هـ الى ٣٣٠هـ . وقد اعتنى
بنشره بدرو هالمينا وآخرون . المعهد الاسباني العربي
للثقافة وكلية الاداب بالرباط - مدريد ١٩٧٩م .

وقد اشتمل هذا الجزء على معلومات قيمة تتعلق بحروب
عبد الرحمن الناصر الداخلية والخارجية ، واعلانه الخلافة ،
ومعلومات من الاسطول الاندلسي في عصر الناصر ، وخطا المظالم
والوزراء ، وغير ذلك من النظم الادارية .

* قطعة تتعلق بعمر سنوات من عصر الحكم المستنصر .
تحقيق د. عبد الرحمن على الحمى .

وقد احتوت هذه القطعة على كثير من التنظيمات الادارية
والعسكرية ونظم الاحتفالات في الاعياد واستقبال السفراء .
وقد بذل د. عبد الرحمن على الحمى جهدا كبيرا في تحقيق هذا
الجزء ، وعلق عليه تعليقات ضافية افادتني كثيرا في بحثي .
(٢) ابن الابار : ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن ابي

مكر القهامي (٥٩٥ - ٦٥٨هـ)

الحلة السيرة (جزءان) .

حققه وعلق حواشيه د. حسين مؤنس - الشركة الحربية

للطباعة والنشر ١٩٦٢م .

والحلة السيرة معناه الثوب المخطط . والكتاب عبارة
عن تراجم لبعض الشخصيات الاندلسية والمغربية . وقد اثنى
تحقيق د . حسين مؤنس لهذا الكتاب قيمة علمية كبيرة . وقد
احدث كثيرا من الكتاب وحوافيه .

(٣) ابن عذارى المراكشي : أبو العباس أحمد بن محمد بن
مذارى (ت ٦٩٥هـ)

البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب .
تحقيق ومراجعة ج.س. كولان وليلى بروفنسفال - دار
الثقافة - بيروت - لبنان . ويشتمل الكتاب على اربعة
اجزاء .

والجزء الذي يهمنا من هذه الاجزاء الاربعة هو الجزء
الثاني الخاص بتاريخ الاندلس من الفتح حتى نهاية القرن
الرابع الهجري . وقد حفظ لنا ابن عذارى معلومات قيمة
نقلها من ابن حيان وغيره من المؤرخين وان كان لا يصرح في
كثير من الامكان بمصادره التي نقل منها .

(٤) المقرئ : أحمد بن محمد بن أحمد القرشي الطلمساني
(ت ١٠٤١هـ)

فتح الطيب من ضمن الاندلس الرطيب .
حقيقه د . احسان عباس - دار صادر - بيروت - لبنان -
١٢٨٨هـ / ١٩٦٨م .

والمقرئ نسبة الى مقرة بفتح الميم وتشديد القاف
المفتوحة .

والكتاب عبارة عن موسوعة ادبية تاريخية سياسية
اجتماعية . وهو من المصادر المتأخرة نسبيا الا ان قيمته
تكمن في انه نقل بين دفتيه معلومات ذات فائدة واهمية

كبيرة من مصادر معظمها مفقودة الآن كالرارى وابن سعيد
والجبارى والشافعى وغيرهم .

(٥) ابن سعيد : أبو الحسن على بن موسى (ت ٦٨٥هـ) .

المغرب فى حلى المغرب (جزءان) .

تحقيق د. شوقي ليف - نشر دار المعارف - مصر -
القاهرة ١٩٦٤م .

والف هذا الكتاب ستة من افراد أسرة بنى سعيد خوارشوب
على مدى مائة وخمس عشرة سنة آخرهم على بن موسى بن سعيد .
وقد أفدت من هذا الكتاب وبمودة خاصة الجزء الاول
الفادة كبيرة . كما أن من أهم محتوياته انه حفظ لنا بين
دفتيه كتاب أبو عبد الملك أحمد بن عبد البر فى القضاء
كاملا .

(٦) مجهول المؤلف : أخبار مجموعة فى فتح الأندلس وذكر
امرائها .

حققه وقدم له ووضع فهرسه إبراهيم الأبيارى .
الناشرون دار الكتب الإسلامية - القاهرة - بيروت - الطبعة
الاولى ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

ويبدو انه من المؤلفات المعاصرة للدولة الأموية .
وأشار محقق الكتاب الى ان الكتاب احتوى على أخطاء نحوية
ولغوية كثيرة بعضها فى موضعها . ويرى البعض ان هذا الكتاب
عبارة عن "مجموعة مذكرات وقرارات تاريخية سجلها صاحبها
حينما قضى دون أن يقصد الى ربط العوادم ربطا منهجيا او
يرتبها حسب السفين" (١) .

وقد أفدت من هذا الكتاب فى كثير من مواقع البحث .

(١) أنخل جنخالت بالنخيا ، تاريخ الفكر الأندلسى ، ص ١٩٩ .

(٧) ابن القوطية : أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن
ابراهيم بن عيسى بن مزاحم (ت ٣٩٧هـ)

ونسب أبو بكر محمد بن عمر إلى سارة بنت المند بن
غيطشة آخر ملوك القوط ، وكان قد تزوجها عيسى بن مزاحم من
موالي عمر بن عبد العزيز .

تاريخ افتتاح الأندلس - حققه وقدم له ووقع فهارسه
ابراهيم الأبياري - الناشر دار الكتب الإسلامية ١٤١٢هـ /
١٩٩٢م .

ويبدأ الكتاب بفتح الأندلس ، ويفتحى بولاية الأمير عبد
الله بن محمد . وهو من الكتاب المعاصرين للدولة الأموية في
الأندلس ، وكان شاهدا على كثير من الأحداث التي جرت خلال هذه
الفترة . وهنا تكمن أهمية المعلومات التي أوردها ابن
القوطية .

(٨) ابن سهل الأندلسي : أبو الأصبع عيسى بن سهل الأسدي
الأندلسي (ت ٤٨٦هـ)

(الأحكام الكبرى) مخطوط بمركز البحث العلمي - جامعة
أم القرى مكة المكرمة تحت رقم (٢٠٠) فقد .
وقد افدت المادة كبيرة من هذا المخطوط وخاصة فيما
يتعلق بخطة الرد - الحصة - قضاء أهل الذمة .

(٩) المذري : أحمد بن عمر بن أنس المذري المعروف بابن
الدلائل (ت ٤٧٨هـ)

كتاب ترميع الأخبار ، وتنويع الآثار والجستان في غرائب
البلدان والممالك إلى جميع الممالك .
تحقيق د. عبد العزيز الأهواني - مطبوعات معهد
الدراسات الإسلامية - مدريد ١٩٦٥م .

وهذا الكتاب من الكتب التي جمعت بين التاريخ والجغرافيا . وقدم لنا العذري معلومات قيمة عن الأندلس وكورها والأسرات التي كانت تحكمها ، غير أني أفت منه بعضا خاصة في الجانب المالي لأن المعلومات التي ذكرها تعتبر نادرة .

(١٠) الخفلى القروي : أبو عبد الله محمد بن العارث بن اسد (ت ٣٦١هـ)

فصاة قرطبة . حققه وقدم له ووضع له عارسة ابراهيم الأبياري - الناشر : دار الكتب الإسلامية - القاهرة وبيروت .

وهذا أهم مصدر اعتمدت عليه فيما يتعلق بخطة القضاء في الأندلس خلال فترة البحث . وترجع أهميته لدقة المعلومات التي احتواها الكتاب ، وكان المؤلف نفسه فقيها من جملة الفقهاء ، ومعامرا لكثير من المعلومات التي أوردها . وكانت وفاته في خلافة الحكم المستنصر .

(١١) النباهي : أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن المالقي الأندلسي (توفي في القرن الثامن الهجري) .

تاريخ فصاة الأندلس وسماه كتاب المراقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا - منشورات دار الافاق الجديدة - بيروت - تحقيق لجنة احياء التراث العربي - الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م .

وهذا الكتاب من المصادر القلمائية المهمة في الأندلس . وكان المؤلف من الذين مارسوا مهنة القضاء ، ولذلك تميز معلوماته بالدقة .

(١٢) ابن الأثير الجزري : محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الملقب بعز الدين (ت ٦٣٠هـ)

(ن)

الكامل في التاريخ - دار صادر للطباعة - بيروت -
لبنان .

وابن الاثير من المؤرخين المشارقة القلائل الذين
اهتموا بتدوين تاريخ الاندلس .

وقد احدث ايضا من كتب التراجم الاندلسية ومنها :
* ابن الخرفى : ابو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف
الازدي (ت ٤١٣هـ) . تاريخ علماء الاندلس (جزءان) حققه وقدم
له ووقع فهارسه ابراهيم الابياري . الناشر : دار الكتب
الاسلامية ، الطبعة الاولى ١٤١٣هـ/١٩٨٣م .

* الضبي : احمد بن يحيى بن احمد بن عميرة (ت ٥٩٩هـ)
بداية الملخص . الناشر : دار الكتاب العربي ١٩٦٧م .
* الحميدي : ابو عبد الله محمد بن ابي نصر (ت ٤٨٨هـ)
جذوة المختص في ذكر ولاة الاندلس ، الدار المصرية للحايف
والترجمة ١٩٦٦م .

وقد مولت على كتب التراجم كثيرا عند حديثي من العلماء
وتنظيماته ، وكذلك عند الحديث عن نظام التعليم .

ومن المصادر الجغرافية التي اعتمدت عليها في البحث :
* الحميمي : محمد بن عبد المظعم الحميري (توفي في
اواخر القرن الثامن الهجري) . الروض الممطر في خبر
الانطار . تحقيق د. احسان عباس - مكتبة لبنان - الطبعة
الثانية ١٩٨٤م .

* الادريسي : ابو عبد الله محمد الشريف المصنعي
(ت ٤٤٨هـ) . ملة المغرب وارض السودان ومصر والاندلس .
مأخوذة من كتاب "لزها المشقاق في اختراق الافاق" ، طبع في
مدينة لندن بمطبعة بريل ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م .

* ابن حوقل : أبو القاسم بن حوقل البصري (ت ٣٨٠هـ) -
 مورة الارض - منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت - لبنان .

* ابن غالب الأندلسي : محمد بن أيوب بن غالب الأندلسي
 (عاش في القرن السادس الهجري) . قطعا من كتاب فرحة الألف
 من كور الأندلس ومدنها بعد الأربعمائة . نشر وتحقيق د . لطفى
 مبدد البديع - مجلة معهد المخطوطات العربية ، جامعة الدول
 العربية ، مصر ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م .

وقد أفدت من هذه المصادر الجغرافية فائدة كبيرة
 وخاصة منذ حديثي من النظام المالي في الأندلس ، وكذلك منذ
 حديثي من الإدارة الإقليمية .

هذه هي أهم المصادر التي اعتمدت عليها في البحث ،
 وهناك الكثير من المصادر الأخرى التي اعتمدت عليها البحث
 بالإضافة إلى المراجع الحديثة والدوريات .

هذا وقد بذلت جهدي ما أمكنني البذل ، وتحريرت المصواب
 قدر استطاعتي ، إلا أن كل عمل بشري معرض للخطأ ، فالكمال
 لله وحده ، وما أبرئ نفسي من خطأ أو زلل أو قصير .

أسأل الله العلي القدير أن يكون قد وفقني في تناول
 الموضوع ، فإن أميت الله العبد والمنك ، وإن أخطأت فمن
 نفسي ، وأسأل الله المغفرة والعناية إلى المصواب .

وأخبركم وأنا أن الحمد لله رب العالمين .

التمهيد

ويشتمل على :

- (أ) نبذة عن الفتح الإسلامي لأندلس .
- (ب) دخول عبدالرحمن بن معاوية إلى الأندلس .
- (جـ) معنى الحكومة الإسلامية .

(١) الفتح الاسلامي للأندلس :-

(١) كان موسى بن نصير واليا على بلاد المغرب ، في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك ، وقد تواترت الفتوح على الخليفة الوليد من بلاد المغرب من قبل موسى ، وذلك في سنة ٧٠٥/٨٨٦ م ، فعظمت منزلته موسى لديه .

وبعد أن أتم موسى بن نصير فتح بلاد المغرب ، فكر في فتح بلاد الأندلس ، فكتب إلى الخليفة الوليد يستأذنه في ذلك ، فأشار عليه الوليد بأن يختبرها بالسرايا ، ولا يفرز بالمسلمين في بحر شديد الأهوال (٤) فراجعته موسى وقال له : " إنه ليس بحر ، وإنما هو خليج يمتد بين الشاطئ ماوراءه ، فكتب إليه : وإن كان فلا بد من اختباره بالسرايا (٥)

- (١) هو موسى بن نصير أبو عبد الرحمن ، صاحب فتح الأندلس ولد في سنة ١٩ هـ في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه - يقال أنه مولى لخم ويقال أيضا أنه لخم مريح وهو من التابعين ، روى عن تميم الداري سنة ٧١٥/٨٩٧ م في خلافة سليمان بن عبد الملك انظر ابن الفرط ، أبو الوليد عبد الله محمد بن يونس الأزدي ، ت ٤٠٣/١٠١٣ م ، تاريخ علماء الأندلس ، نشر دار الكتب الإسلامية ، القاهرة - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٣/١٩٨٢ م ، ج ٢ ، ص ٨٤٨ ، ترجمة رقم ١٤٥٤ ، الضبي ، أحمد ابن يحيى بن عميرة ، ت ١٢٠٢/٨٥٩٩ م ، بغية الملتصق في تاريخ رجال الأندلس ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ١٩٦٧ م ، ص ٤٥٧ ، ترجمة رقم ١٣٢٤ ، المقرئ ، شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني ، المتوفى ١٠٤١/١٦٣٢ م ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق د. احسان عباس ، دار صادر ، بيروت - ١٩٦٨/١٩٦٨ م ، ج ١ ، ص ٢٨٢ وما بعدها .
- (٢) هو الوليد بن عبد الملك بن مروان بالحكم ، ولد سنة ٦٧٠/٨٥٠ م - بالمدينة يربح له بالخلافة بعد أبيه بعهد منه في شوال سنة ٨٨٦ هـ وهو ابن ست وثلاثين سنة ، توفي سنة ٧١٤/٨٩٦ م ، د. ملاح الدين المسجد معجم بني أمية ، مستخرج من تاريخ دمشق - دار الكتاب الجديد بسبب بيروت - ١٩٧٠ م ، ص ١٨٩ ، ١٩١٠ .
- (٣) ابن عبد الحكم ، عبد الرحمن بن عبد الله ، فتوح أفريقية والأندلس تحقيق عبد الله أنيس الطباع ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ١٩٨٧ م ، ص ٦٩ - ٧٠ .
- (٤) مجهول المؤلف ، أخبار مجموعة في فتح الأندلس ، تحقيق ابراهيم الأبياري ، الناشر : دار الكتاب المصري - القاهرة ، دار الكتاب الليبي - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠١/١٩٨١ م ، ص ١٦ ، ابن عساذري أبو العباس أحمد بن عذاري ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب تحقيق ج. م. كولان وليفي بروكس ، دار الثقافة - بيروت - لبنان ج ٢ ، ص ٥ ، ابن الكردبوس : أبو مروان عبد الملك ، نشر وتحقيق د. أحمد مختار العبادي ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدرية - المجلد الثالث عشر ، ١٩٦٥ - ١٩٦٦ م ، ص ٤٥ ، محمد بن عبد المعصم الحصري ، صلة جزيرة الأندلس - منتخبة من كتاب الروض المعطار ، نشر وتعليق ليفي بروكس ، ص ٨ .
- (٥) الحصري ، صفة جزيرة الأندلس ، ص ٨ .

وتنفيذاً لتعليمات الخليفة الوليد بن عبد الملك ،
استدعى موسى بن نصير أحد رجاله ، ويدعى طريف ، ويكنى أبا
زمره وأمره بالعبور إلى الأندلس ومعه مائة فارس ،
وأربعمائة راجل ، فعبر طريف ورجاله البحر في أربعة مراكب
ونزلوا الساحل الأندلسي فيما يحاذي طلجة في المكان الذي
عرف بجزيرة طريف فيما بعد ، وأغار منها على ما يليها إلى
جهة الجزيرة الخضراء ، وأسباب سببها ومالا كثيرا ، ورجع
بألما ، وكان ذلك في رمضان من سنة ٧٠٩هـ / ٧٠٩م .^(٢)

حملة طارق بن زياد سنة ٧١١هـ / ٧١١م :

بعد أن تأكد لموسى بن نصير قدرة المسلمين على فتح
الأندلس ، دعا موله طارق بن زياد ، وعقد له على اثني عشر

- (١) هي مدينة صغيرة عليها سور خراب ، وبشقها نهر صغير ،
بينها وبين الجزيرة الخضراء ثمانية عشرة ميلا .
الحميري ، الروض الممطار ، ص ٣٩٢ .
- (٢) الجزيرة الخضراء ويقال لها جزيرة أم حكيم ، وهي
جارية طارق بن زياد كان حملها معه فدخلها بهذه
الجزيرة ، وهي اقرب مدن الساحل الأندلسي مجازا إلى
المدونة ويحاذيه مرسى مدينة سبتة .
الحميري ، الروض الممطار ، ص ٢٢٢ .
- (٣) مجهول ، أخبار مجموعة في فتح الأندلس ، ص ١٦-١٧ ، ابن
عذارى ، البيان المغرب ، ٥/٢ .
وهناك روايات كثيرة في شأن فتح بلاد الأندلس . وكثير
من هذه الروايات مصحوبة بشيء من الخيال أو الخرافة .
وتركز بعض هذه الروايات كثيرا على قصة يلبان الوالي
القمرائي الذي لم يكن على وفاق مع صاحب الأندلس مما
حملة يفتح المسلمين ويرغبهم في فتح بلاد الأندلس .
انظر : مجهول ، أخبار مجموعة ، ص ١٥-١٦ ، ابن عبد
الحكم ، فتوح إفريقية والأندلس ، ص ٧١-٧٣ ، ابن عذارى
البيان المغرب ٤/٢-٥ ، المقرئ ، فتح الطيب ، ١/٢٢١ ،
٢٢٢-٢٢٣ .
ولكن الحقيقة أن امتداد الفتح إلى الأندلس ، كان أمرا
طبيعيا يتمشى مع حقيقة الدعوة الإسلامية ، وطبيعة
الغاشمين بها ، وقد تم ذلك بعد أن تهيأت له الظروف
الملائمة وحان وقته .
انظر : د. محمد محمد زيتون ، الفتح الإسلامي للأندلس
(دراسة وتحليل) ، مجلة كلية العلوم الاجتماعية -
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، ١٤٠٠هـ /
١٩٨٠م ، العدد الرابع ، ص ٣٠٨ .

الفا بين عربي وبربر ، والنهم اليه خلق كثير من المتطوعين وعلى طارق الى سبقة ، وعبر البحر في مراكبه الى ان وصل الى جبل بالمساحل الاندلسي ، فارسي فيه في سنة ٩٢٢هـ / ٧١٠م واطلق عليه اسمه حتى يومنا هذا . "وكان طارق عسكريا ممتازا ، مخلصا للإسلام ، متحمسا لنشره" .^(١)

وذكر صاحب الاخبار المجموعة في فتح الاندلس : ان طارق ابن زياد سار في سبعة آلاف من المسلمين جلهم من الموالي والبربر ليس فيهم الا قليل من العرب ، واجتازوا البحر في اربعة سفن لم يكن لهم سواها ، واختلفت السفن بالخيال والرجال الى ان اكتمل عددهم في الساحل الاندلسي .^(٢)

ووجد طارق مقاومة من قبل القوط الذين تجمعوا في المواقع الذي اراد النزول فيه ، فمنعوه من النزول ، مما اضطره ان يتحول الى موقع آخر نزله ليلا ، ومن ثم استطاع ان يقبض على قلوب القوط الذين تجمعوا لقتاله وصدده عن النزول ، وكان ملك الاندلس عند نزول طارق ببليده ، يغزوا عدوا له وقد استخلف احد رجاله ويدعى "خدمير" الذي كذب اليه قائلا : "انه نزل باربعينا قوم لاندري امن السماء نزلوا ام من الارض خرجوا" .^(٣)

ولما عاد صاحب الاندلس من غزاته وجد ان طارق بن زياد قد افتتح الجزيرة الخضراء ، فاعد جيشا قوامه مائة الف

-
- (١) ابن الكردبوس ، تاريخ الاندلس ، ص ٤٦ .
 (٢) د. عبد الرحمن علي الحجي ، التاريخ الاندلسي من الفتح الاسلامي حتى سقوط غرناطة ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، ص ٤٧ .
 (٣) مجهول ، اخبار مجموعة ، ص ١٧ .
 (٤) عبد الملك بن حبيب ، تاريخ ابن حبيب ، مجلة المعهد المصري للدراسات الاسلامية - مدريد - لقره د. محمود علي مكي ، المجلد الخامس ١٣٧٥هـ / ١٩٥٧م ، ص ٢٢٢ ، على ابن عبد الرحمن بن هذيل الاندلسي ، تحفة الالفن وشعار سكان الاندلس ، مخطوط ، ص ٧٠ .
 (٥) ابن هذيل الاندلسي ، تحفة الالفن ، ص ٧٠ .

مقاتل لمقابلة طارق الذي كتب الى موسى يعلمه بفتح الجزيرة الخضراء وان ملك الاندلس قد اقبل عليه في جيش لاطاقة له به (١) ويطلب منه المدد .

وكان موسى منذ ان بعث طارقا الى الاندلس قد جد في صنع السفن حتى سارت عنده سفن كثيرة ، فبعث فيها خمسة آلاف جندي آخرين مددا لطارق ، فتوافى المسلمون بالاندلس مدد طارق (٢) اثنا عشر الفا ، وقد اصابوا سببا كثيرا ومالا .

ومضى المسلمون بقيادة طارق بن زياد - على الرغم من قتلهم - في قتال القوط ، يدفعهم ايمانهم بالله عز وجل وقوة عقيدتهم ، وحبهم لنشر الاسلام ، حتى تم لهم النصر المبين على جيوش القوط في معركة وادي لكة بحدونة (٣) ذلك في الخامس من شوال سنة ٩٢هـ / ٧١٠م ، ثم مضوا مستنصرين لكثير من نواحي الاندلس . (٤)

ثم جاء موسى بن نصير الى الاندلس في رجب سنة ٩٣هـ / ٧١١م ، بوجهه العرب وعرفاء الموالي والبربر لاستكمال فتح بلاد الاندلس مع طارق بن زياد ، الى ان تم له ذلك في سنة

-
- (١) مجهول ، اخبار مجموعة ، ص ١٧ .
 (٢) مجهول ، اخبار مجموعة ، ص ١٧ ، المقرئ ، فتح الطبيب ، ٢١٧/١ .
 (٣) كورة حدونة من كور الاندلس ، وهي كورة جليقة القدر ، جامعة لخيرات البحر والبحر ، كريمة البقعة وهي من الكور المجدة التي نزلها جند فلسطين من العرب وصل حدونة خمسون ميلا في مثلها .
 الحميري ، الروض المصطار ، ص ٢٢٩ .
 (٤) انظر ابن الطوطية : ابو بكر محمد بن عمر (ت ٢٢٧هـ) ، تاريخ افتتاح الاندلس ، تحقيق ابراهيم الابياري ، الناشر : دار الكتاب المصري ، القاهرة - بيروت ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ، ص ٢٢-٢٤ ، ابن عذارى ، البيان المغرب ٧/٢ وما بعدها ، الجبى ، بنية الملخص ، ص ٨ ، المقرئ ، فتح الطبيب ، ٢٦٠-٢٥٨/١ ، مجهول ، رواية جديدة عن فتح المسلمين للاندلس ، تحقيق د. حسين مؤنس ، مجلة المعهد المصري للدراسات الاسلامية - مدريد - ١٩٧٤-١٩٧٥م ، ص ١٠٤-١٠٢ .

(١) ٩٥هـ / ٧١٢م . وكتب موسى بن نصير الى الوليد بن عبد الملك
 بعد اتمامه فتح بلاد الاندلس قائلا : " انما ليست الفتوح
 ولكنه الحشر" (٢)
 وبنهاية القرن الاول الهجري حارت الاندلس ولاية من
 ولايات الدولة الاسلامية .

(١) انظر ابن عبد الحكم : فتوح البريقية والاندلس ،
 ص ٧٦-٧٨ ، ابن عداري ، البيان المغرب ، ١٢/٢-١٣ .
 (٢) ابن عبد الحكم ، فتوح البريقية والاندلس ، ص ٧٨ .

(ب) دخول عبد الرحمن بن معاوية الى الاندلس :

كان ولاية الاندلس يعينون من قبل الخلافة ، او من قبل والى القيروان ، او مصر ، فلما اضطرب امر بني أمية في سنة ١٢٦هـ / ٧٤٣م بقتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، وانشغلوا عن مراعاة اقاليم البلاد وقع الاضطراب بافريقية ، والاختلاف بالاندلس ايضا بين القبائل ، ثم اتفقوا بالاندلس على تقديم قرطبي يجمع الكلمة الى ان تستقر الامور بالشام لمن يخطب ، فقدموا يوسف بن عبد الرحمن الفهري ، اميرا عليهم فسكنت به الاوضاع ، واتفقوا عليه .^(١)

ولما زالت دولة بني أمية بالشرق بتغلب العباسيين عليهم ، وقتل مروان بن محمد آخر خلفائهم سنة ١٣٢هـ / ٧٤٩م ، تنبذ العباسيون الامويين ، وكان ممن اقلت من قبله العباسيين عبد الرحمن بن معاوية بن هشام ، الذي تمكن من^(٢)

(١) الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم امير المؤمنين ، ولد سنة تسعين ، وبويع له سنة خمس ومشرين ومائة ، وهو مخيم بالمرافقة وقتل بالبكرات على اميال من حدمو في الشام والمصريين من جمادى الآخرة سنة ١٢٦هـ وله اربعون سنة وقيل احدى واربعون . محمد بن شاكر الكتبي ، فوات الوفيات ، تحقيق د. احسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ٢٥٦/٤ .

(٢) هو يوسف بن عبد الرحمن بن هبيب بن ابي عبيدة بن عقبة ابن نافع الفهري ، وجده عقبة بن نافع صاحب افريقية وباني القيروان . ولد بالقيروان ودخل ابوه الاندلس من افريقية مع هبيب بن ابي عبيدة الفهري عند الاحتجاج الاندلسي ثم عاد الى افريقية . كان عمره حين ولي الاندلس سبعا وخمسين سنة . قدمه اهل الاندلس في ربيع الآخر سنة ١٢٩هـ ، ومكث عليهم واليا سبع سنين وتسعة أشهر .

المقري ، فتح الطيب ، ٢٥/٣ . الحميدى ، ابو عبد الله محمد بن ابي نصر الاردي (١٨٨٥هـ) ، جذوة المقتبين في ذكر ولاية الاندلس ، الدار المصرية للكتاب والترجمة ١٩٦٦م ، ص ٨ ، الهبيسي ، بغية الملتمس ، ص ١١-١٢ .

(٤) هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ، يكنى : ابا المطرف ، مولده بالشام سنة ١١٣هـ امه بربرية من سبي المغرب تسمى راحا . مات ابوه وتركه صغير السن . هرب لما ظهرت دولة بني العباس ولم يزل مستترا حتى دخل الاندلس في سنة ١٢٨هـ . كانت وفاته سنة ١٧٢هـ .

العربي حتى وصل الى المغرب ، ومزل عند أخواله البربر من
(١)
فترة .

مكث عبد الرحمن بن معاوية بين أخواله البربر فترة من
الوقت ، ومن ثم بدأ يعد العدة لدخول الأندلس ، التي كانت
تحت سيطرة يوسف بن عبد الرحمن الفهري ، والصميل بن هاتم .
(٢)
أعد عبد الرحمن بن معاوية مولاة بدرًا وجهزة للعبور
الى الأندلس ، وأمره بأن يعرض أمر دخوله الى الأندلس على
موالي الأمويين هناك ، وكان عدتهم مابين الأربعمائة
والخمسمائة ، وكانت رياستهم الى شخصين هما أبا عثمان عبيد
الله بن عثمان ، وعبد الله بن خالد ، فدخل بدر الأندلس ،
وقام بإجراء اتصالات واسعة مع موالي الأمويين ، وعرض عليهم
أمر ابن معاوية فوافقوا على دخوله الى الأندلس .
(٣)

ولم يكن يوسف الفهري على علم بتحركات موالي الأمويين
في الأندلس ، وكان مشغولا بأممال حربية في الشمال ،
وبمعالجة بعض الأحداث . وكانت الأندلس - في هذا الوقت - غير
هادئة الاوضاع ومخجمة لعبد الرحمن بن معاوية في الحضور
(٤)
اليها .

= ابن الفهري ، تاريخ علماء الأندلس ، ٢٦/١ ، الطبع ،
بغية الملتصق ، ص ١٢ ، ابن عذاري ، البيان المغرب ،
٤٧/٢ .

(١) الطبع ، بغية الملتصق ، ص ١٢ ، ابن خلدون ، عبد
الرحمن بن خلدون المغربي ، العبر وديوان المبتدأ
والخبر ، منشورات دار الكتاب اللبناني ، بيروت ،
١٩٥٨م ، ١٥٤/٤ ، المقرئ ، فتح الطيب ، ٢٣٨/١ .

(٢) انظر ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٤٤ .
والصميل هو : الصميل بن حاتم بن شمر بن ذي الجوشن ،
جده شمر هو قاتل الحسين رضي الله عنه ، وهو من أهل
الكوفة ، فلما قتلته تمكن منه المختار بن أبي عبيد
لقتله وهدم داره ، فارتحل ولده من الكوفة وصاروا
بإجازة ثم صاروا في جند قنبرين ، وصار الصميل
رعيما بالأندلس ، وفاق بالنجدة والمخاء .

(٣) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٣٤/٢ .
(٤) انظر المقرئ : فتح الطيب ، ٢٩/٢ .
(١) د. عبد الرحمن علي الحجي ، التاريخ الأندلسي ، ص ٢١٦ .

ثم قام أبو عثمان عبيد الله بن عثمان ، وعبد الله بن خالد ، بإعداد مركب ، ووجهها فيه أحد عشر رجلا من بينهم بدر مولى عبد الرحمن بن معاوية ، وأمروا بالتوجه إلى ابن معاوية لإحضاره إلى الأندلس ، وكان قد بعث إليهم بخاتمه ، فلما وصل الوفد المرسل إلى شط مغيلة من بلاد البربر ، وجدوا عبد الرحمن بن معاوية في انتظارهم ، فدخلوه المركب وتوجهوا به إلى بلاد الأندلس .^(١)

وفي ليلة ربيع أول سنة ١٢٨هـ / ٧٥٥م ، دخل عبد الرحمن ابن معاوية الأندلس ، وكان خروجه من المركب بموقع يقال له المنكب^(٢) (Almunecar) ، ثم نزل بقرية طرش (Torrox) من كورة البربر^(٣) ، فاستقبله بعض جماعة من الأمويين وأعدوا له ما يملحه من الملابس والمركب والمأوى ، فلما علم يوسف الفهري السوالي على الأندلس بذلك ، كتب إلى جماعة الأمويين يحذروهم ويخوفهم ، فقالوا له : ألما أقبل ابن معاوية إلينا وإلى جماعة مواليه يريد المال ولا يريد شيئا غير ذلك .^(٤)

ثم اجتمع الناس حول ابن معاوية وبايعته معظم الأجناس وأقبل الناس إليه من كل مكان ، ولما عاقت الأحوال بالفهري أشار عليه المميل بن حاتم هريكة في الحكم بمخادمة ابن معاوية بأن يعرض عليه خروجه ابتغى وإن يرسل إليه بعض الهدايا لأنه حديث عهد بزوال النعمة وجرت مفاوضات بين الطرفين ، وقبل عبد الرحمن الهدية ورفض المماهرة .^(٥)

-
- (١) النظر المقرئ : نفح الطيب ، ٣١/٢ .
 (٢) المنكب : بلد على ساحل جزيرة الأندلس من أعمال السيرة بيته وبين قرطبة أربعون ميلا .
 (٣) ياقوت ، معجم البلدان ، ٢١٦/٥ .
 البيرة : الأكف فيه الك قطع وليس بالك وصل ورلما قالوا لبيرة وهي كورة كبيرة من كور الأندلس بين القبلة والشرق من قرطبة ، بيته وبين قرطبة تسعون ميلا . ياقوت ، معجم البلدان ، ٢٤٤/١ .
 (٤) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٤٤/٢ .
 (٥) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٤٥/٢ .

ولما قسويت شوكة عبد الرحمن بن معاوية ، جمع جموعه وتوجه نحو قرطبة يريد الاستيلاء عليها ، وخلق الفهرى عن الأمانة ، فلما كان يوم الجمعة التاسع أو العاشر من ذي الحجة سنة ١٢٨هـ ، وقعت معركة حاسمة بين عبد الرحمن بن معاوية من جهة ، ويوسف الفهرى ومعاونه المميل بن حاتم من جهة أخرى ، وعرفت هذه المعركة بالمعاصرة (المصاراة) وكانت الغلبة فيها لعبد الرحمن بن معاوية ، أما يوسف الفهرى فقد فر هارباً ونجا بنفسه ، وتمكن عبد الرحمن بن معاوية من دخول قرطبة في اليوم التالي وبويع بها أميراً على الأندلس .^(١) وقد صلى عبد الرحمن بن معاوية في ذلك النهار صلاة الجمعة بالناس فوعدهم في خطبته بالخير ، أما الفهرى فقد توجه إلى فرناطة فلبطها وخرج عبد الرحمن يخطبته لحاصره ونأزله ، حتى نزل على أمائه وقدم عبد الرحمن بيوسف إلى قرطبة وأسكنه بها ، وبذلك يكون الأمر قد تم للأمير عبد الرحمن بن معاوية ودخلت الأندلس في عصر الإمارة الأموية .

(١) انظر ابن الأثير ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر ت ٦٥٨هـ ، الملقب السيراء ، تحقيق د. حسين مؤنس ، الطبعة الأولى ١٩٦٢م ، القاهرة ، ج ١ ، ص ٦٣ ، الحميرى ، جذوة المقنن ، ص ٨-٩ ، ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٤٦/٢-٤٧ ، المقرئ ، فتح الطيب ، ٣٢٩/١ ، د. عبد الرحمن الحجى ، التاريخ الأندلسى ، ص ٢١٧ .

(٢) ابن القوطية ، تاريخ الفتح الأندلسى ، ص ٥٠ .

(٣) ابن خلدون ، المعبر ، ١٥٥/٤ .

(ج) مفهوم كلمة الحكومة :

الحكومية لغة : "الحكم العلم والفقه وهو مصدر حكم يحكم" .

"والحكم القضاء وجمعه احكام ، وقد حكم عليه بالامر يحكم حكما وحكومة" ، والحكم مصدر قولك حكم بينهم يحكم اى ^(١) قضى" .

الحكومة فى الاصطلاح :

لها معان متعددة : فقد يقصد بها مجموع الهيئات الحاكمة والمديرة للدولة . وقد يقصد بلفظ الحكومة : السلطة التنفيذية وحدها التى يشترك فيها رئيس الدولة والوزراء ، ورؤساء المصالح والمؤسسات والهيئات . وقد يقصد بلفظ الحكومة بالوزارة ، كان يقال الحكومة مسئولة امام البرلمان . وقد يقصد بلفظ الحكومة نظام الحكم فى الدولة من حيث كونه ملكيا او جمهوريا ديمقراطيا او ديكتاتوريا . ^(٢) وارى ان معنى الحكومة الذى يعنينا فى هذا البحث هو مجموع الهيئات الحاكمة والمديرة للدولة .

الحكومة الاسلامية :

تسمى نظم الحكم والادارة فى الاسلام بالسياسة الشرعية ، او السياسة الحكمية ، وهى تقابل ماورد من نظم فى ^(٣) القانونين الدستورى والادارى الوطنيين .

(١) ابن معظور ، لسان العرب ، مجلد ١ ، ص ٦٨٨ .
(٢) انظر : فلى على منصور ، نظم الحكم والادارة فى الشريعة الاسلامية والقوانين الوضعية ، الناشر : دار الفتح للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م ، ص ١١٧ . وانظر ايضا د. محمد فاروق النبهان ، نظام الحكم فى الاسلام ، مطبوعات جامعة الكويت ، ١٩٧٤م ، ص ١٧٠-١٧١ .
(٣) انظر : على على منصور ، نظم الحكم والادارة فى الشريعة الاسلامية ، ص ٤٥ .

"والسياسة الشرعية هي تدبير الشئون العامة للدولة الإسلامية بما يكفل تحقيق المصالح ودفع المضار مما لا يهدد حدود الشريعة . . وبعبارة أخرى هي متابعة السلف الأول في مراعاة المصالح ومسايرة الحوادث . والمراد بالشئون العامة للدولة كل ما تتطلبه حياتها من نظم ، سواء أكانت دستورية أم مالية أم تشريعية أم قضائية أم تنفيذية ، وسواء أكانت من شئونها الداخلية أم علاقاتها الخارجية . فتدبير هذه الشئون والنظر في أسسها ووضع قواعدها بما يتفق وأصول الشرع هو السياسة الشرعية" (١) .

ولكن القرآن الكريم لم يعمل "نظاما لشكل الحكومة ، ولا لتنظيم سلطاتها ، ولا لاختيار أولى الحل والعقد فيها . وإنما اكتفى بالنص على الدعائم التي ينبغي أن تعتمد عليها نظم كل حكومة عادلة ولا تختلف فيها أمة عن أمة ، فقرر العدل في قوله سبحانه : { وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل } (٢) ، والشمورى في قوله عز شأنه : { وشاورهم في الأمر } (٣) ، والمساواة في قوله سبحانه : { إنما المؤمنون أخوة } (٤) . أما ما أمدا هذه الأسس من النظم التنفيذية فقد سكت عنها ليتصع لأولى الأمر أن يقيموا نظمهم ويشكلوا حكومتهم ويكونوا مجالسهم بما يلزم حالهم ويتفق ومصلحتهم ، غير متجاوزين حدود العدل والشمورى والمساواة" (٥) .

والذى يمثل الحكومة الإسلامية هو الإمام أو الخليفة الذى تختاره الأمة . أما الاختيار فيتم عن طريقين : "أحدهما باختيار أهل العقد والحل . والثانى بمعد الإمام من قبل" (٦) .

(١) عبد الوهاب خلاف ، السياسة الشرعية أو نظام الدولة الإسلامية ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٥٠هـ ، ص ١٥ .

(٢) سورة النساء ، الآية (٥٨) .

(٣) سورة آل عمران ، الآية (١٥٩) .

(٤) سورة الحجرات ، الآية (١٠) .

(٥) عبد الوهاب خلاف ، السياسة الشرعية ، ص ١٩-٢٠ .

(٦) الماوردى : أبو الحسن على محمد بن حبيب البغدادي

(٤٥٠هـ) ، الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، دار

الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ، ص ٦ .

نشأة الخلافة :

بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، اجتمع نفر من الانصار في سقيفة بني ساعدة لاختيار من يخلفه صلى الله عليه وسلم "فاثى ات الى ابي بكر وعمر ، فقال : ان هذا الحى من الانصار مع سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة ، قد الحازوا اليه ، فان كان لكم بامر الناس حاجة فادركوا قبل ان يثلاثم امرهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته لم يفرغ من امره ، قد اطلق دونه الباب اقله . قال عمر : فقلت لابى بكر : اطلق بنا الى اخواننا هؤلاء من الانصار ، حتى ننظر ما هم عليه " .^(١)

واسرع ابو بكر وعمر رضى الله عنهما الى سقيفة بني ساعدة ، ووجدا ان الانصار قد هموا بخولية سعد بن عبادة ، اذ انهم كانوا يرون احقيتهم في هذا الامر ، لما لهم من سابقة في الدين ، وفطيلة في الاسلام ليست لاحد من العرب .^(٢)

وجرى حوار بين المهاجرين يمثلهم ابو بكر وعمر وابو عبيدة ، وبين الانصار ، ادلى كل فريق منهم بحجته ، وهم عمر ابن الخطاب رضى الله عنه بالحديث ، فقال له ابو بكر : على رسلك ياامير . قال عمر : "فكرت ان اعطيه ، فتكلم ، وهو كان اعلم منى واوفر ، فوالله ماترك من كلمة اعجبتنى من شروبيرى الا قالها في بديعته ، او مظلما او اقل ، حتى سكوت قال : اما ماذكرتم فيكم من غير ، فانتم له اهل ، ولئن تعرف العرب هذا الامر الا لهذا الحى من فريق ، هم اوسط العرب

(١) ابن هشام : أبو محمد عبد الملك ، السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى السقا وآخرون ، منشورات دار احياء التراث العربى ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٧/٤ .

(٢) انظر الطبرى : أبو جعفر محمد بن جرير ، تاريخ الامم والملوك ٢٠٧/٢ .

نسيا ودارا ، وقت رفيت لكم احد هذين الرجلين ، فبايعوا
ايهما شحتم واخذ بيدي وييد ابي عبيدة بن الجراح ، وهو
جالس بيننا ، ولم اكره شيئا مما قال غيرها ، كان والله ان
اقدم فتضرب عنقي ، لا يقربني ذلك الى اثم ، احب الى من ان
اذا امر على قوم فيهم ابو بكر " ، قال قائل من الامصار : " منا
امير ومنكم امير يامعشر قريش " فلما كثر اللفظ وارطفت
الاصوات ، قال عمر لابي بكر : " ايسط يدك يا ابا بكر فيسط يده
فبايعته ، ثم بايعه المهاجرون ، ثم بايعه الانصار " ^(١)

وفي اليوم التالي لوفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ،
جلس عمر على المنبر " فتشهد وابو بكر صامت لا يتكلم قال :
كنت ارجو ان يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
يدبرنا - يريد بذلك ان يكون آخرهم ، فان يك محمد صلى
الله عليه وسلم قد مات ، فان الله تعالى قد جعل بين
اظهركم نورا تفتدون به بما هدى الله محمدا صلى الله عليه
وسلم ، وان ابا بكر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثاني اثنين ، فانه اولي الناس باموركم ، فقدموا فبايعوه ،
وكانت طائفة منهم قد بايعوه قبل ذلك في سفينة بني ساعدة ،
وكانت بيعة العامة على المنبر . قال الزهري عن انس بن
مالك سمعت عمر يقول لابي بكر يومئذ : اصعد المنبر . فلم
يرل به حتى صعد المنبر فبايعه الناس عامة " ^(٢)

وباجتماع الصحابة - رضوان الله عليهم اجمعين - على
بيعة ابي بكر الصديق - رضي الله عنه - اكتسبت الخلافة
الصفة الشرعية ، وبني على هذه البيعة ، وهذا الاختيار ،

(١) ابن هشام ، المعيرة النبوية ٣٠٩/٤ - ٣١٠ .
(٢) الإمام محمد بن اسماعيل البخاري ، فتح الباري بشرح
صحيح البخاري ، كتاب الاحكام ، باب الاستخلاف ، المجلد
الثالث عشر ، تصحيح وتحقيق باشراف الشيخ عبد العزيز
ابن باز ، رقم ٧٢١٩ ، ص ٢٠٦ .

الخلفاء المسلمون أحكامهم ، فيما يتعلق بالخليفة ، واختياره .

أما عن طريقة اختيار الخلفاء الراشدين الثلاثة ، الذين اتوا بعد أبي بكر رضي الله عنه ، فقد اختلفت طريقة اختيار كل واحد منهم ، ولكنها في مجملها لم تخرج من الشورى التي تعتبر من أهم أسس الخلافة الراشدة .^(١)

مهمة الخليفة :

ومهمة الإمام أو الخليفة هي "حراسة الدين وسياسة الدنيا"^(٢) .

وظيفة الحكومة الإسلامية :

الإمام ولاية عامة في جميع الأعمال سواء كانت تلك الأعمال متعلقة بشؤون الدين ، أو شؤون الدنيا ، ولذا لم يمتدح مباشرة الإمام تصرف كل الشؤون بنفسه ، كان لابد له من تعيين من يطوب هذه في حاديه الأعمال والوظائف المتعددة للدولة .^(٣) وهذا ما عناه الماوردي بقوله : "لأن ما وكل إلى الإمام من تدبير الأمة لا يقدر على مباشرة جميعه إلا باختياره"^(٤) .

وتتمثل وظيفة الحكومة الإسلامية في الآتي :

- (١) انظر محمد يوسف الكادهلوى ، حياة الصحابة ، تحقيق نايف المكي ومحمد علي دولة ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، ص ٢٦/٢ - ٢٧ .
- (٢) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ٥ ، ابن خلدون : عيسى الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي ، المقدمة ، مكتبة الياز ، مكة المكرمة ، الطبعة الرابعة ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م ، ص ١٩١ .
- (٣) انظر أ. د. محمد هرياء الدين السريسي ، النظريات السياسية الإسلامية ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الرابعة ١٩٦٦ ١٩٦٧م ، ص ٢١٠ .
- (٤) الأحكام السلطانية ، ص ٢٢ .

(١) الاستخرام بالشريعة الإسلامية وعدم الحيدة عنها ومহারبة

أهل البدع والاهواء .

وقد ذكر الفقيه أبو يعلى الفراء الحنفي (ت ٤٥٨هـ) هذه الوظيفة بقوله : "حفظ الدين على الاموال التي اجمع عليها سلف الامة . فان زاع ذو شبهة عنه بين له الحجة وأوضح له الصواب ، واخذه بما يلزمه من الحقوق والحدود ليكون الدين محروسا من الخلل والامة مملوكة من الزلل" (١) .

(٢) اقامة العدالة وانعاف المظلومين (السلطة القضائية) .

وقد عبر الماوردي عن هذه الوظيفة بقوله : "تنفيذ الاحكام بين المتهاجرين وقطع الخصام بين المتنازعين حتى تعم النصفة ، فلا يتمدى ظالم ولا يغمف مظلوم" ، و"اقامة الحدود لضمان محارم الله تعالى من الانتهاك وتحفظ حقوق عباده من اطلاق واستعلاء" (٢) .

(٣) حفظ الامن الداخلي للدولة الإسلامية .

وذلك بـ "حماية البيعة والذب عن الحريم ليخضع الناس في المعايير وينتفروا في الاسفار آمنين" (٣) .

(٤) حماية الدولة من الاخطار الخارجية وجهاد أعدائها

(التنظيمات الحربية) .

وذلك يتم عن طريق "تحصين الثغور بالعدة المانعة والقوة الدافعة حتى لا تخلفر الاعداء بقوة يفتككون فيها مغرما او يسفكون فيها لمسلم او معاهد دما" ، و"جهاد من عائد الاسلام بعد الدعوة حتى يسلم او يدخل في الذمة" (٤) .

(١) الاحكام السلطانية ، تعليق محمد حامد الفقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص ٢٧ .

(٢) الاحكام السلطانية ، ص ١٥-١٦ .
(٣) الاحكام السلطانية ، ص ١٦ . وعند أبي يعلى "الذب عن الحوزة" ص ٢٧ .

(٤) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ١٦ .

(٥) تنظيم موارد ومصارف بيت المال حسب قواعد الشريعة الإسلامية (التنظيمات الاقتصادية والمالية) .

وقد عبر الماوردي عن هذه الوظيفة بقوله : "حماية الفئ، والصدقات على ما أوجبه الشرع لها واجتهادا من غير خوف ولا مصف" ، و"تقدير العطايا وما يستحق في بيت المال من غير سرف ولا تقتير ، ودفعه في وقت لا تقدم فيه ولا تأخير" .^(١)

(٦) اختيار العمال والموظفين الكفاء لإدارة أعمال الدولة .
وهذا ما عناه الماوردي بقوله : "استكفاء الامناء ، وتقليد النصحاء ، فيما يفوض اليهم من الاعمال ، ويكلف اليهم من الاموال ، لتكون الاعمال بالكفاءة مضبوطة ، والاموال بالامناء محفوظة" .^(٢)

(٧) مباشرة الامام أو الخليفة للأمور واشرافه بنفسه عليها وتتملى الأحوال .

وذلك "لينفذ سياسة الامة وحراسة الملة ، ولا يعول على الخويفى تشاغلا بلذا أو عبادة" .^(٣)

هذه هي وظيفة الحكومة الإسلامية التي استخلصناها من واجبات الامام ، أو الخليفة ، أو رئيس الدولة "صاحب الولاية العامة" ، كما ذكرتها كتب الاحكام السلطانية .

وفي هذا البحث "الحكومة الإسلامية في الأندلس في عهد بنى أمية" ، سنبين مدى مطابقة أعمال الحكومة الإسلامية من الناحية النظرية ، مع الواقع المملى للامويين في الأندلس .

(١) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ١٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٦ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٦ .

الفصل الأول

الحكام الأمويون في الأندلس الإسلامية

ويشتمل على ثلاثة مجلدات :

المجلد الأول : الأمانة منذ تأسيسها حتى سنة ٢١٦ هـ .

المجلد الثاني : الخلافة منذ إن لانها سنة ٢١٦ هـ حتى نهاية عهد الحكم

المستنصر سنة ٢١٦ هـ .

المجلد الثالث : مدى التزام الحكم الأموي بالشريعة الإسلامية

البحث الأول

الأمارة الأموية منذ تأسيسها

(١٢٨ - ٢١٦ هـ)

الإمارة الأموية منذ تأسيسها ١٢٨-٢١٦هـ / ٧٥٦-٩٢٨م

تمكن عبدالرحمن بن معاوية من دخول قرطبة ، في التاسع أو العاشر من ذي الحجة عام ١٢٨ هـ / ٧٥٦ م ، وأسس إمارة أموية بالأندلس ابتداء من هذا التاريخ (١) . ومن ثم استقر بقرطبة ، وثبت قدمه في الملك (٢) ، وذلك بعد انتصاره على يوسف الفهري ، والصميل بن حاتم ، آخر أمراء عصر الولاة ، على نحو ما ذكرنا في التمهيد .

وعرف الأمير عبدالرحمن بن معاوية بالداخل ، لأنه أول من دخل الأندلس من أمراء بني مروان (٣) . وعرف أيضا بالاول ، لأنه أول أمير أموي دخل الأندلس يحمل اسم عبدالرحمن (٤) . كما لقب بصقر قریش ، لكونه تقرب ، وقطع البر والبحر ، وأقام وحده ملكا كان قد أدير (٥) .

وبإعلان الإمارة من قبل الداخل ، خرجت ولاية الأندلس من تبعيتها للخلافة الإسلامية بالشرق ، وأصبحت إمارة مستقلة ، استقلالا تاما في إدارة شئونها الداخلية والخارجية ، وبخلت الأندلس الإسلامية في عهد جديد ، إلا أنها ظلت تدعو للخليفة العباسي فوق منابرها فترة من الزمان ، حسبما ذكرت المصادر الأندلسية . فقد ذكر ابن الأبار : أن الداخل أقام أشهراً بون السنة يدعو لأبي جعفر المنصور (٦) مقتدياً في ذلك

(١) ابن الأبار ، الحلة السيرة ، ج ١ ، ص ٦٣ ، الحميدي ، جذوة المقتبس ، ص ٨ - ٩ ،

ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٤٦/٢ - ٤٧ ، المقرئ ، نفح الطيب ، ٣٢٩/١ .

(٢) المقرئ ، نفح الطيب ، ٣٢٩/١ .

(٣) المصدر نفسه ، ٣٢٩/١ ، ابن خلكان ، وفیات الاعيان ، ٤٣٣/٤ .

(٤) المقرئ ، نفح الطيب ، ٣٤٧/١ .

(٥) المصدر نفسه ، ٣٣٢/١ .

(٦) انظر في ترجمته : الخطيب البغدادي : أبوبكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ) ، تاريخ بغداد ،

دار الكتاب العربي (بيروت - لبنان) ٤٦/١٠ وما بعدها . ابن كثير : عماد الدين أبي

الفداء اسماعيل بن كثير القرشي (ت ٧٧٤هـ) ، البداية والنهاية ، طباعة دار الفكر

العربي ، ١٢١/١٠ - ١٢٢ ، السيوطي : جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ) ،

تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، القاهرة ١٣٥٢ هـ ، ص ٢٥٩ ، =

بيوسف الفهري الوالي الذي قبله ، إلى أن أقرد نفسه بالدعاء ، ويقال أن عبد الملك بن عمر ابن مروان بن الحكم (١) ، أشار عليه بذلك عند خلوص الأمر إليه ، فقبله ، إلا أنه لم يتعد اسم الامارة (٢) .

ونذكر ابن الأثير : أن الداخل ، خطب للمتصور العباسي ، عشرة أشهر ، ثم قطع الخطبة له ، بعد أن ألزمه عبد الملك المرواني بذلك (٣) .

وتابع المقري ، والنويري ، ابن الأثير ، في أن مدة الدعاء كانت عشرة أشهر ، وأن عبد الملك بن عمر هو الذي ألزم الداخل بقطع الخطبة (٤) .

ونذكر ابن فضل الله العمري : أن عبد الرحمن كان يدعو لأبي جعفر المنصور ، حتى نخل الأندلس عبد الملك بن عمر ، وحضر خطبة الجمعة معه ، ولما سمع الدعاء لأبي جعفر ، أنكر ذلك عليه وقال : « وأي مودة بيننا وبين هؤلاء ؟ عدوا علينا فلم يرقبوا إلا ولازمة ، واستحلوا منا كل حرمة ، وأخرجونا من أرض الله الواسعة ، فالجؤا فلنا إلى هذه القاصية ، ثم هانحن الآن نساترهم فيها ، ونمد لهم خيط باطلهم بالدعاء لهم ، أعطى

== محمد بن شاكر الكتبي ، فوات الوفيات والنيل عليها ، تحقيق د. احسان عباس ، دار صادر - بيروت ، ١٩٧٣ م ، ٢/٢١٦ .

(١) هو عبد الملك بن عمر بن مروان بن الحكم . قعيد جماعة آل مروان في وقته ، وفارسهم وشهابهم . قدم من مصر على عبد الرحمن بن معاوية في سنة ١٤٠ هـ أول ولايته بالأندلس ، وهو في حضرة رجال من بنيه فرسان فولاء أشبيلية ، وولى ابنه عبد الله مودور . أغنى في حرب يوسف الفهري عند نكته وفراره من قرطبة حتى قتل . ابن الأبار ، الحلة السيرة ، ١/٥٦ ، المقري ، نفح الطيب ، ٣/٥٨ - ٥٩ .

(٢) ابن الأبار ، الحلة السيرة ، ١/٣٦ .

(٣) الكامل في التاريخ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ ، ١٠/٦١ .

(٤) انظر نفح الطيب ، ٣/٥٩ ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق د. أحمد كمال زكي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٠ م ، ٢٣/٢٤٥ - ٢٤٦ .

الله عهداً ، لئن لم تحول الدعوة لهم ، إلى البراء منهم ، لأنقلب على وجهي مبادراً في هذه الأرض العريضة ، وقد كان ذلك من هوئى عبدالرحمن الداخل ، إلا أنه أثر الأناة إلى أن استضاء برأي عمه ، فترك الخطبة لأبي جعفر ، وتفرغ بالدعاء لنفسه ، وذلك بعد سنة من دخوله الأندلس » (١) .

لقد اختلفت المصادر في تحديد المدة التي ظل الداخل يدعو فيها للمنصور العباسي ، وتشير بعض هذه المصادر التي ورد ذكرها ، إلى أن مدة الدعاء كانت قصيرة ، كما ربطت قطع الدعاء بعبدالمك المرواني .

وكما ذكرت سابقاً (*) ، فإن إعلان الإمارة كان في التاسع أو العاشر من ذي الحجة سنة ١٢٨ هـ ، أي مع نهاية هذا العام .

ويمكن القول بأن الداخل استقر في دعائه للعباسيين مدة عام - منذ نهاية عام ١٢٨ هـ وبداية عام ١٢٩ هـ - إلى أن دخل عبدالملك بن عمر إلى الأندلس في سنة ١٤٠ هـ ، فقطع الخطبة بناء على رأيه .

وكان عبدالملك بن عمر يعبر في الحديث السابق عما يجيش في نفسه للأمير للداخل ، وما يجيش في نفس كل أموي ، ومن الصالة التي يعيشونها من جراء انتزاع العباسيين الخلافة منهم ، ومطاردتهم لهم ، إلى أن أقصوهم إلى أرض الأندلس ، وإلى المعاملة القاسية التي وجدها منهم . فكيف يأتي الداخل ويدعو لهم في خطبة الجمعة؟ ويمد لهم خيط باطلهم كما عبر بذلك عبدالملك بن عمر ، وهم الذين طاردوه ولم ينج منهم إلا بأعجوبة بالغة؟

(١) ابن فضل الله العمري ، شهاب الدين أحمد بن يحيى (ت ٧٤٩ هـ) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، مخطوط ، طبع بالتصوير عن مخطوطة رقم ٢٧٩٧ ، استانبول ، السطر الرابع والعشرون ، ص ٢٠٨ .

(*) انظر : ص ١٩ .

لقد كان طبيعياً أن يدعو الداخل المنصور العباسي في أول الأمر لاسيما وأن دولته كانت وليدة تنهدها الأخطار من كل جانب ، كما أنه كان لا يريد أن يثير حفيظة الرعية الإسلامية بالأندلس ، والتي كانت تنتظر إلى الخلافة بالمشرق نظرة احترام وتقدير ، ولكنه لما أحس بالقوة ، قطع الدعاء لأبي جعفر المنصور ، وكان يتوجس خيفة من الاقدام على هذه الخطوة في مبدأ الأمر . يقول ابن عذاري « واستوسق الأمر للأمير عبدالرحمن ، وأمر بلعن المسودة ، وقطع الدعاء لأبي جعفر المنصور » (١) .

يبدو أن الداخل كان يبيت النية لقطع الدعاء للعباسيين ، وكان يتحين الفرصة المناسبة لاتخاذ هذا الإجراء الذي سيكون له صدى كبيراً إذا أعلن ، فلما دعاه عنه إليه ، وافق هوى في نفسه كما ذكر ابن فضل الله العمري .

ان قطع الدعاء في الخطية معناه الاستقلال التام عن السلطة المركزية في المشرق ، وعدم التبعية لها . وما كان الداخل يريد الدخول في نزاع مع الخلافة العباسية ، ومواجهتها بأعلان استقلاله منذ البداية ، وكان يرجي ذلك لعين الفراغ من بعض المشكلات الداخلية التي تواجهه ، وكانت فترة السنة أو الأشهر التي ذكرها المؤرخون والتي قطع الدعاء بعد مضيتها كافية لاتخاذ قراره تجاه الخلافة العباسية ، وتحديد موقفه منها ، وعلى الرغم من أنه قطع الدعاء للعباسيين ، إلا أنه « لم يعد اسم الأمانة » (٢) ، فكان يلقب بالأمير وطيه جرى بنوه من بعده ، فلم يدع أحد منهم بأمير المؤمنين (٣) ، ولكن ابن حزم يذكر أنه رأى شعراً لأحد الشعراء يخاطب فيه عبدالرحمن بن معاوية بإمرة المؤمنين (٤) . وإن كان ذلك ليس دليلاً كافياً للاستدلال على أن الداخل قد تسمى بأمير المؤمنين ، وربما تكون مخاطبته له من قبيل المجاز .

(١) البيان المغرب ، ٤٨/٢ .

(٢) ابن الأبار ، الطه السيرة ، ٣٦/١ .

(٣) ابن خلدون ، العبر ، ٢٦٥/٤ ، المقري ، نفح ، ٢٣٠/١ .

(٤) رسالة نطق العروس في تواريخ الخلفاء ، تحقيق د. احسان عباس ٤٩/٢ .

وبعد قطعه الدعوة للعباسيين في منابر الأندلس سد المذاهب منهم دونها (١) .

لقد كان الداخل ينظر إلى الخليفة العباسي بأنه أحق بالخلافة منه ، فالتزم سعة الامارة فقط ، ولم يتعداها ، ولكنه كان يخاطب بابن الخلائف . يقول المسعودي : « وتدعى بنى أمية بها - بالأندلس - بنى الخلائف ، ولا يخاطبون بالخلفاء لأن الخلافة لا يستحقها عندهم إلا من كان مالكا للحرمين غير أنه يخاطب بأمير المؤمنين » (٢) .

ولكن إذا أربنا أن نصنف هذه الامارة الوليدة بالأندلس تبعا للتصنيفات التي وضعها فقهاء الاحكام السلطانية ، فأين يكون موضعها ؟

لقد قسم الفقهاء الامارة العامة إلى قسمين : « أمانة استكفاء بعقد عن اختيار ، وامارة استيلاء بعقد عن اضطرار » (٣) .

أما أمانة الاستكفاء فتعقد عن اختيار الامام وتفويضه لشخص ما أمانة بلد أو اقليم (٤) .

وهذا النوع بالطبع لا ينطبق على أمانة (الداخل) ، لأنه انتزع الأندلس انتزاعا ، واستولى عليه عنوة ، كما أن أحدا لم يفوضه ولم يعهد إليه ، ولكن شيعته ومواليه هم الذين وقفوا معه وساندوه إلى أن أعلن نفسه اميرا على البلاد ، ولم يكن ذلك باختيار الامام ورضاه .

وأما أمانة الاستيلاء التي تعقد عن اضطرار فهي : « أن يستولى الأمير بالقوة على بلاد يقلده الخليفة أمارتها وفوض إليه تدبيرها وسياستها » (٥) ، والأمير عبدالرحمن

(١) المقرئ ، نفتح ، ٣٢٩/١ .

(٢) المسعودي : أبو الحسن علي بن الحسين بن علي ، (ت ٢٤٦ هـ) ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق يوسف أسعد داغر ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة السابعة ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م ، ١٨٣/١ .

(٣) الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت ٤٥٠ هـ) ، الاحكام السلطانية ، ص ٣٠ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٣٠ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٣٣ .

هنا قد استولى بالقوة على بلاد الأندلس ، ولكن الخليفة لم يفوض اليه شيئا من الأمور ، ولم يعترف بأمارته بل حاول منازعته وخلعه من الأمانة (١) .

فالامارة هي امانة استيلاء بالقوة لا شك في ذلك . ويمكننا ان نصنف هذه الامارة على انها امانة تغلب .

وقد أشار ابن حزم في رسالة نقط العروس في تواريخ الخلفاء ، الى من ولي الخلافة مغالبة من بني أمية بالأندلس ، فنكر عبدالرحمن بن معاوية الداخل (٢) .

وعلى أية حال فقد استطاع عبدالرحمن بن معاوية السيطرة على زمام الأمور في الأندلس ، وأن يعلن نفسه أميراً على البلاد من قرطبة التي استقر بها « ومهد الدولة بالأندلس ، وأثل بها الملك العظيم لبني مروان والسلطان العزيز ، وجعد ما طمس لهم من معالم الخلافة وأثارها » (٣) .

ولم يستقم له الأمر إلا بعد أن بذل السيف في مخالفه فآذنه الجميع لطاعته (٤) ، وخرجت الأندلس من يومها من نظر صاحب القيروان بل ومن نظر الخليفة في المشرق (٥) .

قال ابن حيان : « ألقى الداخل الأندلس ثغراً قاصياً غفلاً من حلية الملك عاطلاً ، فأرغف أهلها بالطاعة السلطانية ، وحكنهم بالسيرة الملوكية ، وأخذهم بالآداب فأكسبهم

(١) انظر ابن القوطية تاريخ افتتاح الأندلس ص ٥٤ ، ٥٥ .

(٢) ابن حزم ، رسالة نقط العروس ، ٥٦/٢ .

(٣) ابن حيان برواية المقرئ ، نفع الطيب ، ٣٢٩/١ .

(٤) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، عني بتصحيحه ومراجعتها عبدالله الصاري ، ط ١٣٥٧هـ / ١٩٣٨م ، مكتبة المثنى ، بغداد ، ص ٢٨٧ .

(٥) السلاري الناصري ، أبو العباس أحمد بن خالد (ت ١٣١٥ هـ) ، الاستقصا لخبار دول

المغرب الاقصى ، تحقيق جعفر ومحمد الناصري ، مطبعة دار الكتاب ، الدار البيضاء ،

١٩٥٤م ، ج ١ ، ص ١٢١ .

عما قليل المروعة ، وأقامهم على الطريقة ، وبدأ فعون العواوين ، ورفع الأوابين وفرض
الاعطية ، وعقد الألوية ، وجند الأجناد ، ورفع العماد ، وأوثق الأوتاد ، فاقام للملك آتته ،
وأخذ للسلطان عنته ، فاعترف له بذلك أكابر الملوك وحضروا جانبه « (١) » .

قدم ابن حيان وصفا دقيقا للحالة التي وجد الداخل عليها أهل الأندلس ، حيث
أنها كانت خالية من المظاهر السلطانية ، ويعني ذلك أنها كانت ترزح في ضرب من
الفوضى وعدم الانضباط ، فاستطاع الأمير عبدالرحمن أن يجعل منها أمارة منظمة لها
كينونتها ورسومها ودواوينها ، مما جعل أكابر الملوك يعترفون به ويحذرونه .

الأوضاع الداخلية خلال حكم الأمير عبدالرحمن

كانت الأوضاع الداخلية في الأندلس خلال هذه الفترة في غاية من الفوضى
والاضراب ، وهدم الاستقرار ، وتمثل ذلك في كثرة الثورات الداخلية ضد حكم الداخل .
وكان المجتمع الأندلسي يتألف من عدد كبير من العناصر ، وأرى أن أشير إلى هذه
العناصر بشيء من الإيجاز .

عناصر المجتمع الأندلسي

(١) المسلمون من العرب والبربر والوالي والسكان الأصليين .

(أ) العرب :

وهم الذين شاركوا في عملية الفتح الإسلامي للأندلس مع طارق بن زياد وموسى
بن نصير وكان عددهم قليلا في أول الأمر (٢) ، ثم بدأوا في الازدياد بعد ذلك حتى بلغ
عددهم حوالي الثلاثين ألفا ومن ثم تكاثروا بصورة كبيرة نتيجة التزاوج والاستقرار (٣) .
وعرف المستقرون الأوائل من العرب بالبلبيين ، إذ اعتبروا أنفسهم المالكين الوحيديين للبلاد

(١) ابن حيان برواية المقرئ ، نقح الطيب ، ٢٢٢/٨ .

(٢) ابن عبدالحكم ، فتوح إفريقية والأندلس ، ص ٧٨ .

(٣) انظر د. حسين مؤنس ، فجر الأندلس ، الدار السعودية للنشر والتوزيع - جدة ، ١٤٠٥هـ ،

، وسموا بالبلديين ، أي أهل البلاد وأصحابها (١) وعرفت مجموعة أخرى من العرب بالعرب الشاميين وهم الذين دخلوا الأندلس سنة ١٢٢ هـ / ٧٤٠ م (٢) .

(ب) البربر :

شارك البربر في عملية الفتح الاسلامي للأندلس إلى جانب العرب ، وكان عددهم كبيراً مقارنة بالعرب ، وكانوا جميعاً تحت إمرة طارق بن زياد (٣) . وكان استقرارهم معائلاً للبلديين - العرب الأوائل - إذ سكنوا على امتداد الطريق التي سلكتها حملتا طارق وموسى (٤) . ثم تزايدت أعدادهم بعد ذلك بصورة كبيرة بعد أن تمت عملية الفتح على يد طارق بن زياد ، فهاجر عدد كبير منهم إلى الأندلس ، وقد أمكننا ابن حزم في كتابه جمهرة أنساب العرب بمعلومات وافية عن منازل البربر بالأندلس (٥) .

(جـ) الموالي :

وهم موالى بني أمية ، الذين جاؤوا مع الفاتحين العرب والبربر ، أو جاؤوا للاستقرار في الأندلس بعد ذلك . يقول ابن القوطية : « ثم إن هشام بن عبد الملك عزل ابن الحبش عن أفريقية وماوراءها من المغرب ، وولى عليها كلثوم بن عياض القيسي ... ، فقدم كلثوم أفريقية ومعه ثلاثون ألفاً ، عشرة آلاف من موالى بني أمية ، وهشرون ألفاً من بيوتات العرب » (٦) .

(١) د.عبد الواحد نخون طه ، الفتح والاستقرار العربي الاسلامي في شمال افريقيا ، دار الرشيد للنشر - بغداد - ١٩٨٢ م ، ص ٢١١ .

(٢) ابن الخطيب ، المححة البدرية في الدولة النصرية - دار الافاق الجديدة - بيروت ، ١٩٧٨ م ، ص ٢٦ .

(٣) مجهول ، أخبار مجموعة في فتح الأندلس ، ص ١٧ .

(٤) د.عبد الواحد نخون طه ، استقرار القبائل البربرية في الأندلس ، مجلة أوراق - المعهد الاسباني العربي - مدريد ، العدد الرابع ، ١٩٨١ م ، ص ٣٥ .

(٥) انظر ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب - تحقيق وتعليق عبد السلام هارون ، دار المعارف - مصر - الطبعة الخامسة ، ص ٤٩٨ - ٥٠٢ .

(٦) تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٣٩ - ٤٠ .

وبالطبع فقد سخل هؤلاء الموالي ضمن العرب الذين سخلوا الأندلس ، ليشكلوا
عنصرا من عناصر المجتمع الأندلسي . وهم الذين ساندوا عبدالرحمن الداخل حتى تم له
الأمير .

(د) السكان الأصليون : (المسالمة والمولدون) :

وهم القرط والأسبان الذين أسلموا منذ الفتح ، وبخلوا دائرة المجتمع الاسلامي
إلى جانب العرب والبربر ، ويسمون أحيانا بالمسالمة أو الأسالة أو أسالة أهل الذمة متى
كان إسلامهم حديثا (١) .

(٢) النصارى واليهود من أهل الذمة .

(١) النصارى :

وهم أهل البلاد الأصليين الذين بقوا على نصرانيتهم ، دون إكراه ولا مساومة ،
فأصبحوا يتمتعون بحقوق ، ويقدمون واجبات ، وعرفوا بالمعاهدين (٢) . وكانوا يجيبون
اللغة العربية .

(ب) اليهود :

كانت هناك جاليات يهودية تعيش في معظم المدن الأسبانية ، وكان المسلمون عند
فتحهم الأندلس إذا وجدوا اليهود ببلادة تركوهم بها ، وأبقوا معهم من المسلمين
طائفة (٣) .

(١) محمد عبد الله عنان ، دولة الاسلام في الأندلس ، الناشر : مكتبة الخانجي - القاهرة -
الطبعة الرابعة - ١٢٨٩هـ / ١٩٦٩م ، ج ١ ، ص ٢٠٦ . وانظر د. يوسف حورالة ، بنو عباد
في أشبيلية - دار العلم للطباعة والنشر ، جدة ، الطبعة الأولى - ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م ،
ص ٤٩ .

(٢) د. عبدالله حمادي ، المورسكيون ومحاكم التفتيش في الأندلس ، الدار التونسية للنشر
والمنظمة الوطنية للكتاب - الجزائر - ١٩٨٩م ، ص ١٢ .

(٣) مجهول ، أخبار مجموعة في فتح الأندلس ص ٢٢ ، ابن عذاري ، البيان المغرب ، ١٢/٢ .

الثورات الداخلية ضد حكم الداخل ،

واجه الداخل عددا كبيرا من الثورات الداخلية التي كادت أن تؤدي بحكمه وسلطانه ، ولكنه تصدى لها بكل شجاعة وحزم ، واستطاع أن يقضي عليها ، ويثبت حكمه ويوطده . وكانت معظم هذه الثورات من زعماء القبائل العربية (١) .

ونتيجة لكثرة الثورات الداخلية من زعماء القبائل العربية ، فقد استتراب الداخل بالعرب ، ولجأ إلى اصطناع الموالي ، والبربر ، يقول صاحب النفع : « وكثرت ثورة رؤساء العرب بالأندلس على عبدالرحمن الداخل ، ونافسوه ملكه ، ولقى منهم خطوباً عظيمة ، وكانت العاقبة له ، واستتراب في آخر أمره بالعرب ، لكثرة من قام عليه منهم ، فرجع إلى اصطناع القبائل من سواهم ، واتخاذ الموالي » (٢) .

ولعله من المناسب في هذا المقام أن نشير إلى رأي ابن الخطيب في كثرة الثوار بالأندلس ، حيث يقول : « والسبب في كثرة الثوار بالأندلس يومئذ ثلاثة وجوه : الأول منعة البلاد ، وحصانة المعاقل ، ويأس أهلها ، بمقاربتهم عمو الدين ، فهم شوكة وحد بخلاف سواهم ، والثاني علو الهمم ، وشموخ الأنوف ، وقلة الأعمال لثقل الطاعة ، إذ كان من يحصل بالأندلس ، من العرب ، والبرابرة أشرفاً يأنف بعضهم من الازدعان لبعض ، والثالث : الاستئناء عند الضيقة ، والاضطرار إلى الجبل الأشم ، والمعتل الأعظم ، من ملك النصراني ، العريض على ضرب المسلمين بعضهم ببعض » (٣) .

(١) عن هذه الثورات انظر : مجهول المؤلف ، أخبار مجموعة ص ٨٧ - ١٠٥ ، ابن القوطية ، تاريخ الفتاح الأندلس ، ص ٥٢ - ٥٦ ، المقرئ ، أحمد بن عمر بن أنس المعروف بابن الدلائلي (ت ٤٧٨ هـ) ، نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار ، تحقيق د. عبدالعزیز الأهواني ، منشورات معهد الدراسات الإسلامية في مدريد ١٩٦٥ م ، ص ١١ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ابن عذاري ، البيان المغرب ، ص ٤٩ - ٥٨ ، المقرئ ، نفع الطيب ،

٣٣٣-٣٣٢/١

(٢) المقرئ ، ٣٣١/١٠ .

(٣) ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ص ٣٦ .

ذلك هي الأسباب التي أدت إلى كثرة الثوار بالأنطلس في رأى ابن الخطيب ، وهو تحليل رائع لهذه الظاهرة ، فالبلاد منيعة وحصينة ، تجاورها الامم النصرانية ، التي تحرص على الايقاع بين المسلمين ، وضرب بعضهم ببعض ، اضافة إلى الأنفة التي كانت سمة من سمات العرب والبربر بالأنطلس فكل واحد لا يريد الخضوع والطاعة والتسليم للآخر ، وكل يرى أنه أحق بالأمر من غيره .

أشاع الداخل في سنة ١٦٢ هـ / ٧٨٩ م أنه يريد التجهز والخروج الى الشام للأخذ بثار الأمويين من العباسيين وانتزاع الخلافة ، ولكن عصيان سليمان بن يقظان والحسين بن يحيى الانصاري أدى إلى عدوله عن هذه الفكرة (١) . ولم يقدم الداخل على هذه الخطوة إلا بعد أن شعر بقوة ، وأن زمام الأمور في يده ولكن لخطورة ثورة سليمان والحسين الانصاري واتصال الأعرابي بقوى خارجية جعلت الداخل يعدل عن هذه الخطوة.

إن همة الداخل ، وهزيمته ، وإصراره ، وشدة شكيمته من الأسباب التي جعلت الخليفة العباسي أبا جعفر المنصور ، يعجب به أيما اعجاب ، ويكثر من الثناء عليه على الرغم من العداوة الذي كان مستحكما بينهما ، فقد ذكر أن أبا جعفر المنصور ، قال يوما لبعض جلسائه : « أخبروني : من صقر قريش من الملوك ؟ قالوا ذاك أمير المؤمنين الذي راض الملوك ، وسكن الزلازل ، وأباد الأعداء ، وحسم الأدواء » قال ما قلتم شيئا ، قالوا « فمعاوية » قال : لا ! قالوا فعبد الملك بن مروان « قال ما قلتم شيئا » قالوا يا أمير المؤمنين فمن هو ؟ قال صقر قريش عبدالرحمن بن معاوية ، الذي عبر البحر ، وقطع القفر ، ودخل بلاداً أجمعيا منفرداً بنفسه ، فمصر الأمصار ، وجند الأجناد ، ودون الدواوين ، وأقام ملكا عظيما بعد انقطاعه بحسن تدبيره وشدة شكيمته ، ان معاوية نهض بمركب حمله عليه عمر وعثمان وذلالا له سمعه ، وعبد الملك ببيعة تقدم له عقدها ، وأمير المؤمنين يطلب عشييرته واجتماع شهيته ، وعبدالرحمن منفرد بنفسه ، ملويد برأيه ، مستصحب لعزمه » (٢) .

(١) انظر النويري ، نهاية الارب في فنون الأدب ، ج ٢٢ ، ص ٢٤٨ ، المقري ، نفع الطيب ، ٥٤/٢ ، ابن فضل الله العمري ، مسالك الإبصار ، مخطوط ، ج ٢٤ ، ص ٢٠٩ .

(٢) ابن عثيره ، أحمد بن محمد بن عبيد بن الأنطلسي (ت ٢٢٨ هـ) ، العقد الفريد ، تحقيق =

هذه شهادة حق شهد بها المنصور للداخل ، الذي تمكن بمفرده وعزيمته القوية ،
من بناء دولة عظيمة قوية بحسن تدبيره ورجاحة عقله .

وكان المنصور يقول عنه : « وما الذي يقال في رجل يركب من نتاجه ، ويلبس من
ديباجه ، وينفق من خراجها » (١) .

ومما يدلنا على رجاحة عقله أنه لما خرج من البحر أول قدومه على الاندلس أتوه
بخر ، فقال إني محتاج لما يزيد عقلي ، لا لما ينقصه ، فعرفوا بذلك قدره ؛ ثم أهديت إليه
جارية جميلة فنظر إليها وقال : ان هذه من القلب والعين بمكان ، وإن أنا اشتغلت عنها
بهمتي فيما أطلبه ظلمتها ، وإن اشتغلت بها عما أطلبه ظلمت همتي ، ولا حاجة لي بها
الآن ، وردّها على صاحبها » (٢) .

ومن مدح أبي جعفر المنصور للداخل أيضا قوله : « لا تعجبوا لامتناد أمرنا مع
طول مراسه وقوة أسبابه ، فالتثنى في أمر فتى قريش الأحوزي الفذ في جميع شئونه ،
وعدمه لأهله ونشبهه ، وتسلية عن جميع ذلك ببعد مرقى همته ، ومضاء عزيمته ، حتى قذف
نفسه في لجج المهالك لا ابتغاء مجده ، فاقتحم جزيرة شاسعة المحل ، نائية المطمع ،
عصبية الجند ، ضرب بين جندها بخصوصيته ، وقمع بعضهم ببعض بقوة حيلته ،
واستمال قلوب رعيته بقضية سياسته ، حتى انقاد له عصيهم ، وذل له ، أبيهم ،
فاسترلى فيها على أريكته ، ملكا على قطعت ، قاهرا لأعدائه حاميا لدماره ، مانعا لعوزته

== محمد سعيد العريان - الناشر : دار الفكر ، ٢١٤/٥ ، مجهول أخبار مجموعة ، ص ٦٠ ،
ابن هذاري ، البيان المغرب ، ٦٠/٢ ، ابن سماء العاملي : أبو القاسم محمد بن أبي
العلاء المالقي ، الزهراء المنتورة في نكت الاخبار الماثورة ، تحقيق د. محمود علي مكي -
منشورات المعهد المصري للدراسات الإسلامية - مطرود ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م ، ص
١٢٧-١٢٨ .

(١) ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ٥ .

(٢) المقرئ ، نفع الطيب ، ٤٢/٣ .

خالط الرغبة اليه بالرهبة منه ، ان ذلك لهُو الفتى كل الفتى لا يكذب ما سمعه « (١) . وذكر ابن حزم بعض نوبي الحزم من الخلفاء بعد الصحابة رضوان الله عليهم ، وذكر منهم الداخل (٢) .

وكان نقش خاتمه : « بالله يثق عبدالرحمن ، وبه يعتصم » وعبدالرحمن بقضاء الله راض « (٣) . ولعل نقش الخاتم من أهم الرسوم السلطانية التي اهتم بها الداخل ، اما بقية الرسوم الأخرى فلم تتضح بعد بصورة واضحة . فقد شغلته الثورات المتتالية التي تعرض لها عن النهوض بالدولة على الوجه الأكمل ، والانصراف نحو الإصلاحات الداخلية ، وعلى الرغم من ذلك فقد اهتم الى حد كبير بشئون العمران ، وخاصة المساجد ، حيث بنى المسجد الجامع بقرطبة ، وأنفق فيه ثمانين ألف دينار ، وقد تولى قبل تمام بناء هذا المسجد ، كما بنى مساجد أخرى (٤) ، وبدأ في إنشاء سور قرطبة الكبير في سنة ١٥٠ هـ / ٧٦٧ م والذي استغرق العمل فيه مدى خمسة أعوام (٥) ، كذلك بنى بقرطبة منية الرصافة وقصرها المنيف وجلب إليها مختلف الفروس والبذور والنوى من الشام وأفريقية ، وسمى تلك الضاحية الجديدة بالرصافة تخليدا لذكرى الرصافة التي أنشأها جده هشام بالشام (٦) .

وعلى الرغم من وصف بعض المصادر الداخل بالقسوة والشدّة مع مخالفيه إلا أنه أثر عنه أيضا أنه كان يميل إلى التسامح أحيانا ، فيروي أنه : « ثار عليه ثائر ، فغزاه

(١) المقرئ ، نفح الطيب ، ٢٢١/١ .

(٢) ابن حزم : أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦ هـ) ، نقط العروس في تواريخ الخلفاء ، تحقيق د. شوقي ضيف ، مجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة - المجلد الثالث عشر ، ص ٧٢ .

(٣) المقرئ ، نفح الطيب ، ٥٤/٢ .

(٤) انظر المقرئ ، نفح الطيب ، ٢٢٩/١ .

(٥) ابن خلدون ، العبر ، ٢٦٧/٤ ، المقرئ ، ٢٢٤/١ .

(٦) محمد عبدالله عنان ، دولة الاسلام في الاندلس ، ٢٠٠/١ .

وظفر به . فبينما هو في الطريق إذ نظر إلى الثائر وهو على بقله في كبوله ، وتحت الأمير عبد الرحمن فرس له ، فلما لحقه قنع رأسه بالقناة وقال : « يا بغل ! ماذا تحمل من الشقاق والنفاق » فقال الثائر : « يا فرس ماذا تحمل من العفو والاشفاق ! » فقال : « والله لا ذقت موتا على يدي » وأطلقه (١) .

وفاته

توفي الداخل في عام ١٧٢ هـ بعد أن أرسى دعائم الحكم لابنائه من بعده ، وبعد أن قضى على كثير من مخالفيه ومعارضيه (٢) .

ذكر ابن حزم : أن نولة بني أمية بالاندلس كانت أنبل دول الاسلام ، وانكاهها في العز ، وقد بلغت من العز والنصر ما لا مزيد عليه « (٣) .

ولاية العهد

اختلفت الروايات حول ولاية العهد ، وهل عهد الداخل بالأمر لأحد أبنائه قبل وفاته ، أم لم يعهد وترك الأمر لغيره ؟

ذكر ابن الخطيب : أن الداخل عهد الأمر لابنيه هشام (٤) وسليمان (٥) فاستحقها هشام باستباقه إلى قصر الخلافة قبل أخيه ، إذ كانا غائبين ، ولما حضرته الوفاة وابنه

(١) ابن عذاري ، البيان ، ٥٩/٢ ، وانظر ابن حنبل ، العقد الفريد ، ٢١٥/٥ .

(٢) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٥٨/٢ .

(٣) ابن حزم برواية المقرئ ، نفح ، ٣٢٧/١ .

(٤) هو هشام بن عبد الرحمن بن معاوية ولد لأربع ليال خلون من شوال سنة تسع وثلاثين

ومائة ، كنيته أبو الوليد أمه حوراء وقيل جمال ، يروع له بعد وفاة أبيه واستتمت ولايته

سبعة أعوام ، توفي في صفر عام ١٨٠ هـ . ابن القرظي ، تاريخ علماء الاندلس ،

٢٧/٨ ، الضبي ، بقية الملتصق ، ص ١٢ ، ابن عذاري ، البيان ، ٦١/٢ .

(٥) هو سليمان بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام مولده بالشام وهو أسن من أخيه هشام ،

إلا أن في طبعه شدة وجفاء ، المقرئ ، نفح ، ٣٣٤/١ .

هشام بماردة وابنه الآخر سليمان بطليطلة ، وكل ابنه عبد الملك المعروف بالبلنسي وقال له :
 « من سبق إليك من أخويك فابراً إليه بالخاتم والأمر فإن سبق إليك هشام ، فله فضل دينه
 وعفافه ، واجتماع الكلمة عليه ، وإن سبق إليك سليمان فله فضل سنه ونجدته وحب
 الناس له » . فقدم هشام قبل أخيه سليمان فلقبه بالبلنسي وسلم إليه الأمر وأدخله
 القصر (١) .

إذا صحت هذه الرواية ، فإن الداخل يكون قد ارتكب خطأ كبيراً بتولية العهد
 لاثنتين من أبنائه ، مما أدى إلى نتائج حدة الصراع بين الأخوين كل يريد الأمر لنفسه .

ولكن هل يعقل أن يترك الداخل أمر هذه الدولة التي أسسها بعد صراع وكفاح
 مع العباسيين الذين طاردوه حتى أفلت منهم ، ومع الثوار في الداخل ، وخاض معهم
 حروباً لم يخمد أوراها إلا قليلاً ، هل يترك أمر من يتولى الأمانة بعده لمن يسبق إلى
 القصر من أبنائه ؟ ولماذا لم يعقد البلنسي لنفسه طاملاً أنه كان مقيماً في قرطبة عند وفاة
 والده ، وكان الأمر في يده ، وكان بإمكانه أن يطلب البيعة لنفسه ؟ لا أعتقد أن الداخل قد
 ترك الأمر دون تحديد لأنه يدرك تماماً الخطورة التي تترتب على ذلك .

وعلى كل فقد بويج هشام أميراً على الأندلس في مستهل جمادى الأولى سنة
 ١٧٢هـ / ٧٨٨ م ، وقد كان بماردة عند وفاة أبيه ، فلما علم بوفاته وصل إلى قرطبة في
 ستة أيام ، فبايعه الخاصة والعامة (٢) . وبمبايعة الخاصة والعامة يكون هشام هو ثاني
 أمراء الأمويين بالأندلس .

لم يتمكن سليمان من الوصول إلى قرطبة مبكراً حيث سبقه هشام ، واستلم
 زمام الأمر كما أشار إلى ذلك ابن الخطيب ، ولم يكن سليمان ليرضى بذلك وهو الذي

(١) ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ص ١٢ . وحسبما جاء في المصادر الأخرى ، أن الأمير
 عبد الرحمن بن معاوية وكل ابنه عبد الله وليس عبد الملك كما ذكر ابن الخطيب . انظر الأبار
 الحلة السيرة ، ج ١ ، ص ٦٦٣ - ٦٦٤ .

(٢) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٦١/٢ .

يحببه الشاميون حسب ما تكررت الرواية السابقة ، كما أنه أسن من أخيه ، ولكنهما كانا يختلفان في الطباع كل الاختلاف ، وقد أترك الداخل هذا الاختلاف بينهما ، فيروى أنه كان كثيراً ما يسأل عن ابنه سليمان وهشام ، فيذكر له أن هشاماً إذا حضر مجلساً ، امتلأ أدباً وتاريخاً وذكر الأمور الحرب ومواقف الإبطال ، وما أشبه ذلك ، وإذا حضر سليمان مجلساً امتلأ سخفاً وهذياناً ، فيكبر هشام في عينه بمقدار ما يصغر سليمان (١) .

ولكن على الرغم من أن ابن عذاري وابن الخطيب يشيران إلى أن الداخل ترك هذا الأمر لمن يسبق إلى دار الإمارة بعد وفاته ، إلا أننا نجد نصاً عند المقرئ ، يدل على أن الداخل أشار إلى أن هشاماً ولي عهده ، وذلك عند حديثه إلى عبد الملك بن صمر بن مروان بن الحكم الأموي ، الذي أرسله الداخل لقتال أهل غرب الأندلس ، فهزم اليمانية وأهل اشبيلية ، ولم تقم بعدها لليمانية قائمة . وقد جرح عبد الملك في هذه الحرب ، فأتاه عبد الرحمن وجرحه ينزف دماً ، وسيفه كذلك ، وقد لصقت يده بقائم سيفه ، فقبله بين عينيه ، وشكره ، وقال له : « يا ابن عم ، قد أنكحت ابني وولي عهدي هشاماً ابنتك فلانة ، وأعطيتها كذا وكذا ، وأعطيتك كذا ، ولأولادك كذا ... » (٢) .

(١) المقرئ ، نفح الطيب ، ٢٢٤/١ .

ويذكر المقرئ أن الداخل قال يوماً لهشام لمن هذا الشعر :

وتعرف فيه من وجه أبيه شماتلاً ومن خاله أو من يزيد ومن حجر

سماحة ذا وير ذا وفاء ذا ونائل ذا اذا صبحا واذا سكر

فقال له : يا سيدي لامرئ القيس ملك كنده ، وكفته قاله في الأمير أعزه الله ، فضمه إليه استحساناً بما سمع منه ، وأمر له باحسان كثير وزاد في عينه . ثم قال لسليمان طي انفراد : لمن هذا الشعر وأتشد البيتين ، فقال لطلهما لأحد أجلاف العرب ، أمالي شغل غير حفظ بعض أقوال الاعراب ، فأنطق عبد الرحمن وعلم قدر ما بين الاثنين من المزية .

المقرئ ، نفح ، ٢٢٤/١ .

(٢) المقرئ ، نفح الطيب ، ٥٩/٣ ، وانظر كذلك ابن الأثير ، عز الدين أبي الحسن محمد بن

محمد بن عبد الكريم الجزري (ت ٦٢٠ هـ) ، الكامل في التاريخ ، الناشر : دار الكتاب

العربي - بيروت - لبنان ، الطبعة الثالثة ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م ، ٤٠/٥ .

نستخلص من هذا الحديث الذي جرى بين الداخل ، وبين عبد الملك بن عمر ، أن الداخل كان يقر بولاية العهد لابنه هشام .

ويشير كل من ابن الأثير والنويري صراحة إلى أن الداخل ، عهد لابنه هشام ، لأنه كان يتوسم فيه الشبهة والاضطلاح بهذا الأمر ، ولهذا عهد إليه (١) .

لقد تضاربت الروايات حول ولاية العهد كما رأينا ، ولكن الذي أرجحه ، هو أن الداخل عهد إلى ابنه هشام صراحة قبل وفاته ، إذ أنه من غير المعقول أن يترك أمر هذه الدولة التي أسسها بعد عناء وجهد ومثابرة تون تعديد من سيخلفه ، والاشارات واضحة في تولية هشام .

ولكن ماذا كان رد فعل سليمان عندما علم بأن هشاما سبقه ، وتولى الأمر بعد أبيه ؟ يروى ابن عذاري : أنه لما صار الأمر إلى هشام ، واتصل ذلك بسليمان أخيه ، أخذ بيعة أهل طليطلة ، وماجاورها لنفسه ، وغلب عليها (٢) .

أذن فإن سليمان لم يعترف بأمرة هشام ، وما هو يأخذ البيعة لنفسه من أهل طليطلة ، والمناطق المجاورة لها ، استعدادا لأخذ بيعة المناطق الأخرى ، ومنازعة هشام في الأمر . وهذا أول خطر حقيقي يهدد النولة الأموية في الأندلس بعد وفاة مؤسسها عبد الرحمن بن معاوية ، إذ بدأت الاطماع والاحقاد تلعب دورها لتفت في عضد النولة ، وتعزق وحدتها من داخل الاسرة الأموية .

وبعد سبعة أشهر فقط من وفاة الداخل ، إذا بعبد الله البلبسي ، شقيق هشام ، يطمح في أن يكون أميرا مكان هشام ، الذي كان يترضاؤه ويبره ، ويفضله على كثير من اخوته ، ولكن نفس عبد الله أبت عليه الا الخروج على أخيه ، والالتحاق بسليمان في طليطلة (٣) . وذلك ليشكلا معا قوة ضاغطة على أخيهما هشام . ولا أدري لماذا لم يعلن

عبد الله رأيه هذا عندما كان الأمر في يده ؟

(١) انظر ابن الأثير ، الكامل ، ٨٤/٥ ، النويري ، نهاية الأرب ، ٢٥٢/٢ - ٢٥٣ .

(٢) البيان للمغرب ، ٦٣/٢ .

(٣) ابن عذاري ، البيان للمغرب ، ٦٣/٢ .

كان لابد لهشام من تصرف سريع وحاسم لوضع حد لهذه التصرفات المشينة من قبل اخوته . فخرج في سنة ١٧٣ هـ / ٧٨٩ م للقاء أخيه سليمان بطليطلة واخضاعه ، ولما نزل عليه إذا به يخرج مستخفيا يريد قرطبة ، وخلف على طليطلة عبدالله البلنسي ومعه ابنه ، وبلغ خبره إلى هشام إلا أنه لم يكثر له . ولما وصل سليمان قرطبة خرج أهلها مدافعين عنها ، ولم يتمكن من الاستيلاء عليها ، أما هشام فقد استمر محاصرا طليطلة مدة شهرين ثم قفل عنها . ولما لم يظفر سليمان بشيء في قرطبة ، طارده الجند حتى ماردة التي حاول الاعتصام بها ، ولكن عاملها رده عنها ، ففر إلى بلنسية (١) ، ولجأ هناك إلى بعض الثغور (٢) .

لقد ضاقت الأحوال بعبدالله البلنسي ، وسئم من المغازاة ، ولذلك ذهب بنفسه في سنة ١٧٤ هـ / ٧٩٠ م إلى أخيه هشام لئلا يهدد ولا أمان ، فانزله هشام عند ابنه الحكم ، وبذلك انكسرت شوكة عبدالله ودخل في طاعة الأمير هشام (٣) .

أما سليمان ، فإن هشاماً أغزى ابنه معاوية وبعض قواده إلى تدمير (٤) ، التي لجأ إليها سليمان ، فاضطر سليمان إلى طلب الأمان ، فاشتراط عليه الأمير هشام الخروج عن الأندلس مقابل إعطائه ستين ألف دينار ، فخرج مع أهله وولده إلى بعض بلاد البربر (٥) .

(١) بلنسية : كورة ومدينة مشهورة بالأندلس ، تقع في شرقي قرطبة ، وهي برية بحرية ،

سهلية في مستو من الأرض ، عامرة القطر كثيرة التجارات وبها أسواق رحط وأقلاع .

ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٤٩٠/١ ، الحميري ، الروض المعطار ، ص ٩٧ .

(٢) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٦٣/٢ .

(٣) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٦٤/٢ .

(٤) تدمير : بالضم ثم السكون ، وكسر الميم ، إحدى كور الأندلس وهي في شرقي قرطبة

وسميت باسم صاحبها الذي صالح عبدالعزيز بن موسى نصير عند الفتح . ياقوت بن

الحمري ، معجم البلدان ، ١٩/٢ ، الحميري ، الروض المعطار ، ص ١٣١ - ١٣٢ .

(٥) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٦٤/٢ .

ويخرج سليمان إلى بلاد البربر ، ولجوء عبدالله البلقسي إلى هشام بقرطبة ، انتهت الفتنة التي تفجرت بسبب ولاية العهد ، والتي شغلت الأمير هشام زهاء العامين ، ومن ثم صفا له الأمر ، واستقرت له الإمارة .

وقد توافرت صفات الحاكم المسلم ، العادل ، في الأمير هشام ، فقد لقب بالرضا (١) ، لعده وفضله (٢) ، ووصف بأنه كان « حسن السيرة متحريراً للعدل ، يعود المرضى ويشهد الجنائز » (٣) . وقد تولى مباشرة الرعية بالرفق والتواضع ، والاقتصاد في اللبس والمركب (٤) .

ووصف أيضاً بأنه كان « عاقلاً حازماً ذا رأي وشجاعة وعدل محباً لأهل الخير والصالح راغباً في الجهاد » (٥) .

وكان يذهب بسيرته مذهب عمر بن عبدالعزيز - رحمه الله - ويبحث بقوم من ثقافته إلى الكور فيسألون عن سير حاله ، ويخبرونه بحقائقها فإذا بلغه حيف من أحدهم ، أوقع به العقوبة وأسقطه وأنصف منه ، ولم يستعمله بعد (٦) .

كذلك فقد كان الأمير هشام يخرج في الليالي المظلمة الشديدة المطر ومعه صرير الدراهم يتحرى بها المساتير ، ونوي البيوتات من الضعفاء (٧) ، وكان أيضاً يصر

(١) ابن حزم الأندلسي ، رسالة نطق العروس في تواريخ الخلفاء ، ٤٨/٢ .

(٢) ابن الأبار ، الحلة السراء ، ٤٢/١ .

(٣) ابن حزم ، مجموعة رسائل ابن حزم ، الملحق ، ص ٩٢ ، الحميدي ، جنوة المقتبس ، ص ١٠ .

(٤) ابن القرطبة ، تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٦٢ ، مجهول ، أخبار مجموعة ، ص ١٠٩ .

(٥) النويري ، نهاية الأرب ، ج ٢٢ ، ص ٢٥٨ .

(٦) المقرئ ، نفح الطيب ، ٢٧٧/١ .

(٧) عبدالواحد المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي - دار الكتاب - الدار البيضاء - ١٩٧٨ م ، ص ٢٢ .

الصرر بالأموال ، ويبحث بها إلى المساجد في الليالي المظلمة ، فتعطى لمن وجد فيها يريد بذلك عمارة المساجد (١) .

إن الامام العادل هو الذي يهتم بأمور رعيته ، ويسهر على مصالحهم وهاهو الأمير هشام يتحرى ويسأل عن الضعفاء ، وذوي الحاجة ، في الليالي المظلمة ليسد عوزهم وفقرهم .

وكان نقش خاتمه « بالله يثق هشام ويعتصم » (٢) . وهو الذي أكمل بناء المسجد الجامع بقرطبة ، وبنى عدة مساجد ، وبلغ من عز الاسلام وذل الكفر في عهده ، أن رجلا مات وأوصى بفك أسير من المسلمين من تركته ، فطلب ذلك فلم يوجد في دار الكفار أسير مسلم ليفك لضعف العدو (٣) . ويرى ابن القوطية : أنه لما وصفت سيرته للامام مالك بن أنس قال : « ليت الله زين سمعتنا بمثل هذا » (٤) .

ولاية هشام وولاية ابنه الحكم ،

توفي الأمير هشام بن عبدالرحمن في سنة ١٨٠هـ / ٧٩٦م ، وولى بعده ابنه الحكم ، وله ثنتان وعشرون سنة ، وكنيته أبو المعاصي ، وأمه أم ولد اسمها زخرف (٥) .

ويرى أنه « كان أفعل بني أمية بالاندلس ، وأشداهم اقداما وصرامة وانفة وأبهة وعزة ، إلى ما جمع لذلك من جودة الضبط وحسن السياسة وإيثار النصفه ، وكان يشبه بالمنصور العباسي في شد الملك ، وقهر الأعداء وتوطيد الدولة » (٦) ، كما كان شديد

(١) ابن هبدرية ، العقد الفريد ، ٢١٦/٥ ، مجهول ، اخبار مجموعه ، ص ١١٠ .

(٢) النويري ، نهاية الأرب ، ج ٢٢ ، ص ٢٥٨ .

(٣) ابن هبدرية ، العقد الفريد ، ٢١٦/٥ ، النويري ، نهاية الأرب ، ٢٥٨/٢٢ .

(٤) تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٦٢ .

(٥) الضبي ، بغية الملتصق ، ص ١٣ ، ١٤ .

(٦) ابن سعيد ، أبو الحسن طي بن موسى (ت ٦٨٥ هـ) ، المغرب في حلي المغرب ، تحقيق

الدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر -- الطبعة الثانية ١٩٦٤م ، ج ١ ، ص ٢٨ .

الحزم، ماضي العزيمة ، عظيم الصولة حسن التدبير ، يسلط قضائه وحكامه على نفسه فضلا عن ولده وخضمه (١) . « وهو أول من استكثر من الحشم ، وارتبط الخيول على بابه ، وناول جبابرة الملوك في أحواله ، وبلغ معاليكه خمسة آلاف : ثلاثة آلاف منهم فرسان وهم الخرس ، وسموا بذلك لعجمتهم » (٢) .

وكانت له ألف فرس مرتبطة بجانب القصر ، فكلما حمل إليه البريد خبرا بأمر ، أو خارجي ، عاجله قبل علمه ، فلا يشعر ، إلا وقد أحيط به (٣) . كذلك كان يطلع على أموره بنفسه ، القريب منها والبعيد ، وكان له نفر من ثقات أصحابه يطالعونه بأحوال الناس ، فيردع الظالم ، وينصف المظلوم (٤) .

وكان نقش خاتمه : « بالله يثق الحكم وبه يعتصم » (٥)

المشكلات الداخلية في عهد الحكم

خروج حميه سليمان وعبدالله ،

كانت أول مشكلة واجهت الحكم بعد مبايعته ، هي خروج حميه سليمان وعبدالله عليه ، وهي نفس المشكلة التي واجهت والده الامير هشام بعد توليه الحكم ، واستغرقت منه زهاء عامين حتى تم حسمها بلجوء عبدالله البننسي إليه من غير أمان ، وبخروج سليمان إلى بر العدو كما سبقت الإشارة إلى ذلك (٦) .

كان سليمان وعبدالله في بر العدو المغربية ، فلما تولى الحكم بن هشام الإمارة ، خرجا عليه ، فعبر عبدالله إلى الأندلس ، واستولى على بننسية ، وتبعه سليمان الذي

(١) ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ص ١٤ .

(٢) ابن سعيد ، المغرب في طي المغرب ، ج ١ ، ص ٢٢ ، ابن الأثير ، الكامل ، ٢٠٢/٥ .

(٣) ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ص ١٤ .

(٤) النويري ، نهاية الأرب ، ج ٢٣ ، ص ٢٧٥ ، ابن الأثير ، الكامل ، ٢٠٢/٥ .

(٥) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٦٨/٢ .

(٦) انظر : ص ..

كان بطنجة ، فاقبلا يؤايبان الناس ، ويشيران الفتنة ، ووقعت بينهما وبين الحكم عدة معارك ، ظفر فيها الحكم بعمه سليمان فقتله ، أما عبدالله فقد كف عن الفتنة وطلب الصلح ، فأجيب إلى ذلك في سنة ١٨٦ هـ (١) .

وبذلك انطفأت هذه المشكلة كلية .

ثورة الربيض ٢٠٢ هـ / ٨١٢ م .

كانت ثورة الربيض من أبرز وأكبر الأحداث التي حدثت خلال فترة الحكم ، وكان لها اثر كبير على الأوضاع الداخلية ، وعلى شخصية الحكم نفسه ، حتى أنها ارتبطت باسمه فسمى بالحكم الربيضى . فما هي أسباب هذه الثورة ؟

يرى ابن حزم أن الحكم بن هشام كان طاغية مسرفاً وله آثار سوء قبيحة (٢) . ويقول ابن حزم أيضاً : « وهو الذي أوقع بأهل الربيض الواقعة المشهورة فقتلهم وهدم ديارهم ومساجدهم ، وكان الربيض محطة متصلة بقصره ، فاتهمهم في بعض أمره ، ففعل بهم ذلك فسمى الحكم الربيضى » (٣) .

لم يحدد لنا ابن حزم ماهو الأمر الذي اتهم فيه الحكم أهل الربيض وإنما قال اتهمهم في بعض أمره . فهل مجرد الاتهام مبرر للقيام بمثل هذه الثورة التي كان لها أثر بعيد المدى في نفوس الناس ، وهدم حي بأكمله ؟

أما ابن الخطيب فيذكر أن الناس أنكروا عليه أموراً منها : « اطلاق يد ربيع القومس مثولى المعاهدين بالأندلس من النصارى ، وكان حظياً في رجاله ، سوفه افتراض المعاون والمقارم على المسلمين ، فثار به أهل الربيض بقرطبة سنة ٢٠٢ هـ الثورة الشهيرة ونابنوه وجأهروا بخله » (٤) .

(١) انظر ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ١٠١/٥ ، ١٠٢ .

(٢) مجموعة رسائل ابن حزم ، ص ١٩٢ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٩٢ .

(٤) أعمال الاعلام ، ص ١٥ .

ربما كان هذا من الأسباب التي أدت بأهل الرض إلى القيام بالثورة على الحكم، ومحاولة خلعه ، وذلك لأنه ولى نصرانيا أمر الضرائب ، وجمعها من المسلمين .
أما ابن خلدون والمقري : فيذكran أن الحكم قد انهك في لذاته في صدر ولايته ، فاجتمع أهل العلم والورع والفقهاء بقرطبة ، فثاروا به فامتنع عليهم فخلعوه ، وبايعوا أحد عمومة هشام (١) .

ويجعل ابن خلدون ثورة الرض سنة ١٩٠هـ / ٨٠٥م ، في حين أن المصادر الأخرى تجمع على أن ثورة الرض ، كانت في سنة ٢٠٢ هـ ، ولعل ابن خلدون قد خلط بين ما وقع لأهل الرض في عام ١٨٩هـ / ٨٠٤م ، والذي قتل الحكم فيه اثنين وسبعين رجلا بقرطبة وصلبهم لأنهم هموا بالخلاف عليه ، ومبايعة غيره ، كما يذكر ابن عذاري ولكن أمرهم افتضع ، وتم القبض عليهم ، وأعدموا جميعا (٢) وهي ثورة الرض الأولى .
ويرى ابن سعيد أن السبب في هذه الثورة : « أن بعض ممالك الحكم دفع سيفا إلى صيقل فمطله ، والغلام يتكرر عليه ، والصيقل يتهم به فأغلظ الغلام للصيقل ، وال الأمر إلى أن خبطه به الصيقل ، فقتله ، وثار الهيج لوقته ، كأنما الناس كانوا يرتقبونه فهتفوا بالخلعان ، وأول من شمر السلاح أهل الرض بعدوة النهر ، ثم ثار أهل المدينة والارياض ، وانحاز الامويون وأتباعهم إلى القصر ، فارتقى الحكم السطح وحرك حفاظ جنده ، قال الأمر إلى أن غلبهم الجند ، وأفشوا القتل وتتبعوا الدور » (٣) ، ويظهر لنا من هذا النص أن الناس كانوا في حالة غليان من شيء ما ضد الحكم وحاشيته ، وليس هناك من مبرر لكي يمتل الصيقل غلام الحكم سيفه ، فلما حدث القتل هاج الناس ، كأنما كانوا في حالة ترقب لقتل هذا الحدث .

ويذكر ابن سعيد أنه بلغ من استخفاف أهل الرض بالحكم إلى الحد الذي كانوا ينادونه ليلا من أعلى صوامعهم الصلاة الصلاة يامضور (٤) .

(١) ابن خلدون ، المعبر ، ٢٧٤/٤ ، المقري ، نفح الطيب ، ٢٢٩/١ .

(٢) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٧١/٢ .

(٣) المغرب في حلى المغرب ، ٤٢/١ .

(٤) المصدر نفسه ، ٤٢/١ .

ويرى ابن عذاري : أن هيج الريض كان أصله الأشمر والبطر إذ لم تكن هناك ضرورة من اجحاف في مال ، ولا انتهاك لحرمة ، ولا تعسف في ملكة ، والحال تدل على ذلك ، إذ أنه لم يكن هناك على الناس وظائف ، ولا مغارم ولا سخر ، تدعوهم إلى الخروج على السلطان (١) . ولكن لا يعقل أن يكون أشمر الناس ويطرهم سببا لثورة بهذه الضخامة ، فرأى ابن عذاري في هذه المسألة غير مسلم به ، وليست الوظائف والمغارم والسخر فقط هي التي تدعو الناس إلى الثورة على الأوضاح القائمة .

نخلص إلى أن سوء مسلك الحكم ، وسوء بعض عماله كان من أهم الأسباب التي أدت إلى ثورة الريض .

وعلى أية حال فانه في اليوم الثاني للثورة - والتي كانت في يوم الاربعاء الثالث عشر من رمضان سنة ٢٠٢ هـ - أمر الحكم بهدم الريض القبلي حتى صار مزرعة ، ولم يعمر طول مدة بني أمية ، وتتبع دور أهل الخلاف في غير هذا الريض بالهدم والاحراق . وبعد ثلاثة أيام أمر برفع القتل ، وبسط الامان على أن يخرج الثوار من قرطبة ، فذهب جزء منهم إلى طليطلة وسار خمسة عشر ألفا منهم في البحر حتى نزلوا الاسكندرية ، حيث تقاتلوا مع أهلها فانزلهم والى مصر جزيرة اقريطش (٢) فعمروها (٣) .

وبعد هدم الريض وتعطيله ، ترك الحكم وصية لمن يخلفه ، وعهدا على بنيه على أن لا يعمر الريض ، فلم تختط فيه دار الى آخر دولتهم (٤) . ولكن الحكم لم يزل حلوة

(١) البيان المغرب ، ٢/٧٦ .

(٢) اقريطش : جزيرة في البحر الشامي ، وهي جزيرة عامرة كثيرة الخصب ، طولها من الشرق إلى الغرب ثلاثمائة ميل . بينها وبين جزيرة صقلية مسيرة تسعمائة ميل وبين اقريطش وجزيرة قبرص أربعة مجار ، افتتحها عبدالله بن سعد بن أبي سرح - الحميري ، الروض المعطار ، ص ٥١ .

(٣) ابن سعيد ، المغرب ، ٢/٤٢ ، الحميري ، الروض المعطار ، ص ٥١ .

(٤) ابن الأبار ، الحلة السيرة ، ١/٤٤ .

العيش بعد وقية الرض ، وأمتحن بعة صعبه طوائفه أربعة أعوام ، مما اضطره إلى الاحتجاب آخر مدته ، واستنابة ابنه عبدالرحمن في تدبير شئون الامارة (١) .

ولما اشتد المرض على الامير الحكم ، أخذ البيعة لابنه عبدالرحمن (٢) ثم لابنه المغيرة من بعده ، وانعقدت البيعة لعبدالرحمن يوم الاربعاء الحادي عشر من ذي الحجة ٢٠٦ هـ / ٨٢٢ م ، حيث بويج له في ذلك اليوم بالقصر ، واختلف الناس بعد ذلك إلى داره ببياضونه ، وببياضون المغيرة أيضا في داره (٣) .

وقد ندم على ما اقترفته يده من ذنوب ، فيذكر ابن الأبار : انه مات « على توبة من ذنوبه وندم على ما اقترف منها » (٤) .

ويقول ابن عذاري : « ولما دنت وفاته عتب نفسه فيما تقدم منه عتابا ، وتاب إليه متابا ، ورجع إلى الطريقة المثلى ، وقال ان الآخرة هي الأبقى والأولى فتزين بالتقوى » (٥) .

ولعل خير ختام لعهد الحكم هو أن نستعرض وصيته التي أوصاها لابنه عبدالرحمن لما فوض الأمر إليه ، وولاه عهده ، وتبرز لنا الوصية مدى التغيير الذي طرأ على شخصية الحكم ، وقد ذكر هذه الوصية ابن سمالك العمالي في كتابه الزهرات

(١) ابن الأبار ، الحلة السيرة ، ٤٦/١ - ٤٧ .

(٢) هو عبدالرحمن بن الحكم بن هشام بن عبدالرحمن بن معاوية ، رابع الأمراء الأمويين بالاندلس ، ولد بطليطلة عندما كان والده الحكم واليا عليها لابيه هشام ، يكنى أبوالمطرف ، وأسم أمه حلاوة . ولى في ذي الحجة سنة ٢٠٦ هـ . وكانت ولايته احدى وثلاثين سنة وثلاثة أشهر (ت ٢٢٨ هـ) . ابن الفرضي ، تاريخ طغاة الأندلس ، ٢٨/١ - ٢٩ . الضبي ، بغية الملتصق ، ص ١٤ ، ابن الأثير ، الكامل ، ٢٠٣/٥ ، ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٨٠/٢ .

(٣) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٧٧/٢ .

(٤) الحلة السيرة ، ٤٧/١ .

(٥) البيان المغرب ، ٨٠/٢ .

المنشورة ، حيث قال له : « يا بني طيب نفسا بما يصير اليك من سلطاني ، وانبسط منه كيف شئت ، فقد مهدت لك الملك ، ووطأت لك الدنيا ، وذلك لك الاعداء ، وأمنت عليك الاختلاف والمنازعة ، فتولى الامور بك وأزينها لك حفظ أهلك ومراعاة عشيرتك ، ثم الذين يلونهم من مواليك ، فهم أولياؤك حقا ، وأنصارك صدقا ، ومشاركوك في حلوك ومرك ، فيهم أنزل ثقتك ، وأياهم وأس من نعمتك ، وإن رأيت فيمن يرتقى من صنائعك رجلا لم تنهض به سابقة ويشف بخصلة وتطمع به نفس وهمه فاعنه واختبره وقدمه واصطنعه ، ولا يريبنك خمول أو ليته ... ولا تدعن مجازاة المحسن باحسانه ، ومعاقبة المسيء بإسأته ، فأنك عند التزامك لهذين ووضعك لهما مواضعهما يرغب فيك ويرهب منك ، وملاك ذلك كله أن تتقي الله ما استطعت وتعديل في أحكامك ، وتخفيف من حكامك ، وإلى الله أكلك وإياه أستحفظك ، فقد مان الموت عليّ إذ خلفني مثلك » (١) .

أنها وصية جامعة جاءت نتيجة تجربة وخبرة في الحكم بلغت ستة وعشرين سنة ، فبعد أن مهد له الطريق وأزال العقبات وذل الصعاب ، يوصيه بالاهتمام بأهله وعشيرته ومواليه فهم الأقرب إليه ، والأولى بالاهتمام والحفظ من غيرهم ، إذ هم الذين يشاركونه في الحل والمر ، ويعنى بذلك أنهم أول من يقف معه وقت الشدة والازمات إذا نزلت ، فلا بد له من أن يوليهم عناية خاصة ، ويضمهم محل ثقته ، ويسبغ عليهم النعمة ، ويصدق عليهم من العطايا والهبات ، ويوصيه أيضا باصطناع الرجال ومجازاة المحسن باحسانه ، والمسيء بإسأته ، وتقوى الله قبل كل شيء والعدل في الأحكام وتخفيف الحكام .

ولاية عبدالرحمن بن الحكم ،

خلف عبدالرحمن بن الحكم (٢٠٦ - ٢٢٨ هـ / ٨٢١ - ٨٩٢ م) والده بونما مشكلة تذكر بخصوص ولاية العهد ، فقد بويع له قبل وفاة والده كما ذكرنا ، بل كان هو الذي يتولى تصريف الأمور في آخر أيام والده عندما اشتد عليه المرض ، فقد تخلى له والده عن النظر في امور الدولة وأراد أن يخطي له قصر الامارة ، ولكنه أبى واكتفى

(١) ابن سناء العاملي ، الزهرات المنشورة ، ص ١٢٨ - ١٢٩ .

بالقعود على باب السدة مقعد صاحب المنيعة فاستحسن والده ذلك ، وبدأ بتغيير المنكر (١) ، وبعد وفاة الحكم ببيع له رسميا بالإمارة في يوم الخميس الثالث وقيل الرابع من ذي الحجة ٢٠٦هـ / ٨٢١م ، واستمرت ولايته إحدى وثلاثين سنة وثلاثة أشهر وبذلك أصبح رابع أمراء بني أمية بالاندلس (٢) .

يقول ابن عذاري : « لما ولي الأمير عبدالرحمن ، بعث في أخوته وأهله ووزرائه ، فبايعوه ، وبايعته العامة . ثم صلى على أبيه الحكم . فلما قضى صلاته وواراه ، جلس بالأرض متطأطئا ، ليس تحته وطاء ، وجلس من كان معه . ثم افتتح القول ، فقال : « الحمد لله الذي جعل الموت حتما من قضائته ، وعزما من أمره ، وأجرى الأمور على مشيئته ، فاستأثر بالملكوت والبقاء ، وأذل خلقه بالفناء ، تبارك اسمه وتعالى جده ، وصلى الله على محمد نبيه ورسوله ، وسلم تسليما ، وكان مصابنا بالامام - رحمه الله - مما جلت به المصيبة ، وعظمت به الرزية ، فعند الله نحسبه ، وإياه نسأل الهام الصبر ، وإليه نرغب في كمال الاجر والنخر ، وعهد اليك بما فيه صلاح أحوالكم وأسنا ممن يخالف عهده ، بل لكم لدينا المزيد ان شاء الله » . وخرجت لهم الأموال والكسى على قدر أقدارهم» (٣) .

استهل عبدالرحمن عهده بهذه الخطبة القصيرة التي التزم فيها بما أوصاه به والده ، من مراعاة صلاح أحوال الرعية ، والالتزام التام بكل ما عهد إليه والده به ، وعدم مخالفته في وصيته وطمأنتهم بالمزيد من صلاح الأحوال ، وقد التزم التزاما كاملا بذلك ، فأين عذاري يقول : « لم يلق المسلمون معه يؤسا ، ولم يروا في مدته يوما عبوسا . وهو أول من جرى على سنن الخلفاء في الزينة والشكل وترتيب الخدمة ، وكسب الخلافة أبهة الجلالة ، فشيد القصور وجلب إليها المياه ، وبنى الرصيف ، وعمل عليه السقائف ، وعمل

(١) ابن فضل الله العمري ، مسالك الابصار ، مخطوط ، ج ٢٤ ، ص ٢١٥ .

(٢) ابن الأبار ، الحلة السيرة ، ١١٢/١ ، ابن صبريه ، العقد الفريد ، ٢١٨/٥ .

(٣) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٩٠-٩١/٢ ، وانظر ابن الأبار ، الحلة السيرة ،

المساجد الجوامع بالآندلس ، وعمل السقاية على الرصيف ، وأحدث الطرز ، واستنبت عملها ، واتخذ السكة بقرطبة . وفخم ملكه ، وفي أيامه دخل الآندلس نفيس الوطاء وغرائب الأشياء » (١) .

ويقول النويري : « وهو أول من رتب اختلاف الفقهاء إلى قصره وأمرهم بالكلام بين يديه ... وكانت أيامه أيام عافية وسكون ، وكثرت الأموال عنده وأقام أبهة المملكة ورتب رسومها » (٢) .

ويقول ابن سعيد : أن الأمير عبدالرحمن هو الذي أحدث بقرطبة دار السكة ، وضرب الدراهم باسمه ، ولم يكن فيها ذلك مذ فتحها العرب . وفي أيامه أدخل للآندلس نفيس الجهاز من ضروب الجلائب ، وأحسن لجاليه وهو الذي اتخذ للوزراء في قصره بيت الوزارة ، ورتب اختلافهم إليه في كل يوم يستدعيهم معه أو من يختص منهم ، أو يخاطبهم برقاع فيما يراه من أمور النولة (٣) .

وكان يقال لآيامه أيام العروس (٤) ، أما نقش خاتمه فهو : « عبدالرحمن بقضاء الله راضى » (٥) .

(١) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٩١/٢ ، ابن فضل الله العمري ، مسالك الإبهصار في مسالك الأمصار ، مخطوط ، ج ٢٤ ، ص ٢١٦ .

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج ٢٢ ، ص ٢٨٦ - ٢٨٧ .

(٣) المغرب في حلى المغرب ، ٤٦/١ .

(٤) المصنف نفسه ، ٤٦/١ .

(٥) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٨١/٢ .

السفارات في عهد الأمير عبدالرحمن الأوسط .

بدأ تبادل السفارات في عهد الأمير عبدالرحمن الأوسط مع الممالك الخارجية ،
لاشعارها بقوة وسلطة الإمارة الأموية في الأندلس .

فقد وفد على الأمير عبدالرحمن رسل ملك المجوس (٥) تطلب الصلح بعد خروجهم
من اشبيلية (١) ، وقتل قائد أسطولهم فيها . وقد أوفد معهم الأمير عبدالرحمن سفيره
يحيى بن حكم (٢) المعروف بالغزال لمقابلة ملك المجوس . وركب الغزال البحر ، وبصحبه
شخص آخر ، وقد لقيأ أهوالا عظيمة في البحر إلى أن تمكنا من الوصول إلى ملك
المجوس ، وسلمناه رسالة الأمير عبدالرحمن ، فسر بها سرورا عظيما ، كما سر من دهاء
وحكمة وفطنة الغزال . وبعد عدة أشهر قضاهما الغزال ، وصاحبه في بلد المجوس قفلا
راجعين إلى الأندلس ، محملين بالهدايا والتحف (٣) .

(٥) المجوس هم النورمان الدنماركيون الذين هاجموا سواحل شبه الجزيرة الايبيرية . انظر :
ابن حيان : أبو مروان حيان بن خلف بن حسين (ت ٤٦٩ هـ) ، المقتبس من أخبار بلد
الأندلس ، تحقيق د. عبدالرحمن الحجي ، نشر وتوزيع دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٨٣ م ،
ص ٢٤٩ - ٢٥٠ . وكان ظهور المجوس لأول مرة في سنة ٢٢٠ هـ حيث هاجموا
بمراكبهم سواحل الأندلس وأثاروا الرعب والفرع بين المسلمين . وقد تمكن المسلمون من
الانتصار عليهم بعد عدة وقائع . انظر ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٨٧/٢ - ٨٨ .
(١) اشبيلية مدينة جليلة قديمة حاضرة لها أسوار حصينة وهي مولية على النهر وهو في
غربها وهي من الكور المجندة نزلها جند حمص وطل على اشبيلية جبل الشرف . تبعد
عن قرطبة ثمانين ميلا .

انظر : الحميري : محمد بن عبدالمنعم ، الروض المطار في خبر الأقطار ، تحقيق
د. احسان عباس ، مكتبة لبنان ، الطبعة الثانية ١٩٨٤ م ، ص ٥٨ - ٥٩ ، وانظر أيضا
محمد عبدالله حنان ، الآثار الأندلسية الباقية ، ص ٤٥ .

(٢) يحيى بن حكم المعروف بالغزال بتخفيف الزاي شاعر كثير القول مطبوع النظم في الحكم
والجد والهزل . ولد سنة ١٥٦ هـ في إمارة الأمير عبدالرحمن بن معاوية وتوفي في إمارة
الأمير محمد بن عبدالرحمن سنة ٢٥٠ هـ وهو ابن أربع وتسعين سنة .
انظر الضبي ، بغية الملقم ، ترجمة رقم ١٤٦٨ ، ص ٥٠٠ - ٥٠١ .

(٣) انظر ابن حية الكلبي : أبو الخطار عمر بن حصن (ت ٦٢٣ هـ) ، المطرب من أشعار
أهل المغرب ، تحقيق ابراهيم الأبياري وآخرون ، الناشر : دار العلم للجميع ، بيروت ،
لبنان ، ص ١٣٨ - ١٤٠ .

وقد فكر المستشرق ليفي بروفنسال ، استنادا على مخطوطة لابن حيان (مفقودة الآن) أن هذه السفارة تم تبادلها بين تونس ملك القسطنطينية ، وبين عبدالرحمن الأوسط في سنة ٢٢٥ هـ ، حيث بعث تونس بهدايا إلى الأمير عبدالرحمن ، وطلب مواصلته ، ورغبه في ملك سلفه بالمشرق ، وطلب منه أن يعقد معه معاهدة صداقة ، ورجع بروفنسال أن سفارة الغزال إلى الدنمارك التي نكرها ابن نحية إنما هي ضرب من الخيال ، وأن سفارة الغزال كانت إلى بلاط القسطنطينية ، وليست إلى الدنمارك (١) .

ويشير المقرئ باقتضاب إلى السفارة التي تم تبادلها بين تونس ملك القسطنطينية ، وبين الأمير عبدالرحمن الأوسط في سنة ٢٢٥ هـ ، ولكنه لم يعطنا تفصيلات وأهية من هذه الزيارة (٢) .

ونظرا لعدم وجود المخطوط الذي أشار إليه بروفنسال ، فأرجح صحة ما ذكره ابن نحية ، بأنه تم تبادل السفارات بين بلاط الدنمارك ، وبين الإمارة في قرطبة ، كما أنه ليس هناك ما يمنع من أن هناك سفارة أخرى ، تم تبادلها بين ملك القسطنطينية ، والإمارة في قرطبة .

ونكته .

توفي الأمير عبدالرحمن في ربيع الأول من سنة ٢٢٨ هـ / ٨٥٢ م ، وكان قد احتجب قبل وفاته مدة ثلاثة أشهر أو نحوها ، من أجل علة أصابته ، وأعجزته عن الحركة ، وهدت قوته (٣) .

(١) انظر ليفي بروفنسال ، الاسلام في المغرب والأندلس ، ترجمة د.المعيد محمود عبدالعزيز سالم ، الناشر دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة ، ص ٩١-١١٨ .

(٢) انظر المقرئ ، نفح الطيب ، ٢٤٦/١ .

(٣) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د.محمود على مكى ، طبعة بيروت ، ص ١٠٤ .

ولاية العهد ،

يقول ابن حيان : « كان الأمير عبدالرحمن قد كشف عن مذاهب والده ولدا ولدا ، وعجم أخلاقهم اختبارا ، فوجد محمدا (١) منهم راجحا لهم بخلاله ، فاضلا باعتدال أحواله ، فأظهر تفضيله عليهم بعد علم منه بهم ، وأوعز إلى وزرائه وأهل خدمته أنه مكان ولاية عهده ، المفوض إليه الأمر من بعده ، ويتقدم إليهم جميعا وإلى القاضي وأهل الشورى بالركوب إلى محمد وغشيان مجلسه أيام الجمع عند صدورهم عن المسجد ، ففعلوا ذلك وزاد أمره بيانا باحضاره إياه في عليته من قصره ، وإيثاره له على جميع ولده ، بتفريده دونهم بوهيته في ملكه ، وتحليته بما لم يطلعوا عليه : يتقدم إليهم بأمره ، ويرسم له بما يحتاج إليه ، فبدلا من ذلك تم له الحكم عند مهلك والده » (٢) .

وقال ابن حيان أيضا : « وكان الذي استدلوا به على ترشيح الأمير والده إياه تصديره لرسالة بن أذفونش ملك الفرنجة القادم عليه مكانه ، ثم الزامه إياه الركوب إلى بلاط الريح لتصفح الكتب المرتفعة إليه واختصارها له ، وكان ذلك سنة عملها الأمير عبدالرحمن برأي صاحبه ابن شهيد وسعيه في توكيد أمر محمد وتوهم ما كان يحاوله نصر الفتى ضده ... » (٣) .

ومن خلال ما ذكره ابن حيان في النصين السابقين ، يتضح لنا أن الأمير عبدالرحمن ، قد اختار ابنه محمداً ليخلفه ، لما كان يتمتع به من خلال تفوق خلال إخوته الآخرين ، وبايعاه إلى وزرائه وقضاة وأهل شورته بغشيان مجلسه ، وتقديمه له لاستقباله لرسالة ملك الفرنج ، والرد على المكاتبات الواردة إلى الإمارة ، بعد تصفحها اقراراً له بخلافته ، وتدريباً له على إدارة شئون الإمارة . ولكن كان هناك اعتراض على

(١) محمد بن عبدالرحمن بن الحكم يكتي أباً عبدالله . أمه أم واد اسمها تهتر ، ولد في ذي

القعدة سنة ٢٠٧ هـ وتولى في ٢٢٨ هـ . (ت ٢٧٢ هـ) . ابن الفرضي ، تاريخ علماء

الأندلس ، ص ٢٩ ، الضبي ، بغية الملقم ، ص ١٥ .

(٢) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ١٠٤ .

(٣) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ١٠٢ - ١٠٤ .

ولاية محمد من قبل طروب حظية الأمير عبدالرحمن ، التي كانت تريد أن تصرف الأمر إلى ابنها عبدالله ، الذي لم يكن أهلاً لذلك ، وكان لطرób تحكم كبير على الأمير عبدالرحمن أوجبت به صرف الأمر إلى ابنها . وقد اصطنعت أهل القصر من الخدم والنساء والفتيان طمعاً في أن يؤول الأمر إلى ابنها . وكان نصر الفتى - أكبر خدم الأمير عبدالرحمن - يوافقها في رواها حتى أنه دبر مكيدة للقضاء على الأمير عبدالرحمن ليسقيه سماً ، ولكن الأمر انقلب عليه عندما علم الأمير عبدالرحمن بهذه المكيدة ، فسقى نصراً السم الذي أعده له ، وتوفى نصر عقب ذلك (١) .

وبعد وفاة الأمير عبدالرحمن ظلت زوجته طروب ، وابنها عبدالله ، وفتياتها الصقالبة الذين اصطنعتهم ، عقبه كدءاً ، ومشكلة حقيقية تواجه الأمير محمد .

(١) ابن القوطية ، تاريخ ، ص ٩١ .

دور الفتيان الصقالبة في اختيار الأمير محمد :

قبل أن نتحدث عن الدور الذي قام به الصقالبة في اختيار من يخلف الأمير عبدالرحمن ، لابد من الإشارة إلى المقصود من كلمة الصقالبة عند الأمويين بالأندلس .
والمقصود بالصقالبة في الأندلس ، سكان البلاد المختلفة ، من بلغاريا العظمى ، التي امتدت أراضيها من بحر قزوين إلى البحر الأدياتي . ولكن كلمة Esclave (صقلب) فرنسية قديمة معناها عبد أو رقيق ، وهي التسمية التي أطلقها الجغرافيون العرب في العصور الإسلامية الأولى على الشعوب السلافية عامة ، لأن بعض الجرمان ، والسكندنافيين ، دأبوا على سبي تلك الشعوب السلافية ، وبيع رجالها ونسائها إلى عرب إسبانيا ، فأطلق عليهم العرب اسم الصقالبة . ثم توسع العرب في استخدام هذا اللفظ ، فأطلقوه على أرقائهم من أية أمة نصرانية . واستخدم الأمويون في إسبانيا كذلك الخصيان لخدمة الحريم ، واتخذ اليهود في فرنسا من تلك التجارة حرفة يربحون منها (١) .

ومن ذلك يتضح أن مصطلح الصقالبة في إسبانيا كان يطلق على الأرقاء الذين يجلبون من أية أمة نصرانية ، وقد أكثر الأمويون في الأندلس من استخدام هؤلاء الصقالبة ، وكذلك استخدام الخصيان للخدمة داخل قصورهم ، للخدمات المتعلقة بالحريم ، وقد مر بنا أن الحكم الربضي بلغت ممالك خمسة آلاف (٢) ، وكانوا يسمون بالخرس لعجمتهم ، وتطالعنا المصادر الأندلسية كثيرا بهؤلاء الفتيان الصقالبة ، أو الخصيان الذين يؤدون خدمات جليلة للأمراء داخل قصورهم ، وتدرجيا شكل هؤلاء الفتيان طبقة لها تأثيرها في المجتمع الأندلسي . وكان الأمير عبدالرحمن من الذين أكثروا من استخدامهم ، وكان لهم دور بارز في الأحداث التي تلت وفاته .

(١) أحمد مختار العبادي ، الصقالبة في إسبانيا ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد ،

١٢٧٢هـ / ١٩٥٢م ، ص ٨-٩ .

(٢) انظر : ص ٧٩ .

كان لهؤلاء الفتيان الصقالبة في عهد الأمير عبدالرحمن ، زعيم مرأس فيهم ، ذا فضل ودين وزهد . وكان قد حج واعتدل مذهبه ، وكان محل ثقة هؤلاء الفتيان ، كما كان يميل إلى الأمير محمد ، ويريد له الأمانة بعد والده (١) ، فاتفق معه الأمير محمد على أنه إذا حل الموت بولده ، أن يشعره بذلك ، ويعمل على إخالة القصر ، دون علم أخيه عبدالله ابن عبدالرحمن الذي كان مترصدا له ، فلما توفي الأمير عبدالرحمن ، بعث الفتى الصقلبي ، ويدعى حبيب إلى الأمير محمد ، يعلمه بوفاة والده ، ويدعوه ، ويستحثه سرا على الحضور إلى القصر ، فأعلنت الحيلة ، حتى تمكن الأمير محمد من دخول القصر ، وأجلسه الفتيان على سرير والده فصحت له الأمانة بذلك (٢) .

وقد كانت الأمانة أن تنصرف إلى الأمير عبدالله بن عبدالرحمن ، لولا حكمة الفتى حبيب ، الذي كان ذا دين وفضل ، وقد تمت مشاورات بينه وبين الفتيان الموالين لطروب ، وابنها عبدالله ، واستطاع في نهاية الأمر أن يقتنعهم بمبايعة الأمير محمد ، الذي أدخلوه سرا إلى القصر ، ومن ثم استوى على سرير الأمانة ، فبايعوه ، ثم استدعى إخوته ، وأهل بيته ، وعمومته ، ومواليه من الوزراء ، وأهل الخدمة ، والجند ، والقواد ، فبايعوه جميعا في تلك الليلة (٣) ، ثم أخذ له قاضي الجماعة بالمسجد الجامع بقرطبة ، بيعة العامة أياما حتوالية ، فكانت بيعته أتم بيعة ، وأحفلها أخذا (٤) .

وتكشف لنا هذه الأحداث ، التي وقعت إثر وفاة الأمير عبدالرحمن بن الحكم ، عن النفوذ الكبير الذي بلغه الصقالبة داخل قصر الأمانة .

ولاية الأمير محمد ،

وعلى أية حال فقد بويع محمد بن عبدالرحمن في سنة ٢٢٨هـ / ٨٥٢م ، وهو ابن ثلاثين سنة ، وكان من أيمن أمراء بني أمية بالأندلس ملكا ، وأسراهم نفسا ، وأكرمهم تثبنا

(١) ابن حيان ، المقتبس ، ص ١٠٨ .

(٢) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د. محمود علي مكي ، ص ١٠٨ .

(٣) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٩١ وما بعدها ، ابن حيان ، المقتبس ، ص ١١١ -

١١٢ ، ابن سعيد ، المغرب في ظل المغرب ، ج ١ ، ص ٥٢ .

(٤) ابن حيان ، المقتبس ، ص ١٢٠ .

وأناة (١) ، وسلك مسلك أبيه عبدالرحمن في اغلاظ الحجاب ، واعزاز السلطان ، وتفخيم المملكة ، وتشريف المراتب السلطانية ، والزيادة في أبهة الخلافة ، كما ألزم الوزراء ، وأهل الخدمة ، جميعا بالحضور إليه يوميا في القصر ، ليوافونه بمعلومات ، وتقارير ، عن سير أعمالهم المحددة لهم (٢) ، وصفا له العيش في ظل أمارته ، وكفى المسيء اعتذارا بفضل راقته ، وكان له في مدته الآثار الجميلة ، والفتوح العظيمة ، والعناية التامة بمصالح المسلمين ، والامتناع بالثغور ، وحفظ الاطراف ، والتحرز من قبل البحر ، وكانت لا تجرى في بحره جارية إلا عن معرفته (٣) ، مما يدل على مدى القوة التي بلغتها الدولة في عهده ، وكان يتولى محاسبة أهل خدمته ، ويتعقب أمورهم بنفسه ، لنفوذه في الحساب ، وصحة قريحته ، وتمكنه في فنون العلوم والآداب ، فكان يوقفهم على موضع الخطأ والخلل في أعمالهم (٤) . قال وزيره هاشم بن عبدالعزيز (٥) : « كان الأمير محمد من أبصر الناس بالرأي وأنفذهم لأجوده ، فكان يجمعنا للمشورة على رسم من قبله فنجتهد ، ويقول كل واحد منا ما يحضره ، فإن وافق ماقد انتقاءه هو أمضاه عن تحصيل ، وإن كان في الرأي خلل ناظرنا على خطئه ، وقلب لنا وجوهه ، وعدلنا عنه بحجاج ، وتبيان لانكاد ندفعه ، فتصفي افهامنا إليه ، وتختاره » (٦) . وكان نقش خاتمه : « بالله يثق محمد وبه يعتمد » (٧) .

(١) ابن الأبار ، الحلة السيرة ، ١١٩/١ .

(٢) ابن حيان ، المقتبس ، ط بيروت ، ص ١٢٩ .

(٣) ابن فضل الله العمري ، مسالك الأبحار ، مخطوط ، ج ٢٤ ، ص ٣١٨ .

(٤) مجهول ، أخبار مجموعة ، ص ١٢٦ .

(٥) هو هاشم بن عبدالعزيز بن هاشم بن خالد بن عبدالله بن حمزة بن جعد بن أسلم بن أبان بن

عمرو ، مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه ، أخو القاضي أسلم بن عبدالعزيز ، كان مولده

في أيام عبدالرحمن بن الحكم . قتله المنذر بن محمد ليلة الأحد لأربع بقين من شوال سنة

٢٧٣ هـ . ابن الأبار ، الحلة السيرة ، ١٢٧/١ وما بعدها ، الضبي ، بقية المقتبس ، ترجمة رقم

١٤٢٤ ، ص ٤٨٤ .

(٦) ابن حيان ، المقتبس ، ص ١٢٤ .

(٧) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٩٤/٢ .

واستمرت دولة الأمير محمد في هدوء ، وأمن ، واستقرار ، حيناً من الزمان ، لم
يعكر صفوها شيء ، سوى ما تعرضت له الأندلس من مجاعة كبرى في سنة
٢٦٠هـ / ٨٧٣م ، أثرت تأثيراً كبيراً على الرعية ، ومات أكثرهم وجرى المثل بها على السنة
الناس (١) .

الخارجون على الأمير محمد ،

اضطربت أحوال الأندلس الداخلية في أخريات أيام الأمير محمد ، وذلك بسبب
سوء تصرفات الوزير هاشم بن عبد العزيز ، ونشأت الفرقة ، ونجم أهل الشقاق بكل جهة ،
وكان أول الخارجين عليه عبد الرحمن بن مروان المعروف بالجليقي (٢) سنة ٢٦١هـ - ٨٧٤م ،
وخرج عاصياً من مصاف السلطان بقرطبة ، إلى جهة بلده بالغرب ، قاطعاً للسبيل ، وخالفاً
للطاعة (٣) ، فغزاه الأمير محمد ، وحاصره ، وضيق عليه الخناق ، واضطره إلى طلب
الامان ، فأتاح له الرحيل إلى بطليوس (٤) ، والحلول بها ، وكانت يومها قرية
صغيرة (٥) .

(١) ابن حيان ، المقتبس ، ط بيروت ، ص ٢٤٢ .

(٢) هو عبد الرحمن بن مروان الجليقي منسوب إلى بلده جليقية ، من مولدي الغرب الغالبين في
الدواية ، كان ذا بأس شديد وكيد عظيم إلى دهاء ومكر ووصف بالشر لا يلحقه فيه من أحد من
نظرائه ، وقد كان في جملة المشتم في ديوان السلطان . وكان السبب في هروبه وخلعه الطاعة
أن الوزير هاشم بن عبد العزيز قال له من بين الوزراء : « الكلب خير منك » وأمر بصنعه قفاه
واستبلغ في خزيه فهرب مع أصحابه ، ابن حيان ، ط بيروت ، ص ٢٤٢ - ٢٤٤ ، الضبي ،
بغية الملتصق ، ترجمة ١٠٤٥ ، ص ٢٧١ ، ابن عذاري ، البيان ، ١٠٢/٢ .

(٣) ابن حيان ، المقتبس ، ط بيروت ، ص ٢٤٢ .

(٤) بطليوس : بفتحين ويسكون اللام . مدينة كبيرة من أعمال ماردة على نهر آتة غربي قرطبة ولها
عمل واسع ، بينها وبين ماردة أربعون ميلاً . ياقوت ، معجم البلدان ، ٤٤٧/١ ، الصميري ،
الروض المطار ، ص ٩٢ .

(٥) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ١٠٢/٢ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ٧ .

بدأت أحوال الدولة الداخلية في الاضطراب منذ أواخر عهد الأمير محمد ، وبدأت تطفح على السطح مظاهر التمرد بدءاً بابن مروان الجليقي ، ثم تلتها ثورات أخرى ، نهشت جسد الإمارة الأموية .

يقول ابن الخطيب : والثوار في دولة بني أمية متعددون : شقي بهم الملوك ، وتنقص بهم الخلفاء ، واضطروا إلى مسالحتهم تارة ، ومحاربتهم أخرى ، وجعلوا رسم الوفاء لمن عادوه منهم سياسة ، لولاها لجل الخطب ، ولم يخلص الملك (١) .

فتنة عمر بن حفصون ،

من الفتن الخطيرة التي اندلعت في أخريات أيام الأمير محمد ، فتنة عمر بن حفصون (٢) ، الذي أعيا أمره أمراء بني أمية ، وطالت فتنته وعظم شره ، وكانت فتنته في سنة ٢٧٢هـ ، بناحية رية (٣) ، وكان عاملها من قبل الأمير محمد هو عامر بن عامر ، الذي تقدم لمحاربة ابن حفصون ، ولكن ابن حفصون تمكن من أن يلحق به هزيمة كبيرة ، واجتمع إليه أهل الشر ، فعزل الأمير محمد عامله على كورة رية ، وولاه عاملاً آخر استطاع أن يهان ابن حفصون وهدأت الأحوال بينهما (٤) .

(١) أعمال الأعلام ، ص ٣٦ .

(٢) عمر بن حفصون هو كبير الثوار بالأندلس ، ونسبه عمر بن حفص المعروف بحفصون بن عمر بن جعفر بن شتيم بن زبيان بن فرغلوش ابن أذفونش من مسالة الغلطة ، من كورة تاكرنا من عمل رندة - وكان الذي أسلم منهم جعفر بن شتيم ، ففشا نسله في الاسلام . وكان له من الولد الذكور عمر وعبدالرحمن ، فواد عمر بن جعفر حفصا ، وولد حفصون هذا عمر الثائر الملعون ، فهو الذي ثار على الأمير محمد أولاً ، ثم بلغ بعد ذلك في الشقاق والفتن مبلغاً لم يبلغه ثائر بالأندلس . ابن عذاري ، البيان المغرب ، ١٠٦/٢ ، وانظر الضبي ، بغية الملتصم ، ترجمة رقم ١١٦٢ ، ص ٤٠٦ .

(٣) رية : كورة واسعة بالأندلس متصلة بالجزيرة الخضراء ، وهي كثيرة الخيرات ولها مدن وحصون ورمثاق واسع . ياقوت ، معجم البلدان ، ١١٦/٢ .

(٤) ابن عذاري ، البيان للمغرب ، ١٠٤/٢ ، ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ١٠٢ .

ثم أرسل الأمير محمد في العام نفسه ، ابنه المنذر إلى كورة ريه ، ومعه أحد القواد ، وقصد مدينة الحامة ، التي كانت تظاهر عمر بن حفصون ، وحاصرها لمدة شهرين ، وضيق عليها الحصار من كل جانب ، وبينما هو محاصر لها ، أتاه الخبر بوفاة والده ، ففعل مسرعاً إلى قرطبة وألركه قبل مواراته (١) .

ولاية المنذر بن محمد ، (٢)

خلف المنذر بن محمد والده في الحكم ، إذ تولى في الثالث من ربيع الأول سنة ٢٧٣ هـ ، وكان أشد الأمراء شكية ، وأمضاهم عزيمة ، ولما ولي الإمارة بعث إليه أهل طليطلة بجبايتهم كاملة ، فردها عليهم ، وقال لهم استعينوا بها في حربكم ، فأننا سائر اليكم ، إن شاء الله (٣) .

وكان عاقلاً سخيلاً لأهل العلم والصلاح ، مصطنعاً لكل من أخذ بحظ من علم وأدب (٤) ، وأبقى على وزراء أبيه ، وأعاد الخاملين منهم إلى الوزارة (٥) .

ولم تطل مدة إمارته ، فقد لبث سنتين في الحكم ، لم يستطع أن يترك خلالهما رتق ما انفتق من الإمارة ، وكبح جماح الخارجين على سلطانه ، وكان قد عقد العزم على ذلك ، إلا أن الخنية عاجلته قبل أن يحقق أمنيته ، وتوفي وهو محاصر لحصن ببشتري (٦) سنة ٢٧٥ هـ (٧) .

(١) ابن هذاري ، البيان المغرب ، ١٠٦/٢ .

(٢) هو المنذر بن محمد ويكنى أبا الحكم ، وأمه أم ولد اسمها « أنثى » وكان مولده في سنة ٢٢٩ هـ .
ولس في ربيع الأول سنة ٢٧٣ هـ ، وتوفي في سنة ٢٧٥ هـ . ابن الفريسي ، تاريخ علماء الأندلس ، ج ١ ، ص ٣٠ ، الضبي ، بغية الملتصق ، ص ١٦ .

(٣) ابن عبيدريه ، العقد الفريد ، ٢٢١/٥ .

(٤) ابن القرطبة ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ١١٣ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ١١٣ .

(٦) ببشتري : بالضم ثم الفتح ، ويكُون الشين المعجمة وفتح التاء . حصن منفرد بالامتقاع من أعمال رية بالأندلس بينة وبين قرطبة ثلاثون فرسخاً . ياقوت ، معجم البلدان ، ٣٣٣/١ .

(٧) مجهول ، أخبار مجموعة في فتح الأندلس ، ص ١٢٢ .

ولاية الأمير عبدالله بن محمد ، (١)

ولما توفي المنذر ، أخفى خبر وفاته عن ابن حفصون ، وأرسل عاجلاً إلى أخيه الأمير عبدالله بقرطبة ، الذي أتى مسرعاً إلى المكان الذي توفي فيه ، فادخل عليه في مضربه ، ووقف على موته ، وأجلس مكانه ، ولم تكن هناك بيعة متقدمة له ، ولا وصية ، فاحضر الوزراء ، وعرفهم بخبر موت أخيه ، ودعاهم إلى بيعته ، فبايعوه مختارين ، ثم تبعهم رجال قرطبة ، ومن يابهم من وجوه العسكر ، والكتاب ، والنفوذ ، والموالي ، فبايعوه على مراتبهم ، وقفل مسرعاً إلى قرطبة ، حيث صلى على أخيه ، وواراه ، ودعا الناس إلى بيعته ، فبايعه خاصتهم وعامتهم ، وخلص له الأمر (٢) .

ولي الأمير عبدالله في وقت انقسمت فيه أجزاء الدولة الأموية بالأندلس ، وتمزقت أوصالها ، وكثر الثوار في كل ناحية من نواحي الأندلس . فقد تصيحت النكت أطرافها ، واقتسمها الثوار ، وكلب عليها الأشرار ، ولم يبق منها إلا الاسم فقط فوق ظهر منبر قرطبة ، والقليل من غيرها ، وساءت الظنون ، ولم يدر عبدالله إلى أين يتجه (٣) ، وتآلب على أهل الإسلام في الأندلس أهل الشرك ، ومن شايعهم من أهل الفتنة الذين حالقوا النصاري ضد المسلمين ، فصار أهل الإسلام بين قتل ومحروب ومحصور يعيش مجهوداً ، ويمرت هزلاً ، وانقطع الجهاد إلى دار الحرب وصارت بلاد الإسلام بالأندلس هي الثغر المخوف (٤) .

في هذا الجو المشحون بالفتن والثورات يلقي الأمير عبدالله إلى الحكم .

(١) عبدالله بن محمد بن عبدالرحمن . ويكنى أبا محمد زمه أم ولد اسمها « أشار » ولد في سنة

٢٢٠ هـ . ولي سنة ٢٢٥ هـ وكانت وفاته سنة ٢٣٠ هـ بعد خلافة دامت خمساً وعشرين سنة .

ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس . ج ١ ص ٢٠ - ٢١ ، الضبي ، بغية الملقم ، ص ١٦ .

(٢) ابن حبان ، المقتبس ، نشره ملشور ، ص ١ ، ٢ ، ٣ .

(٣) ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ص ٢٧ .

(٤) ابن عذاري ، البيان ، ١٣١/٢ .

صفاته .

يعد الأمير عبدالله من أصلح أمراء بني أمية بالأندلس ، وأمثلهم طريقة ، وأتمهم معرفة ، وأمتهم نيابة ، كان يتعهد بالليل ، ويقوم ليالي شهر رمضان ، ويكثر من تلاوة القرآن ومدارسته ، وكان لا يقدم أمرا ولا يقره ، إلا عن مشورة أهل العلم والفقه (١) ، كما كان وأدعا لا يشرب الخمر (٢) .

لقد اجتمعت خصال الخير والصلاح في الأمير عبدالله ، من تقوى ، وورع وحب الخير ، ومشورة أهل العلم والفقه ، إلا أنه ابتلى بكثرة الخارجين عليه مما نغص عليه فترة حكمه ، وكان لهذه الثورات أثر كبير في نفسه .

ويذكر النويري أنه خالف عليه أهل اشبيلية ، وشذونة ، ولم تبق مدينة إلا خالفت عليه ، بل أنهم حزموا بالدعاء على منابر الأندلس للخليفة المعتضد بالله العباسي (٣) ، فكتبوا إلى واليه على أفريقية يسألونه أن يبعث إليهم رجلا من قبله ، ولكنه تناقل عنهم ، لانشغاله باضطراب أهل أفريقية عليه فأمسكوا عن ذلك (٤) .

لقد بلغت الأمور درجة من السوء حتى أن أهل الأندلس ، هموا بالدعاء للخليفة العباسي ، وإذا تم الدعاء له على منابر الأندلس ، فإن ذلك يعني نهاية الأسرة الأموية الحاكمة بالأندلس ، ولكن الله قدر لهم البقاء ، ولم يتم الدعاء للخليفة العباسي على منابر الأندلس ، كما لم يستجب الوالي العباسي على أفريقية لطلب الأندلسيين ، لانشغاله بأوضاعه الداخلية .

(١) ابن فضل الله العمري ، مسالك الإيصار ، مخطوط ، ج ٢٤ ، ص ٢٢٢ .

(٢) الضمحي ، بغية الملتصق ، ص ١٦ .

(٣) هو أبو العباس أحمد بن الموفق طاحنة ، بن جعفر المتوكل على الله ابن المعتصم بن الرشيد ، ولد سنة ٢٤٢هـ بروج بالخلافة ، وأقرب المعتضد بالله ، وذلك بعد عنه المعتمد في سنة ٢٧٩هـ . توفي ببغداد سنة ٢٨٩هـ . الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ٤/٤٠٢ ، الزركلي ، الأعلام ، ١٤٠/١ .

(٤) نهاية الأرب ، ٢٣/٢٩٥-٢٩٦ .

ان التمزق الذي أصاب الدولة الأموية منذ عصر الأمير محمد ، وحتى عصر الأمير عبدالله ، حدا بلحد الكتاب الحديثين إلى تسمية هذه الفترة ، بعصر دويلات الطوائف الأولى (١).

بلغت الامارة الأموية في عهد الأمير عبدالله حدا كبيرا من الضعف والانحلال والتفكك وفقدت الامارة هيبتها ، ولم تعد لها السيطرة على أقاليمها وكورها المختلفة ، ولم يستطع الأمير عبدالله ضبط الأمور ، فابن حفصون يغير عليه داخل العاصمة قرطبة ، ويهدده ولا يستطيع أن يفعل شيئا ازاءه (٢) .

ولا تكاد تخلو سنة من السنوات خلال حكم الأمير عبدالله من أخبار ابن حفصون أو الثائرين الآخرين . وقد أمدا ابن حيان بتفصيلات وافيه عن هذه الثورات (٣) .

كان موقف الأمير عبدالله ضعيفا ازاء هذه الثورات ، وكانت الأندلس بحاجة إلى أمير قوي يعيد للامارة هيبتها ، والدولة سطوتها ، ولم يكن الأمير عبدالله أهلا لذلك .

ونتيجة لهذه الثورات المتكررة فقد قلت الأموال ، وقتل الرجال الذين معه ، وامتنع كثير من الناس عن أداء الخراج (٤) ، وهذا أمر طبيعي في عصر اتسم بالفوضى والتمزق والانحلال ، أن يمتنع كثير من الناس عن أداء الخراج للسلطة المركزية ، التي فقدت سيطرتها على ثغورها ، وأقاليمها ، وكورها ، وأن تقل الأموال في يد السلطان لانفاقها في القضاء على الفتن ، وطبعمي أيضا ، أن يعمل الجند الذين يقاتلون مع السلطان ، فيتركونه لضعفه وقلة ماله .

(١) د. أحمد مختار العبادي ، في تاريخ المغرب والأندلس ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت ، ص ١٥٦ .

(٢) ابن حيان ، المقتبس ، ج ٣ ، نشره منشور انطونية باريس ١٩٢٧ م ، ص ٦٦ - ٦٧ .

(٣) انظر - المقتبس ، ج ٢ ، نشره منشور وهو خاص بعصر الأمير عبدالله . وانظر أيضا ابن عذاري ، البيان المغرب ، ص ١٢٢ - ١٤٩ .

(٤) النويري ، نهاية الأرب ، ٢٢/٣٩٥ - ٣٩٦ ، مجهول ، أخبار مجموعة ، ص ١٢٣ .

لم تترك هذه الثورات المتوالية فرصة للأمير عبدالله للاتجاه نحو ابتكار رسوم ونظم جديدة للإمارة ، أو الاتجاه نحو التشييد وال عمران ، فقد أنهكته هذه الثورات فأصبح جل همه هو القضاء عليها .

يقول ول ديورانت : ولعل هذه الحوادث هي التي حالت دون انتشار الدين الاسلامي في أوروبا : وذلك أن اسبانيا الاسلامية أضعفتها الحرب الاهلية (١) .

ويرى د. احسان عباس : « انه في عهد الدولة الاموية ظل ما يسمى بسيادة قرطبة شيئاً نسبياً ، لأن الحكام لم يستطيعوا ضبط جميع الجهات الاندلسية ، ولا انتهت بهم الحروب الخارجية إلى استقرار ، ولذلك كانت السيادة تنبسط حيناً على رقعة واسعة ، ويتقلص ظلها حيناً آخر ، وإذا كان عهد الولاة قد مضى في توسيع الحدود ، وفي الحروب القائمة على العصبية ، فإن عهد الدولة الاموية ، شغل كثيراً بتثبيت الحدود ، وبالقضاء على الفتن التي كان يثيرها الطامحون في الداخل » (٢) .

وفاته الأمير عبدالله وتولى الأمير عبدالرحمن بن محمد . (٣)

توفي الأمير عبدالله سنة ٢٠٠هـ / ٩١٢م ، بعد خمس وعشرين سنة قضاه في الحكم (٤) ، وترك الاندلس ممزقة الأوصال حيث لم يبق من أمارات الامويين بالاندلس إلا

(١) قصة الحضارة ، ترجمة محمد إدراة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٦٥م ، مجلد (١٢-١٤) ، ص ٢٨٢ .

(٢) تاريخ الأدب الاندلسي ، عصر سيادة قرطبة ، دار الثقافة - بيروت ، لبنان ، ١٩٦٥م ، ص ١٦ .

(٣) هو عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالرحمن بن الحكم ولد في الثالث عشر من

رمضان سنة ٢٧٧هـ ، وكان يكنى : أبا المطرف ، وأمه أم ولد اسمها مزنة . وهو أول من

تسمى بإمرة المؤمنين من الامويين في الاندلس واتصلت ولايته خمسين سنة حيث توفي في

صفر رمضان سنة ٢٥٠هـ ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ٢١/١ ، الضبي ، بغية

الملتص ، ص ١٧ ، ابن عذاري ، البيان المغرب ، ١٥٨/٢ .

(٤) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ٢١/١ ، الضبي ، بغية الملتص ، ص ١٧ ، مجهول ،

أخبار مجموعة ، ص ١٢٥ .

الاسم فقط ، وصارت البلاد في حاجة إلى شخصية قوية يجتمع عليها الناس ، وتعيد إلى
الامارة هيبتها ونفوذها على أقبايلها المختلفة فكان أن هب الله للأندلس الأمير
عبدالرحمن بن محمد .

ولاية الأمير عبدالرحمن بن محمد .

خلف الأمير عبدالرحمن بن محمد ، جده الأمير عبدالله في الحكم ، وكان والده
محمداً قد قتله أخوه المطرف بن عبدالله ، في عهد ولاية أبيهما ، وكان عبدالرحمن يبلغ من
العمر عشرين يوماً عند مقتل والده ، فولى وعمره ثنتان وعشرين سنة ، وقد تولى الأمر على
الرغم من صغر سنه ، ووجود جماعة من أكابر أعمامه ، وأعمام أبيه ، وبعض ذوي النسب
من الأمويين بالعاصمة قرطبة ، فكانت ولايته من المستطرف (١) . ويرى أن جده الأمير
عبدالله كان يرشحه لهذا الأمر دون بنيه ، ويحظيه ، وربما أقعده في بعض الأيام والأعياد
مقعده ، ليسلم عليه الجند ، فتطقت آمال أهل الدولة به (٢) ، ويقال أن جده رمى إليه
بخاتمه ، ابانة منه لاستخلافه (٣) ، وأشار ابن حزم إلى أنه ولي الإمارة بعد تشاور من
أمراء بني أمية بالأندلس (٤) .

لم تكن أحوال الإمارة مشجعة لكي يتقدم أحد من هؤلاء الأعمام لمنازعة الأمير
عبدالرحمن في ولاية الأمر ، فقد كانت الأمور كما قدمنا على درجة كبيرة من السوء
والفلك ، فوافق جميع الحاضرين على ولايته ، وجلس للبيعة في محراب المجلس الكامل
بقصر قرطبة وتولى له أخذها على الخاصة والعامة بدر بن أحمد موله ، وموسى بن محمد
بن حدير (٥) صاحب المدينة ، وأحضر أعمامه وأعمام أبيه ، وطبقات قريش وصنوف

(١) ابن فضل الله العمري ، مسالك الأيصار ، مخطوط ، ٢٢٢/٢٤ ، الضبي ، بغية الملتبس ، ص ١٧ .

(٢) ابن عذاري ، البيان ، ١٥٧/٢ .

(٣) المصدر نفسه ، ١٥٧/٢ .

(٤) نقط العروس في تواريخ الخلفاء ، ٥٥/٢ .

(٥) موسى بن محمد بن حدير الحاجب ، رئيس كان في أيام عبدالرحمن الناصر ، من أهل الأدب

والشعر ، ومن أهل بيت رياسة وجمالة . الضبي ، بغية الملتبس ، ترجمة رقم ١٢٢٠ ، ص ٤٥٥ .

الموالى وعامة الناس قبايعوا مبايعة رضى واغتباط « (١) ، فاستقبل الملك بسعد ، لم يخالف عليه أحد ، أو يخرج عليه إلا غلبه وأخذ ما في يده (٢) .

لقد رأينا ما آل إليه أمر الإمارة في عصر الأمير عبدالله من تفكك وانقسام، فكان لابد للأمير الجديد عبدالرحمن بن محمد أن يسعى لرأب الصدع ، ويخضع الكور والأقاليم والمئن التي خرجت على سلطان الجماعة ، ويعيدها إلى دائرة الإمارة . وهي مهمة شاقة بلا شك تنتظر الأمير عبدالرحمن . وقد قام بها خير قيام .

فقد تمكن الأمير عبدالرحمن بن محمد خلال فترة الإمارة التي استمرت من ٢٠٠-٢١٦هـ/٩١٢-٩٢٨م من اخضاع معظم الكور والحصون والمئن التي كانت خارجة على سلطان الدولة منذ عصر الأمير محمد بن عبدالرحمن ، واستطاع أن يعيد كثيرا من المخالفين إلى الطاعة مرغمين (٣) .

وقد مهدت هذه الانتصارات الفاتكة التي أحرزها الأمير عبدالرحمن ، مع بعض الأحداث الأخرى في العالم الاسلامي ، لتطور هام تغير به وجه الأندلس كلية لتنتقل من عصر الإمارة إلى عصر الخلافة .

(١) ابن عثاري ، البيان المغرب ، ١٥٨/٢ .

(٢) مجهول ، أخبار مجموعة ، ص ١٢٥ .

(٣) انظر ابن حبان ، المقتبس ، ج ٥ ، الأحداث من سنة ٢٠٠ هـ إلى سنة ٢١٦ هـ .

البحث الثاني

الخلافة منذ إعلانها (٢١٦ هـ / ٩٢٨ م) ،

حتى نهاية عهد الحكم السني (٢٦٦ هـ / ٩٧٦ م)

الخلافة منذ اعلانها سنة ١٣١٦هـ حتى سنة ١٣٦٦هـ .

بذل الامير عبد الرحمن بن محمد جهودا كبيرة في سبيل
توحيد الامارة الاتدلسية العميقة ، واعادة المخالفين الى
الطاعة ، وقد احرز نجاحا كبيرا خلال السنة عشر عاما
المعمرمة من سنى حكمه في عصر الامارة . وقد سبقت الاشارة
الى ذلك .

وتبدأ الفترة الثانية من حكم الامير عبد الرحمن
بإعلانه الخلافة في سنة ١٣١٦هـ / ١٩٢٨م .^(١)

الخلافة في اللغة والمصطلح :

الخلافة لفظة :

الخلافة مصدر خلف ، وخلفته اذا جئت بعده ، وظل فلان فلاننا ، اذا
كان خلفته ، يقال خلفه في قومه من باب كتب ، ومنه قوله تعالى
" اخلفني في قومي " وخلفه جاء بعده .^(٢)

وأطلقت الخلافة على الأمانة في اللغة وعلى السلطان الأمم ، وللمنظ
خلاف مصدر يدل على معنى الكثرة ، ويراد به كثرة اجتهاده في ضبط أمور
الخلافة وتهريف أعضائها .^(٣)

(١) انظر ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٢ / ١٥٧ .

(٢) سورة الاحرف ، الآية (١٤٢) .

(٣) الجوهري ، اسماعيل بن حاد ، الصحاح ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ،
القاهرة ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ، ج ٤ ، ص ١٢٥٦ - ١٢٥٧ .

(٣) ابن منظور ، جمال الدين ابو الفضل محمد بن جلال الدين ، لسان
العرب ، اعداد وتعليق يوسف خياط وتديم مرعشلي ، دار لسان العرب ،
بيروت - لبنان ، المجلد الاول ، ص ٨٨٢ - (بدون تاريخ طبع) .

الخلافه في الاصطلاح :

هي نفيابة عن النبي صلى الله عليه وسلم "في حراسة الدين وسياسة الدنيا" ^(١).

تعدد الائمة :

يرى الفقهاء عدم انعقاد الامامة لامامين في بلدين لانه لايجوز أن يكون لامة امان في وقت واحد ، ولكن بعضهم يرى ^(٢) جواز ذلك .

قال البغدادي : "لايجوز أن يكون في الوقت الواحد امامان ، واجبي النظامه ... الا ان يكون بين البلدين بحر مائع من وصول نصره اهل كل واحد منهما الى الاخرين ، فيجوز حينئذ لاهل كل واحد منهما عقد الامامة لواحد من اهل ناحيته" ^(٣).

وقال امام الحرمين الجويني : "والذي عندي فيه ان عقد الامامة لشخصين في مفع واحد محتايق الخطط والمخالف غير جائز ، وقد حصل الاجماع عليه . واما اذا بعد المدى ، وتخلل بين الامامين شموع النوى ، فللاحتمال في ذلك مجال ، وهو خارج عن القواطع" ^(٤).

-
- (١) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ٥ .
 (٢) انظر الممدد نفسه ، ص ٩ .
 (٣) البغدادي : الامام أبي منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي (ت ٤٢٩هـ) ، كتاب اصول الدين ، استانبول ، مطبعة الدولة ، الطبعة الاولى ١٣٤٦هـ/١٩٢٨م ، ص ٢٧٤ .
 (٤) امام الحرمين الجويني (ت ٤٧٨هـ) ، الارشاد الى قواطع الادلة في اصول الاعتقاد ، تحقيق د. محمد يوسف موسى وعلى عبد المنعم عبد الحميد ، الناصر مكتبة الخانجي مصر ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م ، ص ٤٢٥ .

ومن ذلك نرى أن الأصل في الدولة الإسلامية وحدة الخلافة وعدم تعدد الأئمة ، ولكن بعض الفقهاء أجازوا هذا التعدد في بعض الحالات كوجود بحر قاسم بين الاقطار ، أو انقسامها وبعدها .

شروط متولى الخلافة :

- (١) العدالة على شروطها الجامعة .
- (٢) العلم المؤدى الى الاجتهاد في النوازل والاحكام .
- (٣) سلامة الحواس من السمع والبصر واللسان ليصح معها مباشرة ما يدرك بها .
- (٤) سلامة الاعضاء من نقص يمنع عن استيفاء وسرعة النهوض .
- (٥) الراى الملقى الى مياسة الرعية وتدبير المصالح .
- (٦) الشجاعة والنجدة المؤدية الى حماية البيئة وجهاد العدو .
- (٧) النسب وهو ان يكون من قبيلة لورود النص فيه والبقاء
(١)
الاجماع عليه .

هذه هي الشروط التى ينبغي توافرها فى الخليفة المختار . فهل استوفى الأمير عبد الرحمن هذه الشروط ليمكن نفسه خليفة ؟ وكيف تقبلت الأمة الإسلامية عهد الأئمة فى الدولة الإسلامية الواحدة ؟

(١) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ٦٠

أرى أن الأمير عبد الرحمن كان أهلاً للخلافة ومحتوفاً لشروطها
وقادراً على النهوض بأعبائها كما سنرى . أما كيف تقبلت الأمة إماميين
في وقت واحد فقد كان الواقع يفرض عليها ذلك .

وعلى كل فقد دخلت بلاد الأندلس في مرحلة جديدة من اللحظة
التي أعلن فيها الأمير عبد الرحمن نفسه خليفة على الأندلس . ويحدثنا
ابن حبان أنه في هذه السنة (٥٢٦ هـ) استكمل مرتبة الخلافة ، واستتم
مسميها بتسميته بأمير المؤمنين ، وتلقب بالناصر لدين الله ، وهو
أول من لقب بأمير المؤمنين من أمراء الأمويين بالأندلس ، ولم يسبقه أحد
بذلك ، إذ كان سلفه يخطب لهم بالامارة فقط ويسمون ببني الخلافة .^(٢)

(١) المقتبس ، ج ٥ ، تحقيق ب . شالميتا ، ص ٢٤١ ، وانظر المهودي ، التنبيه
والإشراف ، ص ٢٨٨ .

(٢) ابن حزم ، جبهة أنصاب العرب ، ص ١٠٠ ، ابن عذاري البيان المغرب ١٥٧/٢ ،
ابن فضل الله العمري ، مصالك الأبصار ، ج ٢٤ ، ص ٢٢٢ - ٢٢٣ ، القرمانلي :
أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي ، أخبار الدور وأثار الأول
في التاريخ ، عالم الكتب ، بيروت ، ص ١٤٥ ، المقرئ ، أرهاق الريساني
في أخبار عياض ، تحقيق إبراهيم الأبياري ومبد الحفيظ شلي ، مطبعة
لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة - ١٣٥٩ هـ / ١٩٤٠ م ، ص ٢٥٨ ،
ابن تغري بردي ، جمال الدين أبي المحاسن الاتابكي ، (ت ٨٧٤ هـ) النجوم
الراهرة في ملوك مصر القاهرة ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف
والترجمة والطباعة والنشر (بدون تاريخ طبع) ج ٢ ، ص ٢٣٠ ، المقرئ
بهاية الأرب في فنون الأدب ، ج ٢٢ ، ص ٢٩٧ ، أبو الفلاح عبد الحى بن
العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩ هـ) ذخرات الذهب في أخبار من ذهب ، المركز
التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان (بدون تاريخ طبع)
ج ٣ ، ص ٣ ، مجهول المؤلف ، العيون والحداق في أخبار الحفاق ، على
بشرة وتحقيقه ووضع فهرسه عمر السعيد ، دمشق - ١٩٧٢ م ، ج ٤ ، ص ١٧١ ،
ابن أبي نينار : أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيثي القيرواني
المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس ، تحقيق محمد شمام ، الناشر : المكتبة
العتيقة - تونس ، ص ١٠٠ .

أسباب إعلان الخلافة ،

نكر كل من ابن الكردبوس وابن أبي دينار : أن الأمير عبدالرحمن بن محمد خطب لنفسه بإمرة المؤمنين ، وكان من تقصمه من آياته يخطبون لبني العباس (١) .

ولكن كما نكرت في مبحث الأمانة (*) ، فإن الأمير عبدالرحمن الداخل فقط هو الذي خطب لبني العباس مدة وجيزة ، ثم قطع نكرهم في الخطبة ، وليس كل من تقدم من أمراء الأمويين كان يخطب لبني العباس ، كما نكر ابن الكردبوس وابن أبي دينار .

وقد أشار المؤرخون إلى الأسباب الحقيقية التي جعلت الأمير عبدالرحمن يعلن الخلافة في قرطبة . فابن سعيد نقل عن صاحب كتاب المسهب (**) قوله : « إنما تسمى بأمير المؤمنين حين بلغه أن المقتدر (٢) خطب له بالخلافة وهو بن البلوغ » (٣) .

(١) ابن الكردبوس ، تاريخ الأندلس ، ص ٦٢ ، ابن أبي دينار ، المؤنس ، ص ١٠٠ .

(*) انظر ص ٩٩ - ٩٠ .

(**) صاحب كتاب المسهب في فضائل المغرب ، هو عبدالله بن ابراهيم الحجاري ، نسبة إلى وادي الحجارة ، وهو من المصادر الأندلسية المفقودة .

انظر حسين مؤنس ، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس ، ص ١٤٩ وما بعدها .

(٢) هو جعفر بن المعتضد بالله ، ولد في رمضان سنة ٢٨٢ هـ ، وأمه أم ولد يقال لها شبيب ، بويج

له بالخلافة في ذي القعدة سنة ٢٩٥ هـ ، وكان عمره إذ ذاك ثلاث عشرة سنة ، ولقب بالمقتدر

بالله ولكن الوزير استصغره بعد أن تم له أمر البيعة ، فعزم على خلعها ونقله الخلافة أبا

عبداله محمد بن المعتمد على الله . وبالفعل تم خلعها في سنة ٢٩٦ هـ ، ويويج لابن المعتز

بالخلافة ، وحدثت اضطرابات وفوضى في هذه الفترة فاعيد المقتدر إلى الخلافة مرة أخرى .

كان مقتله في سنة ٣٢٠ هـ ، عندما انصرف مؤنس مولاه من الموصل إلى بغداد ، ومعه عدد

كبير من الجند ، الذين كانوا يطالبون الخليفة بالأموال . وقد أشار بعض رجال الخليفة إليه

بالخروج لملاقاة جيش مؤنس ، وخرج مكرهاً لذلك ، وانخرل عنه من كان معه من الجند ، فوجد

بعض جند مؤنس من المغاربة والبربر فرصة ضربوا فيها الخليفة وقتلوه . وكان يقول لهم قبل

مقتله ويحكم أنا الخليفة . فقالوا له عرفناك وسبوه ثم قتلوه . ورفعوا رأسه على خشبة وهم

يكبرون ويلعنونه .

(٣) المغرب في حلى المغرب ، ١٨٢/١ .

ولكن عندما أعلن الأمير عبدالرحمن الخلافة في سنة ٢١٦ هـ ، لم يكن الخليفة
المقتدر العباسي في تلك الوقت دون البلوغ ، فهو حينذاك كان في الرابعة والثلاثين من
عمره ، فهذا الرأي غير مسلم به .

وتذكر بعض المصادر أنه أعلن الخلافة حينما بلغه ضعف الخلافة العباسية
ببغداد أيام المقتدر ، وانعلاء الشيعة بالخلافة بالقيروان ، كما اتفقت على أن إعلانه الخلافة
كان في سنة ٢١٦ هـ / ٩٢٨ م (١) .

انظر : مسكويه ، أبو علي أحمد بن محمد المعروف بمسكويه (ت ٤٢١ هـ) ، كتاب
تجارب الأمم ، مصر ، ١٣٣٢ هـ ، ج ١ ، ص ١-٧ ، ص ٢٢٢ ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ
، ج ٦ ، ص ١١٩-١٢٠ ، ٢٢٠-٢٢٢ ، مجهول ، العيون والحدائق ، ج ٤ ، ص ١٣١ ،
(١) ابن الأثير ، الحلة السيرة ، ج ١ ، ص ١٩٨ ، الضبي ، بغية الملتصق ، ص ١٧ ، الحميدي ،
جنوة المقتبس ، ص ١٣ ، ابن سعيد ، المغرب ، ١/٨٢ ، النويري ، نهاية الأرب ، ج ٢٣ ، ص
٣٩٧ ، السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ) ، تاريخ الخلفاء ،
تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ، الطبعة الأولى ١٣٧١ هـ / ١٩٥٢ م ، ص ٥٢٣ ، وقد خطب
الفاطميون لأنفسهم بالخلافة وإمرة المؤمنين في ربيع الآخر سنة ٢٩٧ هـ (وذلك قبل إعلان
الأمير عبدالرحمن الخلافة بنحو عشرين عاما تقريبا) ، وذلك بعد دخول أبو عبدالله الشيعي
القيروان ، واسمه الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا من أهل صنعاء ، فبعد وصوله إلى
القيروان أخرج مرسوما إلى أتباعه بأن يدعى له بالخلافة وإمرة المؤمنين ، فقرأ السجل على
الناس برفادة القيروان والقصر القديم ، كما نقشت السكة باسمه وكتب الطرز كذلك باسمه
وجاء في السجل بعد ذكر وصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين
والائمة الاطهار أن يقال : « اللهم صل على عبيدك وخليفك القائم بأمر عبادك في بلادك أبي
محمد الإمام المهدي بالله أمير المؤمنين ، انظر القاضي النعمان بن محمد ، رسالة افتتاح
الدعوة ، تحقيق واداد القاضي ، بيروت - ١٩٧٠ م ، ص ٢٤٩ - ٢٥٠ ، أديس عماد الدين
القرشي ، (ت ٨٧٢ هـ) ، عيون الاخبار وفنون الآثار ، تحقيق د.عصطفى غالب ، ص ١١٢ ،
المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ١/٦٦ ، ابن أبي دينار ، المؤنس ، ص ٥٤ .

أما ابن الأثير ، وابن كثير ، وابن خلدون ، فقد فكروا أن إعلانه الخلافة ، كان في سنة ٢٢٧ هـ (١) . ويبدو أن الأحداث اختلطت عليهم ، فالمصادر كلها أجمعت على أن إعلان الأمير عبدالرحمن نفسه خليفة ، كان في سنة ٢١٦ هـ .

يقول ابن خلدون : « وهو أول من تسمى بأمير المؤمنين في الأندلس ، عندما تلاشى أمر الخلافة بالمشرق ، واستبد موالى الترك على بني العباس ، وبلغه أن المقتدر قتل مؤنس المظفر مولاه سنة سبع وعشرين وثلاثمائة ، فتلقب بالقباب الخلفاء (٢) . وحسبما يرى ابن خلدون فإن إعلان الأمير عبدالرحمن الخلافة كان متزامنا مع مقتل المقتدر وهو سنة ٢٢٧ هـ وذلك قبل سبع سنوات من التاريخ الذي حدده ابن خلدون لمقتله .

وقال المقري : أنه « أول من تسمى بأمير المؤمنين من بني أمية بالأندلس لأن الدولة عظمت في أيامه ، حين اختل نظام ملك العباسيين بالمشرق ، وتغلبت عليه الأعاجم (٣) . وبذلك يرى المقري أن عظم الدولة في عهد الناصر واختلال الخلافة العباسية بالمشرق من الأسباب التي أدت بالناصر إلى إعلان الخلافة .

وعلى أية حال فإن الروايات المختلفة لإعلان الأمير عبدالرحمن الخلافة بالأندلس ، كلها تجمع على أن ضعف الخلافة العباسية بالمشرق وتلاعب الأتراك بها ، وإعلان العبيديين أنفسهم خلفاء بالقيروان كانت من النوافع الرئيسية لإعلانه الخلافة وتسميه بأمير المؤمنين ،

ومن خلال التوجمة التي أوردها للمقتدر (٤) يتضح لنا مدى الضعف الذي أصاب الخلافة العباسية ، ومدى نفوذ الموالى الأتراك وتسلطهم في تولية وعزل الخليفة .

(١) انظر ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٢٦٠/٦ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٢٢٨/١١ ، ابن خلدون ، العبر ، ٢٩٨/٤ .

(٢) العبر ، ٢٩٨/٤ .

(٣) ازهار الرياض في أخبار عياض ، ٢٥٨/٢ .

(٤) انظر ص ٦٨ ، هامش ٤ ولزيد من التفصيل ، انظر : ابن الأثير ، ٢٢٠/٦ ، النويري ، نهاية الأرب ، ٩٨/٢٢ وما بعدها .

وأخيرا ضاعت هيبة الخلافة كلية بضرب جند مؤنس من المغاربة والبربر للخليفة واهانته وسببه .

إن هذه الأسباب في مجملها كانت مشجعة للأمير عبدالرحمن لكي يعلن نفسه خليفة ، طالما ضاعت هيبة الخلافة العباسية بالشرق ، وأصبح الخليفة العوي في يد مواليه يحركونه أنى شأوا ، كما أعطى إعلان الفاطميين الخلافة لأنفسهم بالقيروان دافعا قويا للأمير عبدالرحمن لكي يعلن نفسه خليفة ليصبح هناك خليفتان في الدولة الإسلامية الواحدة ، أو بالأحرى ثلاثة خلفاء (*) .

إن وجود أكثر من خليفة في الدولة الإسلامية ، في وقت واحد ، دليل على التمزق الذي أصاب جسد الأمة ، ودليل على التغيير الذي طرأ على مفاهيم المسلمين ، ودليل على الضعف الشديد الذي اعتري الخلافة العباسية في بغداد ، حيث لم تعد لها السيطرة على أقاليم الدولة الإسلامية ، وصار الناس يتقبلون أية دعوة بالخلافة وليس بالضرورة أن يكون الخليفة مالكا للحرمن الشريفين كما كان الفهم السائد لدى الناس في السابق .

وإضافة لتلك الأسباب التي ذكرت بشأن إعلان الخلافة ، واستقرار لواقع الدولة الاندلسية ، أنه كان لابد للأمير عبدالرحمن من إعلان الخلافة ، لأن لقب الإمارة وحده لم يعد كافيا لإدخال الهيبة في نفوس الاندلسيين الذين أزهقوا الدولة بالشورات المتكررة ، وهندروا أمنها ، وزعموها استنقارها ، وبلغ من استخفاف بعضهم بالإمارة - كإبن حفصون - أنه كان يغير بجنده حتى أبواب العاصمة قرطبة ، ولا تستطيع الإمارة أن تفعل شيئا أزاءه ، وهو ما حدث في عصر الأمير عبدالله وسبقت الإشارة إليه ، إذن فحين يعلن الأمير عبدالرحمن أنه خليفة للمسلمين في الأندلس ، مع إبراز مظاهر القوة والهيبة

(*) يبدو أن ظاهرة إعلان الخلافة وإمرة المؤمنين قد سرت إلى منطقة أخرى من مناطق المغرب وهي سجلماسة ، فقد ذكر ابن عذاري أنه في سنة ٢٢١ هـ تولى أبوا لتصور المعتز مدينة سجلماسة وهو غلام ابن ثلاثة عشرة سنة ، ولم يمكث في ولايته سوى شهرين حيث ثار عليه عمه محمد بن الفتح وأخرجه منها وتملكها وتسمى بلعمر المؤمنين ، وتلقب بالشاكر لله ، وضرب الننانير الشاكرية . البيان المغرب ، ٢/ ٢٠٩ .

المصاحبة لهذا الاعلان ، فإن ذلك كفيل بتهدئة الاوضاع الداخلية على أقل تقدير من الناحية النفسية ، كما أن ذلك كفيل أيضا باستقرار الاوضاع في المناطق التي تمت إعادة السيطرة عليها من قبل الدولة ، وضمان عدم خروجها مرة أخرى طالما أن هناك خليفة ، وبالطبع فإن وقع خليفة في النفوس ليس كوقع أمير . كذلك فإن إعلان الخلافة إشارة لأعداء الدولة المتربصين بها من الصليبيين أن هناك حكومة قوية في قرطبة ، وعليهم بالكف عن غاراتهم ومهاجمتهم للمسلمين في الأندلس .

كذلك فإن من أهم الأسباب التي أدت بالأمير عبدالرحمن إلى إعلان الخلافة بالأندلس ، هو محاربة العبيديين المجاورين للأندلس . وإن هذا الاعلان جاء بمثابة درء لخطرهم ، وأنهم إذا تركوا كذلك تون منافسة تذكر فسينتقل خطرهم إلى الأندلس ، فجاء إعلان الخلافة حاسما لهذا الخطر .

وعلى كل فقد حمل الأمير عبدالرحمن بن محمد لقب خليفة ابتداء من عام ٣١٦هـ ، وتلقب بالناصر لدين الله كما ذكرت أنفا . وأورد القلقشندي لقبا آخر من الألقاب التي حملها الناصر وهو المقبول (١) ، وأخذ الناصر لدين الله رعيته بذلك في جميع مايجري منه ذكره وأنفذ كتبه بها في أنحاء مملكته ، وقطع استحقاقه لهذا الاسم الذي هو بالحقيقة له وبغيره بالاستعارة ، على حد تعبير ابن حيان (٢) . الذي يرى أنه أحق بهذا اللقب من غيره لأنه ابن أمراء المؤمنين وسلالة الهداة الفاضلين (٣) ، وأصدر الناصر منشورا بذلك ، وعهد لصاحب الصلاة بمسجد قرطبة الجامع بأن تكون الدعوة له بأمير المؤمنين ، ونفذت الكتب إلى العمال بذلك ، وكانت أول دعوة أقيمت له على منبر المسجد

(١) القلقشندي ، أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م) ، صبح الأعشى في صناعة

الإنشاء ، القاهرة ١٢٨٣هـ / ١٩٦٣م .

(٢) ابن حيان ، المقتبس ، ج ٥ ، ص ٢٤١ ، وانتظر ابن عذاري ، ١٩٨/٢ .

(٣) ابن حيان ، المقتبس ، ٢٤١/٥ ، ابن عذاري ، البيان ، ١٩٨/٢ .

الجامع بنطق صاحب الصلاة فيه ، الفقيه القاضي أحمد بن بقى بن مخلد (١) ، في مستهل ذي الحجة من سنة ٢١٦هـ (٢) ونص الكتاب : «بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد ، فإنا أحق من استوفى حقه ، وأجدر من استكمل حظه ، وأبص من كرامة الله ما ألبسه ، للذي فضلنا الله به ، وأظهر أثرنا فيه ، ورفع سلطتنا إليه ، ويسر على أيدينا إدراكه وسهل بدولتنا مرامه ، وللذي أشاد في الآفاق من ذكرنا وعلو أمرنا ، أعلن من رجاء العالمين بنا ، وأعاد من انحرافهم إلينا ، واستبشارهم بدولتنا والحمد لله ولي النعمة والانعام بما أنعم به ، وأهل الفضل بما تفضل علينا فيه . وقد رأينا أن تكون الدعوة لنا بأمر المؤمنين ، وخروج الكتب عنا وورودها علينا بذلك ، إذ كل مدعو بهذا الاسم غيرنا منتحل له ، وبخيل فيه ، ومتسم بما لا يستحقه .

وعلمنا أن التماسي على ترك الواجب لنا من ذلك حق أضعناه واسم ثابت أسقطناه ، فأمر الخطيب بموضعك أن يقول به . وأجر مخاطباتك لنا عليه ، أن شاء الله والله المستعان . وكتب يوم الخميس ليلتين خلنا من ذي الحجة سنة ٢١٦هـ (٣) .

هذا هو البلاغ الذي أعلنه الناصر لدين الله بمناسبة إفضائه سعة الخلافة ، وأخذ الأمير عبدالرحمن لقب الخلافة وإمرة المؤمنين بصفة رسمية بمجرد نطق صاحب الصلاة في المسجد الجامع بقرطبة بهذا اللقب ، كما أصدرت التوجيهات والأوامر إلى العمال بمختلف المناطق لتجرى المكاتبات باسم أمير المؤمنين .

الموقف العباسي والفاطمي من إعلان الخلافة الأموية .

لقد كانت الخلافة العباسية في خاية من الضعف والتفكك ، مشغولة بمشكلاتها الداخلية ، ولذلك لم يكن هناك رد فعل أو معارضة فعلية لهذه الخطوة الخطيرة . وهذا الضعف هو الذي شجع الناصر على إعلان الخلافة .

(١) أحمد بن بقى بن مخلد . من أهل قرطبة ، يكنى : أبا عبدالله . وأبى قضاء الجماعة بقرطبة .

كان زاهدا فاضلا . توفى سنة ٢٤٤هـ . ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ترجمة رقم

١-٢ ، ج ١ ، ص ٨٠ .

(٢) ابن حبان ، للمصنف السابق ، ص ٢٤١ .

(٣) ابن عذاري ، البيان للغرب ، ١٩٨/٢ ، ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ص ٢٠ .

لما الخلافة العبيدية الدعية فقد أعلنتها حريا شعواء على هذه الخلافة الجديدة المناقسة لها ، وكان رد فعلهم قويا إذ اصدر المعز الفاطمي (١) خطابا وجهه إلى الأندلس جاء فيه : ه وهو يزعم أنه أمير المؤمنين كما تسمى دون من سلف من آبائه ، وإمام الزمة بدعواه وانتحاله .

ونحن نقول : اننا أهل تلك دولة ودون من سواء ، ونرى أن فرض الله علينا محاربة من انتحل تلك توننا وادعاه ، مع ما بين أسلافنا وأسلافه ومن مضى من القديم والحديث من أباؤنا وأبائه ، من العداوة القسيمة الأصلية والبغضة في الاسلام والجاهلية... (٢).

جاء تعبير العبيديين عن رأيهم واضحا وصريحا في شأن الخلافة الأموية الملعنة من قبل الناصر ، ورأوا أن ذلك انتحالا منه لدعوى ليست له ، وادعاء لحق الخلافة بالباطل كما رأى المعز لدين الله الفاطمي ، فلذلك وجبت محاربته ومقاتلته ، كما أشار إلى العداوة القائمة بين الطرفين الأمويين والهاشميين قديما وحديثا في الجاهلية والاسلام فلذلك لا يمكنهم قبول هذه الخلافة بأي حال من الأحوال .

ولكن ذلك لم يثن الناصر لدين الله ولم يتراجع عن لقبه الجديد ، وكان لابد من وضع حد لنفوذ هؤلاء الفاطميين في المغرب . وإعلان الحرب عليهم بشتى السبل .
بدأ الناصر كخطوة أولى بكسب ولاء بعض أمراء البربر بالعدوة إلى جانبه ، وخاطبه بعضهم معلنين الدخول في طامته . ومن هؤلاء الامراء الذين خاطبوه وأعلنوا ولائهم له وبرأيتهم من دعوة الشيعة منصور بن سنان الذي كتب إلى الناصر لدين الله

(١) أبوتميم محمد الملقب المعز لدين الله ، بن المنصور بن القائم بن المهدي بن عبيد الله تولى خلافة بعد والده في ذي الحجة سنة ٢٤١ هـ . كان مولده في سنة ٢١٩ هـ ووفاته سنة ٢٦٥ هـ بالقاهرة وهو الذي تنسب إليه القاهرة . فيقال القاهرة المعزية . ابن خلكان ، وفیات الأعيان ، ج ٥ ، ص ٢٢٤ ، وما بعدها ، الزركلي ، الأعلام ، ٢/٢٦٥ .

(٢) القاضي النعمان بن حيون ، المجالس والمسيرات ، ج ١ ، ص ٢٢٠ - ٢٢٤ ، نقلا عن د. أحمد مختار العبادي ، في تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٨٦ - ١٨٧ .

ابتداء من سنة ٢١٦هـ/٩٢٨م يمت بالولاية ويطلب الدخول في الطاعة وقدم هدية حسنة دليلا على ولائه ، وجدت اعجابا من الناصر الذي كافأه على هديته ، وأقره على عمله وسجل له ، وألحقه بأهل ولايته فصنعت طاعته بقية عمره . ومن هؤلاء الأمراء موسى بن أبي العافية الذي كتب أيضا إلى الناصر لدين الله وهاداه وأعلن طاعته في سنة ٣١٧هـ/٩٢٩م ، فسجل له على عمله أيضا واستقام على الطاعة كذلك ومنهم صالح بن سعيد الذي سجل في الطاعة أيضا وأحق بأهل الولاية (١) .

إن دخول أمراء البربر هؤلاء في الطاعة ، وخضوعهم للدولة الأموية بالاندلس ، يعد من المكاسب العظيمة التي حققها الناصر كخطوة أولى في محاربة الفاطميين في أرض العدو ، وأصبح هؤلاء الولاة يتبعون إداريا للدولة الأموية في الاندلس ويمكنهم تقديم خدمات جليلة في صد النفوذ والخطر الفاطمي أو منعه من الانتشار على أقل تقدير في ولاياتهم .

وخطا الناصر خطوة أخرى متقدمة ومهمة ، إذ قام بضم مدينة سبته سنة ٣١٩هـ/٩٣١م ، وشحنها بالرجال وأتقن بنيانها وبنائها ووضع فيها عددا من قواده وجنوده ، فصارت مفتاحا للغرب والعدو من الاندلس ، وباباً إليها ، وقامت الخطبة فيها باسم أمير المؤمنين الناصر لدين الله في الثالث من ربيع الأول من هذه السنة (٢) . وهي خطوة استراتيجية قام بها الناصر ليعين الله لتأمين الجبهة الغربية من بلاده من الخطر الفاطمي ، إذ أقام قاعدة عسكرية دائمة في هذه المنطقة ، وقامت الخطبة فيها باسم الخلافة السننية بدلا من الشيعية . وهذه الخطوة دلالة واضحة على أن اعلان الناصر للخلافة كان هدفه الأول هو محاربة المذهب الشيعي في المغرب ومنع انتشاره ووصوله إلى الاندلس .

والواقع أن اعلان الخلافة بالاندلس كان انتصارا كبيرا للمذهب السني في المغرب الاسلامي .

(١) ابن حبان ، المقتبس ، ج ٥ ، ص ٢٦١ ، وانظر ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٠٤ .

ويجمل ابن عذاري مكاتبة موسى بن أبي العافية للناصر في سنة ٢١٩ هـ .

(٢) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٠٤ .

ولم يتوقف الناصر عند هذا الحد ، فقد جازت جيوشه وأساطيله إلى بلاد المغرب مرارا لمحاربة العبيديين وحلفائهم من الأدارسة وغيرهم من أمراء البربر ، واضطر الأدارسة في نهاية الأمر إلى طلب الصلح من الناصر والاعتراف بطاعته والدعوة له على منابر المغرب واستقرت دعوته هناك إلى حين ، ولكن سلطانه فيما وراء البحر لم يكن ثابت الدعائم ، وكان رهينا بقيام دولة الأمراء المحالفين له (١) .

لقد ولد إعلان الناصر الخلافة صراعاً شديداً مع العبيديين ، وبذل جهداً كبيراً في محاربتهم والحد من نفوذهم ، ومنازعتهم له في ألقاب الخلافة ، وقد نجح في الترتيبات التي اتخذها ضدهم إلى حد بعيد .

اضطاع الناصرة الداخلية ،

بقي على الخليفة عبدالرحمن الناصر بعد أن أعلن الخلافة ، أن يتجه لاستكمال مبادئه في عصر الأمانة ، واستنزال بقية الثوار ، فقاد بنفسه الجيوش لاضطاعهم وبسط هيبة الخلافة في مناطق الأندلس المختلفة . وقد تمكن بفضل الله من القضاء على هذه الثورات ، واستنزال آخر الثوار من بني تجيب في سرقسطة سنة ٢٢٦هـ (٢) .

وبدخول التجيبيين في طاعة الناصر لدين الله تكون الأندلس كلها قد دانت له خلال خمسة وعشرين عاماً من حكمه ، وقد كانت فترة مليئة بالأحداث حقاً ، واستحق الناصر أن يكون خليفة على الأندلس أيما استحقاق فقد أنزل كل المتغلبين الذين كونوا دويلات عصبية صغيرة ، وأرهبوا الدولة الأموية أرهاقاً شديداً وبلغوا الذروة في عصر الأمير عبدالله وكانت الدولة الأموية في الأندلس أن لا يبقى لها رسم لولا أن هباً الله للأندلس الأمير عبدالرحمن ، الذي أعاد بناء الدولة من جديد وأعاد لها قوتها وتماسكها ووحدتها . وجاء إعلان الخلافة في الوقت المناسب ليرد للدولة روحها ويبعثها من جديد .

(١) محمد عبدالله عنان ، دولة الاسلام في الأندلس ، ج ٢ ، ص ٤٢٦ .

(٢) انظر تفصيل العمليات العسكرية التي قامها الناصر بنفسه خلال الفترة الممتدة من

٢١٧-٢٢٦هـ في المقتبس ، ٢٤٥/٥-٤١٩ ، ابن عذاري ، البيان المغرب ، ١٦٠/٢ ، ٢٠٩ .

يقول ابن خلدون : « واستقامت الأندلس وسائر جهاتها في ثيف وعشرين سنة من أيامه ، ودامت أيامه نحو من خمسين سنة ، استفحل فيها ملك بني أمية بتلك النواحي » (١) .

ويقول الضمبي : « ولم يزل منذ ولي يستقزل المتغلبين ، حتى استكمل إنزال جميعهم في خمس وعشرين سنة من ولايته ، وصارت جميع أقطار الأندلس في طاعته » (٢) .

لقد منح الله عبدالرحمن الناصر همة عالية ، وعزيمة لا فتتر ، وتصميما على اجتياز المصاعب حتى تحقق له ما كان يرمي إليه من توحيد الدولة الأندلسية وهو في هذا التصميم وهذه الهمة أشبه بعبدالرحمن الأول مؤسس الدولة الأموية في الأندلس .

وكان منذ توليه الحكم يحارب معركتين في وقت واحد ، معركة مع نصارى الشمال الأسباني الذين رأوا أن يجهضوا قوة هذا الأمير الشاب ، وينالوا منه قبل أن يستكمل قوته ، ويتخلص من مشاكله الداخلية ويستدير لهم ، ومعركة مع ثوار الأندلس الذين ورثهم من عهد من سبقه من الأمراء (٣) .

ولقد كان للانتصارات العظيمة التي حققها الناصر في الداخل وقمعها الكبير ، وتأثيرها على نفوس كثير من الأمم المجاورة له ، من النصارى والمجوس وغيرهم فيذكر المقرئ : أن ملك الناصر كان في غاية ما يكون من الضخامة ورفعة الشأن ، فقد هادته الروم وأزدلفت إليه تطلب مهادنته ومتصافته بعظيم الذخائر ، ولم تبق أمة سمعت به من ملوك الروم والفرنجة والمجوس وسائر الأمم ، إلا وجرت إليه ، أو وفدت خاضعة راضية ، وانصرفت منه راضية (٤) .

(١) العبر ، ٢٩٨/٤ .

(٢) بغية الملتمس ، ص ١٧ .

(٣) د. رجب محمد عبدالحليم ، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وأسبانيا النصرانية ، الناشرون : دار الكتاب المصري - القاهرة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ص ١٦٢ .

(٤) ازهار الرياض في أخبار عياض ، ٢٥٨/٢ ، نفح الطيب ، ١/٣٦٦-٣٦٧ .

وصف ابن خاقان ولاية عبدالرحمن الناصر بقوله : « وكانت اماره عبدالرحمن أسعد اماره ، بعد عنها كل نفس بالسوء أماره ، فلم يطرقها صرغ ، ولم يرمقها بمحذور طرف ، ففرع الناس فيها هضاب الأماني ورياحها ورتعت ظباؤها في ظلال ظباها ، وهو أسد على برائته رابض ، ويطل أبدا على قوائم سيفه قابض ، يروع الروم طيفه ، ويجوس خلال تلك الديار خوفه ، ويروي من فجيعة كل أونة سيفه » (١) . وهذا يصور ابن خاقان بحسه الأدبي الرائع وأسلوبه الرصين أماره عبدالرحمن الناصر ويقدم لنا وصفا أدبيا مرمقا لهذه الأماره ، مع الإشارة في نفس الوقت إلى قوته وهيئته في قلوب أعدائه .

نظام الحكم ورسومه في عهد الناصر .

تبع تلك الانتصارات الباهرة نهضة كبرى في الأوضاع المتعلقة بشئون الحكم وتنظيمه ، وشئون العمران ، من تأسيس للمساجد والمدن والقصور والجسور ، إلى نهضة في شئون المال والاقتصاد .

ولم تشغل تلك الأحداث الخليفة عبدالرحمن الناصر عن الاهتمام بشئون الحكم والإدارة الداخلية ، الذي أولاه عنايته البالغة ، فقد أوجد جهازا إداريا وتنظيميا قويا لإدارة وتصريف شئون الدولة . وسنتناول هذه الأجهزة في موضعها .

ومن أهم الرسوم التي تتعلق بالخلافة ، وتدل على الاستقلال السياسي والاقتصادي ، ضرب السكة ، ففي السنة التي أعلن فيها الخلافة « أمر الناصر لدين الله باتخاذ دار السكة داخل مدينة قرطبة لضرب العين من الدينار والدراهم ، فاتخذت هناك على رسمه » ثم نقلت فيما بعد إلى مدينة الزهراء الجديدة عند سكناه بها (٢) .

أما نقش خاتمه فقد كان « عبدالرحمن بقضاء الله راض » (٣) .

(١) ابن خاقان . ابن نصر الفتح بن محمد (ت ٥٢٩هـ / ١١٣٥م) ، مطمح الأنفس ومسرح القاص في ملح أهل الأندلس ، دراسة وتحقيق محمد علي شوابكة ، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ / ١٩٨٣م ، ص ١٦٧ .

(٢) ابن حيلان . المققبس ، ٢٤٣/٥ ، ٢٤٤ .

(٣) ابن عذاري ، البيان ، ١٥٦/٢ .

العلاقات الدبلوماسية للدولة في عهد الناصر .

شهد عهد الناصر علاقات دبلوماسية متطورة بينه وبين الممالك النصرانية في شمال أسبانيا ، وفي خارج الاطار الاسباني ، تمثل ذلك في السفارات المتبادلة بينه وبين هذه الدول ، كذلك كانت هناك بعض المراسلات بينه وبين أمراء المناطق الاسلامية في المغرب .

وكانت أول سفارة للدولة الأموية في الأندلس قد تمت في عهد الأمير عبدالرحمن الأوسط والتي عرضنا لها في مبحث الإمارة .

سفارة دولة الروم .

في سنة ٣٣٤هـ / ٩٤٥م وصلت أول سفارة بعث بها ملك الروم صاحب القسطنطينية قسطنطين بن ليون برسالة من ملكهم الى الناصر (١) . وقد استعد الناصر للقائهم وأمر أن يتلقوا أعظم تلق وأفضحه ، وأوفد إلى لقائهم ببجائه وفدا لتلقيهم وتأمين طريق وصولهم إلى قرطبة وخدمتهم في الطريق ، وقام الوفد بتلقيهم وإيصالهم إلى قرطبة ، واستقبلوا أحسن استقبال وأفضحه من قبل القواد في العدد والعدة والتعبئة ، وأنزلوا في دار ولي العهد الحكم ، ومنعوا من مقابلة الخاصة والعامة ومداخلة الناس جملة ، ورتب لهم عددا من الموالي والحشم لخدمتهم ، ثم أذن لهم بعد ذلك بمقابلة الخليفة الناصر لدين الله ، الذي قعد لهم في قصره في بهو المجلس الزاهر بقرطبة فعودا فحضا حيث جلس عن يمينه ولي هذه الحكم ، ثم عبدالله ، ثم عبدالعزيز ، ثم الأصبغ ثم مروان ، وعن يساره المنذر ثم عبدالجبار ثم سليمان ، وحضر الوزراء على مراتبهم يمينا وشمالا ، ووقف الحجاب من أهل الخدمة من أبناء الموالى والوزراء والوكلاء وغيرهم ، وقد بسط صحن الدار بأنفس البسط ، وظللت الأبواب وحناياها بأرفع المستور ، فلما وصل رسل

(١) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢١٢ ، ابن خلدون ، تاريخ ، ج ٤ ، ص ٢٠٩ ، المقرئ ، أزهار الرياض ، ج ١ ، ص ٢٥٨ ، نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٢٦٦ ، وجعل المقرئ وابن خلدون هذه السفارة ، في سنة ٣٣٦هـ / ٣٣٨هـ .

ملك الروم على الناصر أنبهروا لما رأوه من هول المجلس وعظمته ، والترتيب الذي أعد لاستقبالهم ، وقنعوا الرسالة التي جاؤوا بها للناصر من ملكهم وفيها وصف هديته التي أرسل بها ، وعدد أصنافها ، فاستلمت منهم الرسالة . وأعاد لهم الناصر القعود بالزهراء عدة مرات ، وأمر بإدخالهم على نور الصناعات والعدة والسكة ، وأن يطاف بهم على أرجائها ، ومكث الوفد في قرطبة فترة من الزمن في كرم واحسان ثم كوفئوا على الهدية التي جاؤوا بها ، وأذن لهم بالرحيل إلى ديارهم وهم يتعجبون مما رأوا من عز الاسلام (١).

لقد قدم لنا المقري وصفا متكاملا عن هذه السفارة ومدى الاستعداد لها من قبل الخلافة في قرطبة ، وبين لنا الرسوم التي كانت متبعة في الاحتفالات وترتيب جلوس أبناء الخليفة ، والوزراء وسائر أهل الخمة ، مما يؤكد لنا ما قاله ابن سعيد (٢) من أن الناصر كان مشغولاً بتفخيم السلطنة . وفي رأبي أن كل هذه الترتيبات الضخمة والفخامة في المجلس والطواف بالرسل على مؤسسات الدولة الصناعية والاقتصادية المختلفة ، وتكرار الناصر الجلوس لاستقبالهم عدة مرات كل ذلك تم بقصد إدخال الهيبة في نفوس هؤلاء الرسل ، وأنهم بلا شك سينقلون وصف هذه المظاهر إلى ملكهم الذي بعث بهم ، ويقدمون له تقريراً مفصلاً عما شاهدوه . كما أن الانبهار الذي أصاب هؤلاء الرسل من فخامة مارأوه يدل على مدى التقدم الحضاري الذي وصلت إليه الدولة في عهد الناصر .

وعلى الرغم من الوصف الدقيق الذي قدمه المقري لهذه السفارة إلا أنه لم يعطنا تفسيراً لأسبابها ، وما هي فحوى الرسالة التي حملها الوفد إلى الخليفة عبدالوهم ؟ وهل هذه السفارة هي لتوطيد العلاقات بين الدولتين ، ونشر دعائم السلام بينهما ، وهل دولة الاندلس كانت تشكل خطراً على صاحب القسطنطينية حتى يضطر إلى طلب مودة الخلافة الاندلسية بهذه الهدية العظيمة ؟ ليست هناك اجابات واضحة لهذه الأسئلة . وقد أشار المقري في روايته إلى أن الرسالة احتوت على وصف الهدية وعددها ، فهل نفسر

(١) المقري ، أزهار الرياض ، ج ١ ، ص ٢٥٨ - ٢٥٩ ، نقح الطيب ، ١/٣٦٦-٣٦٧ .

(٢) المغرب في حلى المغرب ، ١/١٨٢ .

ذلك بأن الوفد جاء فقط من القسطنطينية ليقيم هدية ويرجع ؟ اعتقد أن هناك أبعادا أخرى لهذه السفارة . والذي يتولى من ذلك أن ملك الناصر قد بلغ مدى عظيم كما رأينا وتسامع به جميع الملوك في أوروبا وغيرها ، ويبدو أنه كانت هناك أطماعا من صاحب القسطنطينية في الأندلس وذلك بحث بهذه السفارة التجسسية لمعرفة الأوضاع في الأندلس معرفة حقيقية وعن قرب . أما موضوع الهدية فهو عبارة عن تغطية وتبرير لسبب زيارتهم .

ويرى محمد عبدالله عنان ، أن هذه الزيارة كانت تجديدا لعلائق الدولة البيزنطية ، مع دولة الاسلام بالأندلس ، وتوطيدا للصدقة القديمة التي رأى بلاط القسطنطينية أن يعقدها مع بلاط قرطبة ، منذ عهد عبدالرحمن بن الحكم ، لتكون شبه تحالف ضد الدولة العباسية خصيعةتهما المشتركة (١) .

ولكني لأميل إلى هذا الرأي ، فعلى الرغم من العداء المستحكم بين العباسيين والامويين في الأندلس ، إلا أن ذلك في رأيي لم يصل إلى المستوى الذي تتحالف فيه الدولة البيزنطية النصرانية مع الدولة الأموية المسلمة لضرب الخلافة في بغداد ، فمهما كان مستوى الخلاف بين الدولتين العباسية في المشرق والأموية في الأندلس إلا أن كلا منهما في نهاية الأمر امتداد لرقعة الدولة الإسلامية ، ولا أظن أن شخصية مثل شخصية الناصر تغيب عنها أهداف الدولة البيزنطية .

وعلى أية حال فإن السفارة قد تمت ، وكانت دليلا واضحا على عظمة خلافة الناصر .

وأعد الناصر الخطباء في هذه السفارة للحديث بين يدي الرسل استكمالا للمراسم الاستقبال ، وكلف الناصر أبا علي القالي ، صاحب الأمالي ، الذي وفد عليه من المشرق لالقاء خطبة في هذا المشهد ، ولكنه عندما بدأ في الحديث أخذ هول المكان ولم يستطع أن يواصل الحديث ، فقام منثر بن سعيد ، وألقى خطبة عظيمة أذهلت كل الحاضرين ،

(١) دولة الاسلام في الأندلس ، ٤٥٦/٢ .

وهي خطبة طويلة ولكن من أهم ما جاء فيها الوصف الذي يتعلق بخلافة الناصر اذ قال: «... وإني أذكركم بأيام الله عنكم ، ويتلافيه لكم بخلافة أمير المؤمنين التي لمت شعبكم ، وأمنت سريكم ، ورفعت فرقكم ، يعد أن كنتم قليلاً فكثركم ، ومستضعفين فقواكم ومستذلين فنصركم ، ولاه الله رعايتكم ، وأسند إليه أمانكم أيام ضربت الفتنة سرادقها على الأفاق ، وأحاطت بكم شعل التفاق ، حتى صرتم في مثل حذقة البعير ، من ضيق الحال ونكد العيش والتغيير ، فاستبدلتم بخلافته من الشدة بالرخاء ، وانتقلتم بيمين سياسته إلى تهديد كنف العافية بعد استيطان البلاء ، أنشدكم الله معاشر الملأ ، ألم تكن الدماء مسفوكة فحقنها ، والسبل مخوفة فأمنها ، والأموال منتهبة فأحرزها وحصنها ؟ ألم تكن البلاد خراباً فعمرها ، وثغور المسلمين مهتضعة فحماها ونصرها ؟ هاذكروا ألاء الله عليكم بخلافته ... » (١) .

قدم منذر بن سعيد تقريراً مفصلاً وشاملاً عن عظمة خلافة الناصر ، وهذا ما كان يرمي إليه الخليفة عبدالرحمن ، ويريد إيصاله إلى رسل الروم فقد ذكر منذر في خطبته الحالة التي كانت عليها الأندلس قبل مجيء الناصر من فرقة وشتات ، وذلة وضعف ، وسفك للدماء ، وضيق في الحال ، ونكد في العيش ، فبدل الله هذه الحالة على يد الناصر إلى أمن واستقرار وسعة في العيش ، وحقق للدماء ، وتأمين للطرق ، وعمارة للبلاد ، وتحصين للثغور ، فهذه الخلافة جديرة بالاحترام من قبل الرعية . وكانت هذه الخطبة سبباً في تعلق الناصر بمندّر بن سعيد البلوطي الذي ولاه فيما بعد قضاء الجماعة بقرطبة والصلاة والخطابة بالزهراء (٢) .

سفارة هوتو ملك اللان

ومن أهم السفارات التي وفدت على الناصر رسل هوتو ملك الصقالبة في سنة ٢٤٢هـ / ٩٥٣م (٣) . وليست لدينا تفصيلات واقية عن هذه السفارة في المصادر الإسلامية المتوفرة لدينا ، وكل ما لدينا هو هذه الرواية المقتضبة عن رسل هوتو ملك الصقالبة إلى

(١) المقرئ ، نفع ، ج ١ ، ص ٣٦٩ .

(٢) المقرئ ، نفع ، ١ / ٣٧٢ - ٣٧٣ .

(٣) ابن عذاري ، البيان ، ٢ / ٢١٨ .

الأندلس . وأشار ابن خلدون أيضا إلى هذه السفارة بقوله : « ثم جاء رسل ملك الصقلية وهو يومئذ هوتو وآخر من ملك اللمان » (١) .

وتشير الروايات التاريخية الإسلامية إلى عدة مصطلحات للدلالة على ألمانيا ، وهناك تداخل وتشابك فيما بينها ، فتارة تستخدم كلمة «الصقلية» وتارة «اللمان» أو «اللمان» ، أو «المان» ، وهذا الأخير هو الأنق .

ومن المحتمل أن يدخل «اللمان» في إطار «الفرنجة» و«الروم» حين تستخدم العبارتان للدلالة على الشعوب الأوروبية (٢) .

كان هوتو الأول أو العظيم - كما تسميه المصادر الأوربية - مؤسس الامبراطورية الرومانية المقدسة بالمعنى الذي يعبر عنه اسم هذه الامبراطورية والذي يشير إلى ارتباط إيطاليا وألمانيا تحت سيادة حاكم واحد يسيطر على شتونها جميعا (٣) .

وطبقا لما ذكره عبدالرحمن الحجي فقد تم تبادل عدة زيارات بين هوتو والخليفة عبدالرحمن الناصر . أما عن أسباب هذه الزيارة ، فإن الناصر كان يمثل أقوى عامل إسلامي في ذلك الوقت ، وكان يمثل النفوذ والسلطة الإسلامية في المغرب الإسلامي ، ومن المحتمل أن تكون هذه الأسباب هي التي شجعت هوتو على إقامة علاقات دبلوماسية معه ، وقد يكون السبب المباشر في إقامة هذه العلاقات ، أن لم يكن السبب الوحيد ، هو أن هوتو كان يعتقد أن الناصر يدعم الأنديسيين الذين تقدموا نحو البرانس وهاجموا الأقاليم المحيطة به (٤) .

(١) تاريخ ابن خلدون ، ١٨٢/٤ .

A.A. EL-HAJI, Andalusian Diplomatic Relations with Western Europe, P.207. (٢)

(٣) دسعيد عبدالفتاح عاشور ، أوربا في العصور الوسطى ، الطبعة الخامسة ١٩٧٢م ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ص ٢٩٨ .

AL-HAJI, Andalusian Diplomatic Relations, P.208. (٤)

وكانت السفارة الأولى التي بعث بها هوتو إلى الناصر في سنة ٢٢٩هـ / ٩٥٠م .
وبعث الناصر إليه رداً على هذه السفارة أحد الاساقفة المستعربين ومعه اثنان ، واحتفل
هوتو باستقبالهم في بلاطه ، وسلم الوفد رسالة الخليفة ومديته إلى هوتو ، وبعد الانتهاء
من مراسم الاستقبال ، احتجزهم هوتو لمدة ثلاث سنوات ، توفي خلالها الاسقف الذي
بعث به الناصر (١) .

وبعث هوتو بسفارة ثانية إلى الناصر ويبدو أنها هي التي أشارت إليها الروايات
الاسلامية في سنة ٢٤٢هـ ،

وصل وفد الألمان إلى عاصمة الأندلس بعد أن مكث شهراً في طرطوشة ، وأقاموا
في قرطبة في قصر أعد لهم يحتوي على كل متطلبات الراحة ، ليس بعيداً عن قصر
الخلافة بقرطبة ، وبالقرب من إحدى الكنائس ، التي يمكنهم تأدية طقوسهم الدينية فيها ،
إلى حين استقبال الخليفة لهم ، لمناقشة مآجروا من أجله . وكان الهدف الأساسي هو
محاولتهم اقناع الخليفة باستخدام نفوذه في إيقاف هجمات المغامرين الأندلسيين على
فراكسينتوم (FRAXINETUM) إضافة إلى بعض الأسباب الأخرى مثل :

- (١) مناقشة بعض المسائل السياسية والآراء التي طرحت في رسالة الناصر السابقة ،
- (٢) دراسة الحياة الفكرية الأندلسية ، والتقدم العلمي ، ومدى استفادتهم من ذلك ،
- (٣) الاختلاط بالنصارى المستعربين ومعرفة أوضاعهم المعيشية ، ووضعهم في
المجتمع (٢) .

وبعد أن أخذ الوفد فترة من الراحة والاستجمام في قرطبة من عناء ومشقة
الرحلة الطويلة ، كان لابد من تدبير لقاء لهم مع الخليفة ، ولكن لاحظت بعض الصعوبات
التي أدت إلى تأخير الرسل ثلاث سنوات . فقد درس الخليفة رسالة الامبراطور هوتو ،
والتي أبدت استخفافاً بالخلافة ، وانتقدت سياسة الناصر وآرائه في حين أنها تمجد
الامبراطور ، وتطري على سياسته وتباهى بموقعه .

(١) للرجع نفسه ، ص ٢١٢ .

(٢) Al HAJI, Andalusian Diplomatic Relations, P.216.

جاءت رسالة هوتو بصورة غير لائقة لاحتوائها على بعض العبارات التي تنتقص من الرسول صلى الله عليه وسلم ، مما جعل الناصر يرفض استقبال الرسل ، وكان من الصعب أن تجد رسالة هوتو اجابة من الناصر لاهانتة له في خطابه وفي بلده ، ويعد الناصر اليهم حسداى بن شبروط لينصحهم ، كما أرسل إليهم أحد الاساقفة للتفاوض معهم بشأن ما جاء في الرسالة ، وبعد مباحثات عديدة قرر الناصر ارسال وفد إلى الامبراطور لتغيير لهجة الخطاب (١) .

لقد كانت هذه السفارة من أخطر السفارات في تاريخ الدولة الاموية بالاندلس والممالك الأوربية وكان هوتو يمثل راعيا للنصرانية في أوروبا ولذلك لا يمكن أن تفسر هذه السفارات إلا أنها صراع بين الإسلام والنصرانية . فالناصر كان يمثل الإسلام في أوروبا ، ويشكل تهديدا مباشرا للنصارى كما أن هوتو يريد بناء امبراطورية نصرانية كبرى ، وجاءت عبارات رسالته تنتقص من الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن الخلافة الاسلامية وتمجد في نفس الوقت الامبراطور ، وتشيد بسياسته ، وهي اشارة واضحة للصراع بين الإسلام والنصرانية ، وقد أحسن الناصر حين رفض استقبال وفد الامبراطور ، وأصر على تغيير لهجة الخطاب ، حتى يتم التفاوض على ما جاء الوفد من أجله .

وعلى الرغم من أهمية هذه السفارة ، فلم تسمح لنا المصادر الاسلامية إلا بإشارات مقتضبة عنها ، ولا ندرى ما السبب في ذلك ، حيث انها لم تشر إلا لوصول رسل هوتو ، أما تفاصيل هذه السفارة فقد صمتت عنها تماما .

السفارات المغربية ،

وفد على الناصر عدد من السفارات من أرض المغرب ، ومن هذه السفارات التي وفدت عليه في قرطبة وصول أيوب بن أبي يزيد مخلد بن كيداد اليفرنى إلباضي ، الذي

(١) د.الحجي ، المرجع السابق ، ص ٢١٦ - ٢١٧ .

(٢) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٢/ ٢١٤ .

جاء إلى الناصر رسولاً من والده أبي يزيد في سنة ٢٢٥هـ/٩٤٦م ، فجلس الناصر لاستقباله وأوصله إلى نفسه ، وأكرم لقائه وأنزله بقصر الرصافة ، وقد أعد له فيه من الفرش والوطاء والغطاء والآنية والألحاح ما يعد لامثاله فاقام بينه عزيزاً محكماً (١) .

وفي سنة ٢٢٧هـ/٩٤٨م ، في النصف من المحرم جلس الناصر بقصر الزهراء جلوساً فخماً ، لاستقبال حميد بن يصل ، ومنصور وأبي العيش ابني ابن أبي العافية ، فوصلهم وكساهم ومن ثم أذن لهم في الانصراف إلى بلادهم (٢) .

لقد جاءت هذه الرسل من أرض العدو إلى الأندلس لتؤكد العلاقات الودية التي أقامها الناصر مع هؤلاء الأمراء بالمغرب ، وكانت هذه الرسل تأتي لتؤكد له طاعتها والتزامها وتبعيةها للدولة الأموية ، على الرغم من اعتناق بعضهم للمذهب الخارجي مثل أبي يزيد بن كيداد ولكن يبدو أن الناصر كان يرى أن المصلحة تقتضي التحالف معهم للقضاء على المذهب الشيعي .

هذه السفارات بشقيها الأوربي والمغربي تدل على مدى العظمة والقوة التي وصلت إليها الدولة الأموية في عهد الناصر ، وقد جاءت هذه الوفود جميعها ، تعلن احترامها وتقديرها للخلافة ، وتريد إقامة علاقات ودية مع الناصر ، وحتى سفارة هوتو كانت اعترافاً من الامبراطورية الرومانية بقوة الخلافة في الأندلس .

وفاة عبدالرحمن الناصر ،

توفي الناصر لدين الله في سنة ٢٥٠هـ/٩٦١م عن عمر يبلغ الثالثة والسبعين بعد حكم دام خمسين سنة (٣) . وهذه أطول مدة قضاها حاكم أموي على الأندلس ، بل وعلى العالم الاسلامي قاطبة في وقته .

وعلى الرغم من طول هذه المدة التي قضاها حاكماً على الأندلس ، وما تحقق له

(١) ابن هزاري ، البيان المغرب ، ٢/ ٢١٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ٢/ ٢٣٢ ، ابن الأثير ، الكامل ، ١/ ٢٥٩ .

(٣) ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ص ٤٠ ، المقري ، أزمار الرياض ، ٢/ ٢٨٢ .

فيها من انتصارات باهرة على أعدائه ، وما بلغت الأندلس في عهده من شأن بعيد في شتى مناحي الحياة ، فإن العيش لم يهنا له فقد ذكر غير واحد : أنه وجد بخط الناصر ، بأن أيام السرور التي صفت له تون تكثير يوم كذا من شهر كذا من سنة كذا طيلة هذه المدة بلغت أربعة عشر يوماً فقط (١) .

إنها مهمة جسيمة تحملها الناصر ، ومسئولية كبرى ألقيت على عاتقه فكيف له أن يهنا بالعيش في صفاء وسرور وقد قضى نصف حكمه الأول في مطاردة المخالفين ، واعادتهم إلى الطاعة ، حتى تم له ما أراد ؟ وكيف له أن يهنا بالعيش والنصاري يحيطون به من كل جانب ويترصدون بالمسلمين النواثر ؟

لقد حقق الناصر للمسلمين في الأندلس ما لم يحققه أحد من قبله من أمن وطمأنينة ورخاء ، ولذلك كان يسهر على رعاية هذه المصالح والانجازات التي تمت في عهده ، وليس بغريب أن تكون أيام سروره طيلة هذه المدة هي أربعة عشر يوماً فقط .

مقارنة بين السفارات في الدولة العباسية والدولة الأموية في الأندلس ،

إذا ما أجرينا مقارنة بين السفارات في الدولة العباسية ، والدولة الأموية في الأندلس نجد أن هناك تشابهاً كبيراً بين نظام السفارات ، واستقبال السفراء في كل من بغداد وقرطبة وقد سلكت الدولة الأموية في الأندلس مسلك العباسيين في المشرق عند استقبال السفراء ، حيث كانت الخلافة تبرز كل معالم الهيبة والفخامة للرسول ، وتستعد لاستقبال الرسول استعداداً فحماً ، كما هو الحال لدى العباسيين في بغداد .

وقد قدم لنا الخطيب البغدادي وصفاً لأحدى سفارات الروم إلى الخليفة العباسي المقتدر بالله ، نلاحظ فيه مدى التشابه مع ما كان يجري في قرطبة عند استقبال السفراء ، يقول الخطيب : « ولقد ورد رسول لصاحب الروم في أيام المقتدر بالله ، ففرشت الدار بالفروش الجميلة ، وزينت بالآلات الجليلة ، ورتب الحجاب وخلفائهم والحواشي على

طبقاتهم على أبوابها وبها ليزها وممراتها ومخترقاتها وصحونها ومجالسها ، ووقف الجند صفين بالثياب الحسنة ، وتحتهم النواب بمراكب الذهب والفضة ، وبين أيديهم الجناذب على مثل هذه الصورة . وقد اظهروا العدد المكسية والأسلحة المختلفة » (١) .

ويقول الخطيب أيضا : « ان رسول ملك الروم لما وصل إلى تكريت أمر أمير المؤمنين المقتدر بالله باحتباسه هناك شهرين ، ولما وصل إلى بغداد أنزل دار صاعد ومكث شهرين لا يؤذن له في الوصول ، حتى فرغ المقتدر بالله من تزيين قصره وترتيب آتفه فيه ، ثم صف العسكر من دار صاعد إلى دار الخلافة ، وكان عدد الجيش مائة وستين ألف فارس ورجال ، فصار الرسول بينهم إلى أن بلغ الدار ثم أدخل في أزج تحت الأرض ، فصار فيه حتى بين يدي المقتدر بالله وأدى رسالة صاحبه » (٢) .

« ثم رسم أن يطاف به في الدار وليس فيها من العسكر أحد البتة ، وإنما فيها الخدم والحجاب والفلمان السودان ، وكان عدد الخدم إذ ذاك سبعة آلاف خاتم ، منهم أربعة آلاف بيض وثلاثة آلاف سود ، وعدد الحجاب سبعمائة حاجب ، وعدد الفلمان السودان غير الخدم أربعة آلاف غلام . قد جعلوا على سطوح الدار والعلالي وفتحت الخزائن ، والآلات فيها مرتبة كما يفعل لخزائن العرائس ، وقد علقوا الستور ونظم جواهر الخلافة في قلايات على درج خشيت بالنبيج الأسود ، ولما دخل الرسول إلى دار الشجرة رآها كثر تعجبه منها ، وكانت شجرة من الفضة وزنها خمسمائة ألف درهم ، عليها أطياف مصوغة من الفضة تصفر بحركات قد جعلت لها ، فكان تعجب الرسول من ذلك أكثر من تعجبه من جميع ما شاهده » (٣) .

ويعرض الخطيب في وصف تفاصيل هذا الاستقبال فيقول : أن عدد الستور التي علق في القصر بلغت ثمانية وثلاثين ألف ستر ، وأدخل رسل صاحب الروم من دهليز

(١) تاريخ بغداد ، ١٠١/١ .

(٢) المصدر نفسه ، ١٠١/١ .

(٣) المصدر نفسه ، ١٠١/١ ، ١٠٢ .

باب العامة الأعظم إلى الدار المعروفة بخان الخيل ، وهي دار أكثرها أروقة بأساطين رخام ، ثم أدخلوا إلى دار الوحش ، وأدخلوا إلى القصر المعروف بالفريوس ، وكان فيه من الفرش والآلات ما لا يحصى ، وفي بهاليز الفريوس عشرة آلاف جوشن مذهبة معلقة ثم أخرجوا منه إلى ممر طوله ثلاثمائة ذراع ، وقد علق من جانبيه نحو من عشرة آلاف درقة وخوذة وبيضمة ودرع وزرد وجعبة محلاة وقسي ، وكان الخدم يسقون الناس الماء المبرد بالتليج ولطول المشي فقد استراح الرسل في سبعة مواضع واستسقوا الماء فسقوا (١) .

ونلاحظ على هذه السفارة ، أن هناك تشابها كبيرا بينها وبين السفارة التي جاءت إلى الخليفة عبدالرحمن الناصر في سنة ٢٢٤هـ ، من قبل صاحب القسطنطينية . وقد عمد الخليفة الناصر إلى إبراز كل مظاهر الفخامة والهيبة لرسول صاحب القسطنطينية حتى ينقلوا ماشاهدوه إلى ملكهم ، كما فعل المقتدر العباسي كذلك مع رسول الروم .

ويمكن القول أن الأمويين في الأندلس قلنوا العباسيين في هذا الجانب .

(١) انظر المصدر نفسه ، ١/٨٠٧-٨٠٤ .

خلافة الحكم المستنصر :

خلف الحكم بن عبد الرحمن الملقب بالمستنصر بالله ٢٥٠ - ٥٣٦ هـ /
والده عبد الرحمن الناصر بعد وفاته ، وكان ولي عهد والده ، فجرى ملى
رسم والده فى الحكم ولم يلق من ترتيبه الا شفا (١) .

مراسم بيعة الخليفة المستنصر :

اعتلى الحكم المستنصر سرير الخلافة فى اليوم الثانى لوفاء أبيه
لقام بأعباء الدولة خير قيام ، وأنفذ الكتب فى الآفاق بتمام الأمر له ،
ودعا الناس لبيعته واستقبل من يومه النظر فى تمهيد سلطانه ، وتشكيل
مملكته وضبط قصوره وترتيب أجناده ، وأخذ البيعة أولا على مقابلة القصر
من الطتيان المعروفين بالخلفاء الأكابر ، فلما تمت بيعتهم بعث الى
اخوته وكان عددهم ثمانية ، فأتوا جميعا لبيعته فى قصر الزهراء ، وجلس
لهم الحكم فى البهو الأوسط من أرباب القصر ، فوجل اليه الأخوة قبايعوه
وأنعموا لمحيطة البيعة والتزموا الأيمان المنصومة بكل ما انعقد فيها ،
ثم بايع بعدهم الوزراء وأبناءؤهم واخوتهم ، وأصحاب الشرطة ، وطبقات أهل
الخدمة ، وقعد الأخوة والوزراء والوجه من يمينه وشماله ، الا عيسى بن
طيس لأنه كان قاعا يأخذ البيعة على الناس (٢) .

وأجرى الترتيب على الرسم فى مجالس الاحتفال المعروفة وقد كان
الطتيان معظمين فى المجلس يمينيا وشمالا كل على قدره فى المنزلة
متقلدين سيولهم لابعين البيضاى شعار الحزن ، ثم تلاهم الوصفاء عليهم
الدروع الصابغة والسيوف الحالية منتظمين فى السطح ، ثم تلاهم بكيمسة
الصفابة على مختلف مراتبهم ، يتقلدون سيوفهم ، ثم تلاهم الرماة منكبين
فيهم وجاهبهم (٣) .

(١) المقري ، نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٢٨٢ .

(٢) المقري التلمسانى ، نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٢٨٦ - ٢٨٧ ، أزهار الرياض

٢ / ٢٨٦ - ٢٨٧ .

(٣) المصدر نفسه ، نفح ، ج ١ ، ص ٢٨٧ - ٢٨٨ ، أزهار الرياض ، ٢ / ٢٨٧ .

وقامت التعبئة في دار الجند ، والترتيب من رجاله العبيد ، عليهم
الجواش والألبية البيض ، وعلى رؤوسهم البيضات الحقلية ، وبأيديهم
التراس الملونة والأسلحة المزينة انتظموا في صفين إلى آخر الفصل (١) .

وعلى باب السدة الأمم البوابون وأموانهم ، ومن خارج باب السدة
فرسان العبيد إلى باب الاقبا ، واتصل بهم فرسان الحشم ، وطبقات الجند
مركبا اثر موكب إلى باب المدينة الشارع إلى المحرا (٢) . فلما تمسكت
البيعة أذن للناس بالانصراف إلا الأخوة والوزراء وأهل الخدمة فانهم
مكثوا بقصر الزهراء إلى أن احتفل جند الناصر إلى قرطبة ودلن هناك (٣) .

كانت تلك مراسم بيعة الخليفة الحكم المستنصر ، ونلاحظ مدى مظاهر
الطخامة التي صعبت البيعة ، ومن الواضح أنها أخذت طابعها آخر يختلف
تماما عن طابعها في عصر الأماة ، فقد لاحظنا أن البيعة في عصر الأماة
كانت تتم في غاية من البساطة ، دون أن يصحبها أي مظهر من مظاهر
الاحتفالات . لقد اتسم عصر الخلافة بمظاهر الأبهة والطخامة في كل شيء ،
ولقد رأينا أن هناك مراسيم خاصة باستقبال الوفود ، درج عليها الخليفة
الناصر ، ولقد أخذ الخليفة المستنصر بهذه الترتيبات عند بيعته ، وهي
ترتيبات تنم عن العظمة والطخامة ومدى القوة التي وصلت إليها الدولة
في عصر الخلافة ، وكان المستنصر يرمي من وراء اظهار مراسم بيعته بهذه
الصورة على ما يبدو للدلالة على أن الدولة لم يطرأ عليها أي تغيير
بموت الخليفة الناصر .

لا ريب أن الناصر قد توفي وترك دولة ثابتة الأركان ، موطدة الدمام
وبذل جهدا جبارا حتى وصلت الدولة إلى ما وصلت إليه ، فجاء الحكم

(١) المقسري ، نفع ٢٨٨/١ ، ازهار ٢٨٧/٢ وفي النسخ (فعل) .

(٢) المصدر نفسه ، نفع ٢٨٨/١ ، ازهار ٢٨٧ / ٢ ، ٢٨٨ .

(٣) المصدر نفسه ٢٨٨ / ١ ، ٢٨٨ / ٢ .

المستنصر ، ووجد السبل مهيأة له ، ولذلك لم يصف أي تغييرات جذرية على شكل الحكم القائم ، وسارت الدولة على حسب الرسم الذي وضع من قبل السابق .

قال الشنتريني : " انتهت خلافة بني مروان إلى الحكم تابع الأئمة فيها : فتناهت في السرو والجلالة والكمال والآبهة ، ونظم رواية الأخبار وحمل الأثر من منال به ماطر كل ماطر في جميع الأقطار " .^(١)

وكان المستنصر " من أهل الدين والعلم ، راغباً في جمع العلوم الشرعية من الفقه والحديث وفنون العلم ، باحثاً عن الأنساب ، حريصاً على تأليف قبائل العرب وإلحاق من درس نسبه ، أو جهله بقبيلته التي هو منها ، مستجلباً للعلماء رواية الحديث من جميع الآفاق ، يشاهد مجالس العلماء ويسمع ويروي منهم " .^(٢)

ووصف بحسن السيرة ، والإهتمام بجمع العلوم وتكريم أهلها ، وجمع من الكتب ما لم يجمعه أحد من الملوك قبله ،^(٣) ولم يسمع في الإسلام بخليفة بلغ مبلغه في اقتناء الكتب والإهتمام بها حيث وصلت مطايعها وملاطه إلى قلبها ، الأمصار الأخرى لكي يرمطوا له ما عندهم من الكتب .^(٤)

وكان له وفاق بأقطار البلاد يختصون له غرائب التوابع ورجال يوجههم إلى الآفاق باحثين عنها ، وله جماعة من العراقيين ببغداد والموصل والأندلس ، وكان مع هذا كثير الإهتمام بكتبه والتصفح لها والمطالعة

- (١) ابن بتمام الشنتريني (ت ٥٤٢ هـ) ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق د. إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م ، المجلد الأول ، القسم الرابع ، ص ٥٧ .
- (٢) ابن الأثير ، الحلة السيرة ، ١٠ / ٢٠١ .
- (٣) النويري ، نهاية الأرب ، ج ٢٢ ، ص ٤٠٠ ، القضي ، بغية الملتصق ، ص ١٨ .
- (٤) ابن الأثير ، الحلة السيرة ، ج ١ ، ص ٢٠١ .

لفراخدها ، ولعلما تجد له كتابا كان في خزائنه الا وله فيه قراءة ونظر من أى كان من فنون العلم . يقرؤه ويكتب فيه بخطه ويعلق عليه ، وكان موثوقا به مأمونا عليه ، وصار كل ماكتبه حجة عند شيوخ الأندلسيين وأسمتهم ، ينقلونه من خطه ، ويحاضرونه به ، ^(١) وبلغ عدد الفهارس التي كانت فيها تسمية الكتب أربعاً وأربعين فهرسة ، في كل فهرسة خمسين ورقة ليس فيها الا ذكر أسماء الدواوين فقط . ^(٢)

لقد اتجه الخليفة الحكم المستنصر وجهة أخرى ، وطرق جانبها هاماً من جوانب الحضارة الإسلامية الأندلسية المشرقة ، وهي الاهتمام بالأدب والعلوم والمعارف ، وأنشأ مكتبة كبرى تضم نوادر الكتب التي ألقت في الشرق والغرب ، وكانت هذه المؤلفات محل عناية الخليفة نفسه ، الذي كان مهتما بمطالعتها ، والبحث فيها والتعليق عليها بخطه . وصار الحكم حجة يأخذ منه شيوخ الأندلسيين العلم ، كما بلغت أوراق الفهارس التي عليها أسماء الكتب فقط حوالي ألفين ومائتين ورقة . ولنا أن نتخيل حجم هذه الخزانة العلمية الضخمة ومحتوياتها من الكتب . فبماذا نفسر هذا الاتجاه ؟

ان ذلك يفسر بالاستقرار الذي وصلت إليه الدولة في عهد الحكم المستنصر ، ولم يعد هناك مايرزعجها ويقلقها من اضطرابات وقتن وعسروب وأن نظم الحكم قد استقرت تماما وتبلورت ، ومن ثم لجأ الحكم إلى الاهتمام بهذا المعنى من مناحي الحضارة الإسلامية .

وكان نقش خاتمه " الحكم بلقاء الله راض " ^(٣)

(١) ابن الأثير ، ص ٢٠٢ - ٢٠٣ .

(٢) ابن حزم ، جبهة أنساب العرب ، ص ١٠٠ ، ابن الأثير ، الحطة السيرة ، ٢٠٣ / ١ .

(٣) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٢٢٢/٢ .

ومن الأعمال الهامة في عهد الحكم، أن أول شيء استفتح به خلافته هو النظر في توسعة المسجد الجامع بقرطبة، وهو أول عهد أنفذه بعد توليه، ولقد ذلك حاجة جعفر المصطفى، وكان المسجد قد ضاق بالمصلين، فسارع إلى توسعته، ولما استكمل العمل فيه " أحضر الفقهاء والهدول والشهود وأعيان الناس، ووجوههم وقضاتهم وأئمتهم، فحمد الله وأثنى عليه، وحمد شكره على توفيقه، لأجراء هذه البنية الكريمة على يديه، وأنه تلقى هذه النعمة الكريمة، بأن حصر ربح جميع حاجته إليه الورثة من أبيه أمير المؤمنين، في جميع كور الأندلس وأقاليمها على شعور الأندلس كافة، تفرق عليهم ثلاث هذه الضياع مما بعد عام على فعلتهم، إلا أن تكون بقرطبة جماعة، لتفرق فيهم إلى أن يجبرهم الله، وجعل القيس والنظر في هذا الحبس إلى حاجة وسيف دولته جعفر، وجعل دفع ذلك إلى وزيره وكاتبه عيسى بن فطيس، وأشهد الحاضرين على ذلك، وأشهد أيضا بعق كل مملوك له من الذكران، وخرج فاريا إلى بلاد المشرقيين " (١)

وفي سنة ٣٥٦ هـ / ٩٦٦ م، خاطب الخليفة الحكم العمال بكور الأندلس ومنهم على جراتهم، وحذرهم من سطوته وعقوبته، إذ اتحل به أن يعفهم لاد استرادوا زيادات فاحشات، يعاملون بها الرحمة لهم، لأنكبر (٢) ذلك عليهم، وفي هذه السنة أيضا " أنفذ الخليفة الحكم كتبه إلى القواد وللعمال بأقطار مملكته، بإنكار ما اتحل به من أن بعضهم يسفك دماء بعض بلا عهد ولا مشورة، وأن ذلك عظم عنده، وتبرأ إلى الله ممن أقدام عليه " (٣)

وفي سنة ٣٦٤ هـ / ٩٧٤ م " أنفذ الخليفة عزمه في إسقاط سجن جميع معرم الحشد الآرق طول أدائه على جميع الرعايا بكور الأندلس،

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/ ٢٣٤.

(٢) المصدر نفسه، ٢٠ / ٢٣٩.

(٣) المصدر نفسه، ٢٠ / ٢٤٠.

.... شكرا لله تعالى على انتظاره له ومن يلائمه لديه " (١)

يتبين لنا من النصوص الآنفة مدى الاهتمام الذي كان يولييه الحكم لأعمال البحر ، فلقد اهتم بتوسعة مسجد قرطبة الذي ضاق بالمعلمين ، وكان ذلك أول عمل قام به بعد توليه ، ثم أوقف ربيع ماورثه من والده لتطبيق على الفقهاء والمساكين بجميع كور الأندلس إلا أن تكون هناك مجامعة بقرطبة ، فعندئذ تفرق بينهم جميعا . كما أن انضاد كتبه لعماله وقواده في كور الأندلس المختلفة ، وتحذيره ، وتنقيته لهم من سوء معاملة الرعية وظلمهم ، أو صفك دماء بعضهم بعضا بلا عهد ولا مشورة ، يدلنا على متابعتهم المستمرة لعماله والمراقبة الدائمة لهم ، والحرص على مطابقة الرعية .

مراسم استقبال الوفود والاحتفالات بالأعياد

كانت هناك رسوم خاصة باستقبال الوفود متبعة منذ عهد الخليفة الناصر ، وتجلت هذه المراسم بصورة كبيرة في عهد الحكم المستنصر ، وتمثلت هذه الرسوم في استقبال الوفود النهرانية التي كان يعجبها شيء من الضخامة والمهبة وذلك لظهور هيبة الخلافة ، أو استقبال الوفود القادمة إليه من المغرب ، كما كانت هناك رسوم خاصة بالأعياد .

مراسم استقبال أردون بن أذفونش :

في سنة ٥٢٥١ هـ / ١١٦٢ م جاء إلى باب الحكم المستنصر ، الطاغية أردون ابن أذفونش المحتل على طوائف من أمم الجلالة ، من غير أمان يهتد له ، أو ذمة تضمنه ، واحتال في تأميل المستنصر بالله ، والأرتماء وإليه ، وذلك عندما بلغه عزم الحكم المستنصر على عزوه في هذه السنة ، فأقبل لسي

(١) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د. عبد الرحمن الحجي ، نشر وتوزيع دار الثقافة - بيروت - لبنان ، طبعة ١٩٨٢ م ، ص ٢٠٧ .

عشرين رجلا من وجوه رجاله ، فأمر الحكم باستقبالهم أحسن استقبال ، وأمر
بإرسالهم في دار الناعورة ، وكان قد تقدم في فرشها بأنواع الفطائر
والوظائر ، وأكثرهم وفادتهم أيما أكرام .^(١)

وبعد يومين من إقامتهم طلب الحكم استدعاء أردون ومن معه لمقابلته
بعد إقامة الترتيبات اللازمة وتعبئة الجيوش والاحتفال في ذلك من العدد
والأسلحة والزينة .^(٢)

ثم جلس لهم المستنصر بالله على سرير الملك في المجلس الشرقي من
مجالس السطح ، ولقد اخوة وبنوهم والوزراء ونهراؤهم صفا في المجلس ،
ليهم القاضي منذر بن سعيد ، والحكام والفقهاء . ثم أتى بأردون وأصحابه^(٣)
يحلبهم جماعة من نصارى وجوه الذمة بالأندلس ، ويونسونه ويهرونه ، ليهم
وليد بن خيرران القاضي النصاري بقرطبة ، وعبيد الله بن قاسم مطهران
طليطلة وغيرهما فدخل بين صفى الترتيب بقلب الطرف في نظم المطبوعات ،
ويجمل الفكر في كثرتها وتظاهر أسلحتها ورائق طيبتها ، فهاهم مارأوه
فتكسوا رؤوسهم شافيين أجفانهم حش وطوا إلى باب الأقباء أول باب
قصر الزهراء ، ثم أدخل أردون ومن معه إلى القصر وأذن له بمقابلته
الخليفة ، وانبهر أردون عندما رأى الخليفة وارتاع لهول مارأى ولكن
الخليفة بالحكم طمأنه وهذا من رومه ، ولجأ إلى تقبيل يد الخليفة عدة
مرات .^(٤)

وكان أردون يهدف من زيارته للحكم المستنصر أن يقدم له شكوى
قد ابي عنه شانه المنازع له في الملك ، والذي خلعه وتولى مكانه

(١) المقرئ ، نفع الطيب ، ج ١ ، ص ٢٨٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٨٩ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٨٩ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٨٩ - ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ .

ويريد من الخليفة إقراره على أهل ملته ومعاونته على أمر ابن عمه شاذي ، فطمأنه الخليفة بأنه سيعقد له كتابا ، يكون بيده يقرر به حد ما يريه وبين ابن عمه ، وأنه سيرفعه على ترك كل البلاد التي يسيطر عليها لتكون بيده .^(١)

لقد بلغ من عز الاطلام في عصر الخلافة بالاندلس ، أن جاء ملوك النصارى بأنفسهم الى باب الخليفة بطرطبة ، يقدمون له الالتزام بالطاعة والولاء ، ويريدون حل نزاعاتهم الداخلية الخاصة بهم لدى الخليفة ، ويطلبون منه القرارهم على أهل ملتهم ، ويعنى ذلك أن السيادة على أراضي أسبانيا كانت للخلافة بعد أن كان النصارى يشكلون تهديدا خطيرا للدولة ، وقد وعد الخليفة بحل هذا النزاع ، بأنه سيعقد كتابا يحدد فيه الحدود الفاصلة بين المتنازعين . وقد بلغت دولة الاطلام من العظمة والجلالة والتنظيم لدرجة أن أردون عندما رأى كل هذه الترتيبات التي أمست لاستقباله انبهر من هول ما رآه . ويبدو أن هذا الترتيب والتنظيم شيء فير مألوف لديه على الرغم من تملكه على طائفة من قومه الجلالة مما جعله يحاب بالذهول والدهشة .

أما من جانب الخلافة فقد رتب الخليفة الحكم في سنة ٣٦٩ هـ ، بعض الاشخاص من المسلمين الماهرين بالخدمة ، المعروفين بصدق اللهجة ، للحفارة بينه وبين ملوك جليقية ، ولقاء قواميسها والتردد إليهم كل وقت لتعرف أخبارهم ، والتجسس لأنبأهم وحمل الكتب إليهم كل وقت ، وعرفها منهم ، ليصح الصحيح ، وتحسن الطائفة .^(٢)

رمل صاحب برشلونة :

في شعبان سنة ٣٦٠ هـ / ٩٧٠ م استقبل الحكم رمل صاحب برشلونة ، الذي س جازوه وتقربوا اليه بأهدائهم له ثلاثين أسيرا من أسرى المعلمين ،

(١) الحقرى ، نطج ، ص ٢٩١ - ٢٩٢ .

(٢) ابن حيان ، العاتين ، تحقيق الحجي ، ص ٧٦ .

فامر الحكم بانزالهم بمنية نمر بشط النهر واكمر مثواهم^(١) ، فلما كان يوم السبت لأربع ظنون من شهر رمضان منها قعد لهم الخليفة الحكم على السرير في محراب المجلس الشرقي المنيف على الرياض فعدوا فخما كاملا الشرطي كأفخم ماجرت به العادة في أمثاله ، وتوكل الوزراء فقدموا على مراتبهم ، وحجبه منهم من ذات اليمين الوزير القائد غالب بن عبدالرحمن وتحتة الوزير صاحب الحشم قاسم بن محمد بن طلح ، ومن ذات اليسار الوزير صاحب المدينة بقرطبة جعفر بن عثمان ، وتحتة صاحب المدينة بالزهراء محمد بن أفلح^(٢) وتقدم الوفد الى الخليفة وقدموا بين أيديهم هدية مرسلهم وكانت ثلاثين أسيرا ، وقبلوا يد الخليفة ، وسألهم الخليفة من أحوالهم وأحوال بلدهم ، وانفض المجلس بعد أن كافأ الخليفة الرسل على هديتهم ، كما كافأ الأسرى بالعلات حتى يتمكنوا من الوصول الى ذويهم^(٣) .

وجرى استقبال آخر لوفد طاغية برشلونة بعد عامين من هذا التاريخ^(٤) .

وفود أخرى :-

وفي شوال من عام ٥٢٦٠هـ/جلس الخليفة الحكم على سرير الخلافة في المجلس الشرقي من قصر الزهراء لاستقبال الوفود التي قدمت على بابها ، يحيط به من الوزراء والمجانب كعادته . فاستقبل أولا رمول شانهه بن غرسيه أمير البشكنس ، واستقبل بعدهما حبيب بن طوينة وسعادة رمولا فردلند ابن فلين فومس سلمنفة ، ثم استقبل بعدهما غرسية بن فتون رسول صاحب قشيلة وألبه ، واستقبل أيضا بعض الوفود النصرانية الأخرى ، التي جاءت جميعا لتؤكد رقيتها في السلام ، وخطبهم الخليفة جميعا ، وعادوا الى بلادهم مزودين بالهدايا^(٥) .

(١) ابن خيكان ، المقتبس ، ص ٢١ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢١ - ٢٢ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٢ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٨٢ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٢٤١ - ٢٤٢ .

لقد كثرت الوفود النعراتية على بلاط الخليفة الحكم، ويبدو أن هذه الوفود قد أدركت إدراكاً تاماً، عظمة الخلافة، وقوة شوكتها، فمات أن تنهادن دولة الخلافة وتطلب منها الحكم، حتى تتمكن إلى عدم مهاجمتها من قبل جند الخلافة، وقد أجاب الخليفة الحكم هذه الوفود جميعها بما جاءت من أجله، وكان استقباله لكل وفد على حدة، حتى يتيح لكل منهم الفرصة في التعبير عما يريد بهيدا من الوفود الأخرى .

رسوم الأعياد :

كانت تجرى رسوم معينة في أثناء الاحتفال بعيدى الطهر والأفمس حيث كان الخليفة يجلس على السرير بالعر الزهراء في المجلس الشرقي لتلقى التهنئة، وكان المجلس بعد بصورة فخمة مع التهيفة والتعبئة وفي نهاية النمام وجودة النظام، ويتوكل اليه أخوته قبل جميع النمام ويغدوا على مراتبهم بعد السلام عليه، ومن ثم يهل الوزراء إلى المجلس ويحلموا ويجلسوا على مراتبهم ذات اليمين، ثم الحجاب من ذات اليمين واليسار، ثم طبقات أهل الخدمة على منازلهم ومرتباتهم، ورجالات قرشي الأسن فالأسن والمواقي والحكام وقضاة الكور والفقهاء وأهل الشورى وغيرهم والمدول وبياض قرطبة ووجوهها .^(١)

إن مظاهر الابتهاج بالأعياد في عهد الحكم المستنصر لم تزل لها مثيلا طيلة تاريخ الدولة الأموية في الأندلس وقد أمطها الخليفة الحكم طابعا خاصا في دولته، وصارت الأعياد مناسبة من المناسبات الدينية التي يحشد فيها الخليفة مختلف طبقات أهل الخدمة من وزراء وحجاب ولسواد وقضاة وجميع أهل الخدمة ووجوه الناس الذين يأتون للتهنئة بالعيد، ويؤكدون التزامهم بطاعة الخليفة .

(١) انظر ابن حبان، الملقب، تحقيق د. الحجي، ص ٥٩، ٨١، ٨٢ - ٩٢، ٩٤،

١١٩ - ١٢٠، ١٢٦ - ١٢٧، ١٥٥ - ١٥٦، ١٨٤ - ١٨٥ .

المذهب العبيدي في المغرب ومواقف الحكم منه :

بذل الحكم المستنصر جهودا كبيرة في محاربة المذهب العبيدي بالمغرب كما فعل والده من قبل ، وجاءه كثير من أمراء البربر يعلنون ولائهم له وينبذهم لدعوة الشيعة ، كما وردت اليه الأخبار بمقتل بعض الموالين لدعوة العبيدية بالمغرب .

وفي سنة ٣٦٠ هـ / جاءه الخبر بمقتل زيري بن مناد الصنهاجي قائد معد بن اسماعيل الشيعي صاحب أفريقية قتله بعض أمراء البربر الموالين للحكم من بني غزر وغيرهم ، وقد ذلك نصرا عظيما للحكم .^(١)

وفي سنة ٣٦١ هـ / أمر الخليفة الحكم المستنصر الوزير النافذ بالحشم محمد بن قاسم بن طلس بالتهيؤ بالخروج الى مدينة سبتة بصورة عاجلة لقاذا للجند وذلك لمحاربة حسن بن قنون الحسن ، الذي نبذ ولاية الأمويين وانحرف الى دعوة الشيعي معد بن اسماعيل صاحب أفريقية ، فأوصاه بتلوي الله عز وجل ، والعزم الصادق على محاربة حسن بن قنون ، وأن يلزم كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم في أي أرض يقلب عليها — بمشيئة الله تعالى ، ويظهر بأهلها ، ويححو منها آثار الشيعة الماركة .
وعلى سنة الأشعة الراشدين . وتكاملت الجيوش بعد وصول صاحب الشرطة قائد البحر عبد الرحمن بن رماح بالأسطول لمار الوزير ابن طلس الى مدينة تطاون فألفاها خالية وتقدم منها الى مدينة طنجة ، التي فتحت في ذي القعدة من هذه السنة ، ففتحها محمد بن رماح قائد البحر بعد معركة دارت بينه وبين حسن بن قنون ، وقر على أثرها ابن قنون ، ثم خرج وجوه أهل طنجة وهم ينادون " الطاعة لله ولأمير المؤمنين الحكم " .^(٢)

(١) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق الحجي ، ص ٢٦-٢٧ ابن عذاري ، البيان المغرب ج ٢ ص ٢٤٢ .

(٢) ابن حيان ، المقتبس ، ص ٧٩ - ٨٠ ، ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٤٤ - ٢٤٥ .

(٣) ابن حيان ، المقتبس ، ص ٨٩ ، ابن عذاري ، البيان ، ج ٢ ، ص ٢٤٥ .

(٤) ابن عذاري ، البيان ، ج ٢ ، ص ٢٤٥ .

وفي سنة ٨٣٦٢/٩٧٢م استدعى الحكم/الوزير القاسد غالب بن عبد الرحمن، وأرسله لأرض العدو، لمحاربة حسن بن قنون الحنفي (الذي فر بعد هزيمته في طنجة) وجهر جيشا عظيما لحربه ، وقبل أن يتحرك الجيش من قرطبة، جاءه كتاب من قبل قواده المقيمين بأميلا، أنهم التحموا بحسن بن قنون، وألحقوا به هزيمة شنيعة، إذ قتلوا كثيرا من جنده، وأحرقوا بعض قواده، فكتب إليهم الحكم بأن يكلوا عن لقائه حتى يلتحق بهم الوزير القاسد (١) غالب ممدا لهم .

وفي هذا الوقت جاءت رسل حنون بن ادريس، صاحب مدينة الألام بالعدوة، ورسول عبد الكريم، صاحب مدينة القسرويين من مدينة فاس، يرفيان في الدخول في طاعة أمير المؤمنين الحكم، والقيام بدموته فأكرمهما وأجمل لهما (٢) .

كما أرسل الخليفة الحكم صاحب الشرطة الرطبي والمواريث، قاضي اشبيلية، ووكيل الأمير هشام، محمد بن عبد الله بن أبي عامر، وصاحب الشرطة الصغير قاضي الشجر الأعلى محمد بن أبي الحسين والخازن أحمد ابن محمد الكلبي، إلى مدينة أميلا بالعدوة أمناء ومعتنمين للقواد بها، وأمر إليهم بتبليغ بعض أوامره فنفذوا لسبيلهم (٣) .

لقد كانت الدعوة العبيدية تشكل خطرا كبيرا على الدولة الاموية الحنيفة بالاندلس، وقد لقيت دعوة الشيعة أرضا خصبة بالحضر، وعلى وجه الخصوص بين قبائل البربر، التي اعتنق كثير من زعمائها المذهب الشيعي، ولذلك لم يأله الخليفة الحكم جهدا في محاربتهم بشتى السبل كما فعل من قبل والده الناصر، وهي لاقناع كثير من أمراء البربر بالانضمام إليه

(١) ابن حيان، المقتبى، ص ١٠٢ - ١٠٣، ج ٢، ص ٢٤٥ - ٢٤٦ .

(٢) المصدر نفسه، ص ١٠٣ .

(٣) المصدر نفسه، ص ١٠٦ .

وكسبهم الى جانبه بقدر الامكان بهذا الاموال والملاط والكس في سبيل
هذا الهدف وقد نجح في ذلك نجاحا كبيرا . فقد بعث الى قائد غلب
ابي عبد الرحمن اثر هزيمة حن بن قنن بمبلغ عشرة آلاف دينار لتوزيعها
على اصحاب حن بن قنن الذين دخلوا في طاعة الحكم ، توزع عليهم بحسب
مقاديرهم اضافة الى الكموة الفاخرة والسيوف المطلة (١)

وجاءته وفود البربر الى العاصمة قرطبة بنفسها طائفة خاضعة رافعة
في الولاية للخلافة السنية ، نابذة لدعوة الشيعة ولد اكرم وفاداتهم
واحسن اليهم . يقول ابن هبان : " وفي يوم الثلاثاء استخلصون منه
(رمضان ٣٦٢ هـ) عهد امير المؤمنين الحكم الى الوزراء بالعودة فسي
بيتهم لرؤساء البربر القادسين من العدو المتكامل عددهم في هذا الوقت
ومشاهدة توزيع الملاط والكس عليهم التي امر بها لهم ووسعها لكل واحد
منهم ، ففعلوا وقعدوا لهم ، وكان الانذار قد نفذ الى جميعهم فحضر
ودى بامامهم ابي العيش ايوب بن بلال ، رئيس كتامة ، فدفعت اليه خرائط
عدة من المال واعداد من صنوف الخلع الرفيعة ، وحمل على فرس رافع بسرج
معرق ولجام مفرغ ، وخلع على ابنه خلع فاخرة فخرجا وبين أيديهما خرائط
المال ومناديل الخلع ، ثم دعى من معه من الرؤساء أولا فأولا فأسلمت
اليهم ملائمتهم وخلعهم وانضمت في جميع اصحابهم واموانهم حسب مقاديرهم (٢)
وكذلك فعل الخليفة ببقية امراء البربر وامرهم بالانصراف لسبيلهم وعقد
مجلا لأبي العيش ابن ايوب على قومه . كما عقد مجلات أخرى على عدد آخر
من زعماء البربر الذين جاؤوا اليه على نسخة أبي العيش ابن ايوب (٣)
(٤)

(١) ابن هباري ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٤٧ .

(٢) ابن هبان ، المقتبس ، تحقيق د. الحبي ، ص ١١٠ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١١٠ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ١١٤ . ومن هؤلاء الزعماء الذين عقد لهم على قومهم :
يحيى بن فتوح على قبيلة أجاز ، والحسن بن مرجان على قبيلة عصمان ،
وابراهيم بن علي على قبيلة نفيس ، وخلف بن عمار على قبيلة ماسا
سواه ، والقاسم بن نضر على بني معار ، ونحيل بن علي على قبيلة لهيعة
وابن جلال الكتامي على قبيلة بجرمة ، وخلاص بن سعيد على قبيلة معاملة
ومهارش بن ممران على قبيلة مرهاجة ، وأبو ربه بين الأحمم على قبيلة
نورسة ، ومحمد بن أممر على قبيلة الفلاص ، وأبو موسى بن أبي ريد
على قبيلة هيوس ، وعيسى بن يملول على قبيلة بني مغاور ، وصنعان
ابن حليفة على قبائل عمارة ، وأبو دسيس بن طيوس على قبيلة ولوسة .

وبذلك تكون سياسة الاستتلاف التي طرحتها الحكم المستنصر مع أمراء البربر قد أثمرت ، ودخل كثير من هؤلاء الأمراء في طاعة الدولة الأموية وابتدوا المذهب الشيعي والتزموا بالمذهب السني . فقد ورد على الخليفة الحكم في سنة ٨٣٢ / ٩٧٣م كتاب من الوزير القائد الأعلى فيليب بن عبد الرحمن أن صاحبى عدوة الأندلسيين من قس وعدوة القرويين قد استجابا لدعوة الحكم والتزما الطاعة والبيعة التي أمطوها وعقدوها من كتب أمير المؤمنين الواردة عليهم ، المقروءة على عوامهم من جوامعهم من احتمالهم الطاعة والدخول في الجماعة واتباع السنة ، والعمل بمذهب مالك بن أنس أمام أهل المدينة ، وإقامة النافلة في شهر رمضان وتوقفهم عن العمل بالبدع والتبديل والتحريف الذي زرعه الشيعة مندهم وأنهم تطلبوا جميع ما أمروا بالتزامه من جميع ذلك وابتدوا ماعداه ،^(١) وتبعوا لذلك كتب عبد الكريم بن يحيى صاحب عدوة الأندلسيين كتابها بالبيعة للحكم المستنصر ومعه جماعة من الأندلسيين وبنو معه ، وأكدوا في هذه الوثيقة التي كتبوها الخزامهم التام بالكتاب والسنة والبراءة من دعة الشيعة والولاء التام للخليفة الحكم المستنصر .^(٢)

لقد حد الخليفة المستنصر كثيرا من نفوذ الشيعة بالمغرب ، ولقد آتت التدابير التي اتخذها في هذا الشأن أكلها ، وتوقف المد الشيعي نحو الأندلس ، كما تمكن من محاربة الشيعة في أرفهم فهو ، وإن لم يستطع القضاء تماما على النفوذ الشيعي ، لكنه قلل كثيرا من أخطارهم ، وأبعد كثيرا من الموالين لهم ، وأصبح هناك وجود سني بين أمراء البربر الموالين للأمويين بالأندلس .

(١) ابن حيان ، المقتبس ، ص ١٧٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٧٤ - ١٧٥ .

يقول ابن خلدون : " واتممت أيام الحكم المستنصر ، وأوطأ العساكر
أرض العدو من المغرب الأقصى والأوسط ، وتلقى دعوتهم ملوك رناته ومغراوة
ومكاسة لبشها في أعمالهم ، وخطبوا بها على منابرهم وذاعوا بها
دعوة الشيعة فيما يليهم ووفد عليه ملوكهم من آل خزد وبنو أبي العافية
(١)
لأجل ملتهم وأكرم وفادتهم .

(٢)

تولى الخليفة الحكم ليلة السبت ثلاث ظنون من صفر ٤٢٦ هـ / ٩٧٦ م .
ويؤلف تنطوي آخر مطعة مشرق من مطحات الأمويين الأقباط بالأندلس
ويبتدئ عهد آخر ملوك بالفتن والاضطرابات حتى سقطت الخلافة الأموية في
(٣)
الأندلس سنة ٤٢٢ هـ / ١٠٣٠ م .

(١) ابن خلدون ، تاريخ ، ٤ / ٣١٢ .

(٢) ابن هذاري ، البيان المغرب ، ٢٠ / ٢٢٣ .

(٣) انظر الحارثي ، نفح ، ١٠ / ٤٣٨ .

المبحث الثالث

مدى التزام الحكم الأموي بالشرعة الإسلامية

مدى التزام الحكم الأموي بالشرعية الإسلامية

من المسلم به أن أهم هدف للفتوحات الإسلامية في المشرق أو في المغرب هو نشر رسالة الإسلام في ربوع المعمورة وتبليغ الدعوة الإسلامية لكافة البشرية ليدخل الناس في دين الله أفواجا . ولقد استطاع المسلمون أن يفتحوا الأندلس وينشروا الإسلام بين أهل الأرض المفتوحة ، ووطئت جيوشهم إلى ما وراء جبال البربرات ، ثم تهللت بفعل بعض العوام لوانحسرت في الأندلس .

و لا معنى لدولة إسلامية في الأندلس لا تقليم ورضا للشرعية الإسلامية بل تفلاد الدولة معناها الحقيقي الذي من أجله أسست ، وهو نشر رسالة الإسلام ، ولا يتأتى هذا النشر إلا بتمسك الدولة منهاجها و سلوكها بالشرعية الإسلامية التي من أجلها تم الفتح .

وكما هو معلوم فإن الأندلس قد فتحت عام ٩٢ هـ / ٧١١ م ، وتأسست الدولة الأموية في الأندلس عام ١٢٨ هـ / ٧٥٥ م على قرار الدولة الأموية في المشرق ، على ما فيها من علات ، والتزم الأمويون في الأندلس بالشرعية الإسلامية ، منهاجها للحكم و سلوكها شخصيا لهم ، وأخذوا الرعية على ذلك . ومن خلال ما استعرضناه في مبحثي الأمانة والخلافة يتجلى لنا بعد وقرب الحكم الأموي من أحكام الشريعة الإسلامية .

ولكن الذي يجعل المرء يحار حقيقة ، هو هذه المراعات التي لا تكاد تنقطع بين المسلمين أنفسهم ، والشنازع والتشاجر بينهم حتى أن المتأمل في هذه المراعات يتساءل هل كان الإسلام لديهم مجرد اسم يحملون اسمه ؟ أم مجرد شعار يرفعونه ؟

لا شك أن الحكم الأموي في الأندلس كان ملتزما بالشرعية الإسلامية التي من أجلها فتحت الأندلس ، ومن أجلها تأسست الدولة الأموية ، وما كان لحاكم أيا كان ، أن يحيد عن الشريعة الإسلامية في ذلك الوقت .

يقول المقرئ : " وأما قواعد أهل الأندلس في ديانتهم فأنها تختلف بحسب الأوقات والنظر إلى السلاطين ، ولكن الأغلب عندهم إقامة الحدود ، وإنكار التهاون بتعطيلها ، وقيام العامة في ذلك ، وإنكار أي تهاون فيه من أصحاب السلطان ،... وأما الرجم بالحجر للقضاة والولاة للأعمال إذا لم يعدلوا فكل يوم " (١)

وإذا نظرنا إلى ملوك الأمراء الأندلس خلال الفترة ١٣٨ - ١٣٦٦ م نجد أن ملوكهم بحقة عامة ، كان ملوكا ملتزما بالاسلام وأحكامه والسلوك الشخصي للأمراء هو الذي يعكس لنا مدى التزام الدولة بالشريعة الإسلامية .

للامير عبد الرحمن الداخل مؤسس الدولة عندما قدم إلى الأندلس لأول مرة ، بعد أن عبر البحر أتوه بخمر ، فقال إني محتاج لما يريد علي لئلا ينقمه فعرف بذلك قدره " (٢)

كانت تلك أول تجربة للأمير الشريف بعد أن وطأ أرض الأندلس ، وكانى بالذين أتوه بالخمر يريدون اختباره ، فهل يستجيب لهم ويهافر أم الكفاخر وهو قادم لبناء دولة أساسها التشريع الاسلامي الذي يحرم الخمر ؟ لقد جاء رده سريعاً بالرفض وفي ذلك دلالة على التزامه الشخصي بما نهى الله عنه . وحقيقة فان الأمر الذي كان يفكر فيه في حاجة إلى عاقل يــــزن الأمور بميزانها الصحيح ، ولا ينجرف وراء أهوائه ونزواته الشخصية . وماذا سيكون مصير الأمة التي أتى من أجل توحيدها لو أنه انجرف وراء هــــذا الخيار ؟

(١) نصح الطيب ، ١ / ٢٢٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ٢٢/٣٠ .

وهذا الرفض الذي أتى من الداخل له أبعاده ومراميها على المدى القريب والبعيد ، ومعناه أن الخمر لن يجد طريقا اليهم وقد كان وهذا ما أكدته ابن حزم الأندلسي من أن امراء بني أمية بالأندلس لم يشرب أحد منهم خمر العنب - عدا الحكم الريفي - وإنما كانوا يشربون العسل المطبوخ وقال ان هذا أمر لا شك فيه عنده أملا وقد شاهد بعضه وضع عنده (١) ماثرة .

أكد ابن حزم الطليبي الأندلسي المتوفى عام ٤٥٦هـ / ١٠٦٢م على اجتناب بني أمية في الأندلس لشرب الخمر ، وقد شاهد ذلك بنفسه ، فهو معاصر لأحداث أيام الدولة الأموية وسقوطها ، ومات في ذلك من أحداث ، ولو ثبت ذلك عنده لما توانى لحظة في ابراره ، فهو معروف بجراسته وطلائته ، وهنى الحكم الريفي الذي استثناه من بين الأمويين كان طوكه هذا قبل ثورة الريفي ، وبعدها رجح وكبر من ذنوبه وندم على ما اقترف وتاب ممن ذلك كما رأينا في مبحث الامارة (٢) .

ومن مظاهر التزام الأمويين بالشريعة الاسلامية أن الامير هشام ابن عبد الرحمن ، وهو ثاني الأئمة الأمويين ، الذي عرف بهشام الرضا ، العدل ، ولطفا ، قد أخرج متصديقا يأخذ المدقة على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم (٣) .

وهذا استشعار منه بأهمية الزكاة كركن من أركان الاسلام ومالهها من دور في التحالف بين أفراد الامة الاسلامية .

(١) مجموعة رسائل ابن حزم ، رسالة نطق العروس ، تحقيق د. احسان عباس

٢ / ٧٣ .

(٢) انظر حاشية من هذا السطح .

(٣) النويري ، نهاية الأرب ، ج ٢٣ ، ص ٢٥٨ .

ووجد ابن هزم الأمير هشام بأنه : من أعدل الأمراء بعد الصحابة
 رضوان الله عليهم . وقال عنه ابن عبد ربه : أنه كان شريف النفس كامل
 المروءة ، حاكماً بالكتاب والسنة ، أخذ الزكاة من حلقها ووضعها في
 موضعها .^(١)
^(٢)

كان ابن عبد ربه المتوفى عام ٣٢٨ هـ / ٩٢٩ م ، من الذين عاشوا في
 كنف الدولة الأموية ، وعاصر عدداً من الأمراء الأمويين إلى أن تولى في
 خلافة عبد الرحمن الناصر . وعندما تأتي الرواية من شعبة معاصرة
 للأحداث ، فلا مجال للشك فيها . ولد أمدنا بنس واضح من أحد الأمراء
 الأمويين ، وقال عنه أنه حاكم بالكتاب والسنة ، وأنه مهتم بالزكاة
 بصفة خاصة ، فيأخذها من مصادرها ويوزعها على محتاجيها كما أمرت
 القرآن الكريم بذلك في كثير من آياته .

أما عبد الرحمن الأوسط ، الذي خلف والده الحكم بن هشام ، فقد كان
 عالماً بعلوم الشريعة والفلك وغيرها ، وكان أول ما بدأ به حينما
 تولى له والده من الحكم ، عندما ألمعه المرض ، أنه بدأ بتفسير المنكر
 وهدم فندقاً كان معداً لبيع الخمر . ولعل ذلك كان من أسباب شـورة^(٤)
 الدلاء على الحكم الربيعي الذي وصف بأنه كان طامعاً ومصرفاً وله آثار
 سوء تبيحة .^(٥) وهذا الفندق الذي هدمه ابنه عبد الرحمن من آثاره التي
 منهاها المؤرخون .

أما الأمير عبد الله فكان من أكثر الأمراء الأمويين التزاماً بها
 بالاسلام ، وقال عنه ابن حبان : أنه من أطح امراء بني أمية بالاندلس

(١) رسالة نطق العروس في تواريخ الظلماء ، ص ٧٢ .

(٢) العقد الفريد ، ج ٥ ، ص ٢١٦ .

(٣) ابن الأثير الكامل في التاريخ ، ج ٥ ، ص ٢٩٢ .

(٤) ابن فضل الله العمري ، مسالك الأبحار ، مخطوط ، ج ٢٤ ، ص ٢١٥ .

(٥) الضبي ، بغية الملتصق ، ص ١٤ .

وأمثلهم طريقة ، وأتصهم معرفة ، وأمتنهم ديانة حيث كان يتجهج بالليل
 وكانت بيته في ذلك نية المخيت الورع الراغب في الخير ، قال بعض^(١)
 خاصته من فتيان قصره : " كان الأمير عبد الله كثير التلاوة للقرآن
 مشاهرا على درسه لا ينفك كل يوم من تقديم حزب منه ، يبدأ بقراءته
 وكذلك ينظر في شأنه ، وكان حافظا له محبا لمن حفظه ، ومشتقلا لمن
 سعه يخل بالرجل الضخم عنده أنه لا يحفظ القرآن أو بعضه ، ولو اجتمعت
 فيه كل خلة حسنة ، وكان بسيط اليد بالعلاقات على الفقراء وأهل الحاجة
 وأولى الزمانة ، يسهم لهم من مال الجبايات إذا وردت عليه ... وكان
 لا يقدم أمرا ولا يؤخره إلا عن مشورة أهل العلم والفضة " ^(٢)

وهذه صورة حياة لأحد الأمراء الأمويين المتعسكين بكتاب الله حفظا
 وتلاوة وعلا ، ونموذج مشرف من نماذج عصر الأمانة الأموية في الأندلس فكان
 لا يكتفى بمجرد تلاوته فقط ، وإنما كان يتدبر آياته ليطبقها في حكمه إضافة
 إلى ذلك فقد كان يحب الذين يحفظونه ، ومشتقلا الذين يفهمونه مهما
 كان شأنهم . كما كان مهتما بالفقراء من رعيته وأهل الحاجة والميسرين
 المزمنين منهم ، ينفق عليهم من بيت المال من مال الجباية ، وكان مهتما
 بمبدأ الشورى وهو من المبادئ الإسلامية الهامة في الحكم ، فكان لا يقطع
 أمرا دون أن يرج فيه إلى الفقهاء وأهل العلم .

لقد قدم لنا ابن حيان نموذجا حيا لأحد الأمراء الأمويين الملتزمين
 بأحكام الإسلام منهاجاً وعلوا ، وهذه صورة معاكسة تماما لأحد أعلامه ،
 وهو الأمير الحكم بن هشام ، وكان من الطبيعي أن تنعكس هذه الصورة
 المشرقة على الأمانة الأنطونية ، ولكنه بكل أسف - أبتلى بكثرة الفتن
 الداخلية ، التي هدته ، وهكت كيان دولته ، فضاعت العورة المشرقة لعصر
 الأمير عبد الله ، وقد نغمت عليه هذه الفتن حكمه ، ولم يهدأ له مجال
 إلى حين وفاته على نحو ما رأينا في السابق .

(١) ابن حيان ، المقتبس ، نشر مشور أنطونية ، ص ٣٣ ، ابن فضل الله

العمري ، مسالك الأبيار ، مخطوط ، ٢٤ / ٣٢٢ .

(٢) ابن حيان ، المقتبس ، المعتمد السابق ، ص ٣٣ - ٣٤ .

وجاء عهد عبد الرحمن الناصر ليؤكد التزام الأمويين بالشريعة الإسلامية في كل منحنى من مناحي الحياة .

فمن أهم الأعمال التي قام بها الأمير عبد الرحمن والخليفة فيما بعد دفاعا عن الإسلام محاربته للفكر المنحرف الذي أدخله محمد بن عبد الله ابن مسرة^(١) الذي أراد أن يهدم كيان الأمة الإسلامية في الأندلس، مستهدفا في ذلك عقيدتها .

قال ابن حيان : " كان مذهب الظنن المرتاب المنظوي على دغسل السريرة محمد بن عبد الله بن مسرة الرايظ للظننة قد دب في الناس صدر دولة الخليفة الناصر لدين الله ، واستهواهم بظلم ما أظهره من الزهد وأبدى من الورع ، وتشدد في المكاسب ، وأياس عن التجاوز ، وأوحش من الناس ، وأثر من الانتباز منهم حتى استوطن ضيعته ببعض قرطبة مفضلا مكانه هنالك على مجاورة أهلها ، وشهادة جمعها ، فقل دعائه وأصحابه ينتابونه بمكانه ويتكبرون عليه ويأخذون منه ، فيمكنه تروحه بهم من الأذمة اليهم بما في نفسه مما لا يمكن إداعته بالمعسر " .^(٢)

وقال ابن الفرغى عنه : " اتهم بالزندقة فخرج فارا ، وتردد بالمشرق مدة ، فاشتغل بعلاقة أهل الجدل ، وأصحاب الكلام والمعتزلة ، ثم انصرف الى الأندلس فأظهر نسكا وورعا واغتر الناس بظاهره ، فاختطفوا اليه وسعوا منه ، ثم ظهر الناس على سوء معتقده ، وتبع مذهب ، فانقبض من كان له ادراك وعلم ، وتمادى في صحبتة آخرون غلب عليهم الجهل فدأنوا بهلته " .^(٣)

(١) هو محمد بن عبد الله بن مسرة بن تميم ، من أهل قرطبة ، يكنى أبا عبد الله . سمع من أبيه ، ومن محمد بن وضاح ، والخشن ، خرج الى المشرق في آخر أيام الأمير عبد الله ، وكان له لسان يدل به الى تأليف الكلام ، وتمويه اللفاظ ، وإخفاء المعاني . كان مولده في شوال من سنة ٢٦٩هـ ، وتوفي في شوال سنة ٣١٩هـ . ابن الفرغى ، تاريخ علماء الأندلس ، ترجمة رقم ١٢٠٢ .

(٢) ابن حيان ، المعتقب ، تحقيق ب . شالميتا ، ص ٢٠ .

(٣) تاريخ علماء الأندلس ، ٢ / ٦٨٧ ، ترجمة رقم ١٢٠٢ .

وكان منهجه القدرج في السنة والتأويل في القرآن الكريم ، وتذهبيــــــــــــــف
 أحاديث الشفاعة وغير ذلك من آراء المتكلمين والفلاسفة ، واتبعه نفر
 من الناس ، استهوواهم بعلوية حديثه وشككهم في اعتقادهم ، ومدهم عن سبيل
 السنة ، وأبعدهم من الجماعة ، وأصبح بعضهم دعاة وأئمة في مذهبــــــــــــــه (١)
 وكانت وفاته في سنة ٥٣١٩ هـ / ٩٣١ م ، واستمر اتباعه في دعوته على الرغم
 من وفاته ، مما ولد دعرا لدى أهل السنة بقرطبة الذين هرعوا إلى الخليفة
 الناصر لدين الله وابلغوه بخطورة دعوة ابن مكرة على طليعة الأمة ،
 لاستجاب الناصر لدعوة علماء قرطبة ، وأصدر أمرا بملاحقتهم ومنــــــــــــع
 نشاطهم ، والاعلان لمن عثر عليه منهم ، والقضاء عليهم وأخرج كتابا في
 التهديد بمذهبهم ليقرأ على الناس في كافة الافاق بالاندلس (٢)

ويبدو أن هذه الحركة كانت من الخطورة بمكان حيث أن آثارهــــــــــــا
 استمرت حتى أخريات أيام الناصر لدين الله ، ففي سنة ٥٣٥٠ هـ / ٩٦١ م ، اعتنى
 الطقيه محمد بن يعلی زرب بطلب أصحاب ابن مكرة والكشف عنهم ، واستتابة
 من علم أنه يعتقد مذهبهم ، وولد ألف كتابا حسنا في الرد عليهم ، وقد
 جن له في هذه السنة بمجموعة منهم واستتابهم ، ثم خرج إلى جانب المعتمد
 الجامع الشرقي بقرطبة ، وجلس هناك وأحرق بين يده كل ما عثر عليه من
 كتبهم ، وهم ينظرون إليه مع الحافزين (٣)

-
- (١) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق : ب. شالميتا ، ص ٢٠ - ٢١ .
 (٢) ابن الغرني ، تاريخ علماء الاندلس ٢٠ / ٦٨٩ .
 (٣) ابن حيان ، المقتبس ، ص ٢٢ .
 (٤) المعتمد نفسه ، ص ٢٤ - ٢٥ .
 (٥) النباهي ، أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن المالقي ، تاريخ طليعة
 الاندلس المسمى بكتاب المراقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ،
 منشورات دار الافاق الجديدة ، بيروت - ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٣ م ، ص ٧٨ .
 (٦) هو محمد بن يعلی بن زرب بن يزيد بن معلمة . ولد سنة ٥٣١٧ هـ تولى
 قضاء الجماعة بقرطبة ، وكان أحفظ أهل زمانه للمعاشل على مذهب
 مالك وأصحابه . كان مشاورا في الاحكام قبل توليه قضاء الجماعة
 ت ٥٣٨١ هـ / ٩٩١ م .
 ابن الغرني ، تاريخ علماء الاندلس ، ترجمة رقم ١٣٦١ ، ج ٢ ، ص ٧٢٥ -
 ٧٢٦ ، الضبي ، بغية الملتبس ، ترجمة رقم ٣٢٥ ، ص ١٤٦ - ١٤٧ .

قال ابن حبان بعد محاربة الناصر لدين الله لحركة ابن مسيرة والقضاء عليهم : " فأصبح بنعمة الله التي نعتزف بالعجز عن شكرها ، مقتنيا لآثار الظلاء آياته والأئمة من سلفه ، قاسماً بالكتاب ، معلناً بالصحة ، مؤثراً لهما مجاهداً عليهما ... وهو مع ذلك لا يزال موكل بنفس والهمة ، يتفقد مصالح الأمة ، ويتعهد أمور الديانة باحثاً عن حـنـن المعلمين وطرائقهم ، ومواطن اجتماعهم في مساجدهم ، ومحافلهم بمن نصهم من ثقاتهم وميون بطانتهم ، ووكلائهم بمباطنة الطويبات ، وكشف السريرات ، فكانت الأعمال مصروغة عليه وخفيات السرائر مكشوفة له ، ومطويات بنات فكر البر والفاجر منجليات لعلمه ، والباطن والظاهر من مذاهب العوام موضوعات بين يديه ، ونعم الله في كل ذلك تتواصل بتجدد الدين ، والوام شرافته ووضوح مهابته ، وتواضع الرقاب لتعظيمه وسلامة القلوب من الالحاد فيه ، وتردده لها في الطلب لايسأم ، وجديد على جدة الأيام لا يمل ، وكتاب الله مزوَّج معطوف على أحسن تلاوته وأطم حروفه ، وترك العناد والتجادل فيه والتزام الحكم به والرجوع إليه ، (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) ، بإدخال الخاص والعام في شوراهم ، وما يـمـسـر بينهم على مكشوف السنة ، ومشهود ما حمل من كبير الأئمة مالك بن أنس إمام أهل المدينة رضي الله عنه ، ومن الروايات المتفقة والأحاديات المنقولة بصحتها على ألسن الصحابة بنجوم الهداية ، فطابت بذلك هذه البلدة وتركى أهلها " .^(١)

وبناء على ما ذكره ابن حبان في هذا النص المطول الذي أثبتناه لأهميته ، وما يحمله من دلالات واضحة على التزام الحكم الأموي في الأندلس بالشرعية الإسلامية ، نستطيع القول أن الأمويين في الأندلس كانوا متمسكين تمسكاً تاماً بالشرعية حكماً وسلوكاً ودعوة ، ولأنك أن هناك بعض الثوابت التي كانت تشوب سلوك بعضهم ، ولكن الاتجاه العام للدولة ، هو الالتزام بالشرعية الإسلامية ، وعدم الحيطة منها مطلقاً .

(*) المصباح طريقاً واسع منبسط ، وهما : اتسع وانتشر . ابن منظور ، لسان العرب ، مجلد ٢ ، ص ٨٥٦ .

(**) سورة المائدة ، الآية (٤٤) .

(١) ابن حبان ، المقتبس ، تحقيق ب . شالميتا ، ص ٢٣ - ٢٤ .

ونستخلص مما ذكره ابن حيان أننا : أن دولة الناصر لدين الله كانت قائمة على الكتاب والسنة كأساس للتشريع الاسلامي وأن الناصر كان يسير على سنة سلفه ولم يجد عنها شبرا ، ولم يؤثر أي منهج آخر على الكتاب والسنة وكان يجاهد في سبيلهما ، وولد أبلى بلا ١٢ حسنا في محاربة الأفكار الهدامة التي حاولت النيل من الكتاب والسنة .

أما الخليفة الحكم المستنصر ، فقد كان من العلماء الموثوق بهم مند شيوخ الأندلسيين وأئمتهم ، ينقلون ما كتبه ويحاضرون به ^(١) . يروى أنه لما زاد زيادته المشهورة في المسجد الجامع بقرطبة امتنع الناس من الصلاة فيها أيما ، فلما سأل عن العلة في ذلك ، قيل له : أنهم يقولون ما ندرى من أين اكتسب هذه الدراهم التي انفقها في هذه الزيادة ، فلما كان منه إلا أن استعطر الشهود ، وقام الجماعة منذر بن سعيد البلوطي ، واستقبل القبلة ، وحلف باليسين الشرعية التي جرت بها العادة ، أنه ما أنفق فيها درهما إلا من خمس المعظم ، وعند ذلك على الناس فيها مندما ^(٢) علموا بيمينه .

ويثبت لنا من هذا النص مدى تمسك الناس بدينهم ، والدرجة أنهم لا يريدون الصلاة في الزيادة التي اضافها الخليفة إلى المسجد ، لأنهم لا يعلمون من أين اكتسب الدراهم التي انفقت على الزيادة . هل هي من كسب حرام ، أم من كسب حلال مشروع ؟ ومع ذلك لم يغضب الخليفة لهذا السؤال ، واعتبره من طعم ، وقدم لهم الدليل والبرهان العملي على ذلك ، وعندها اطمأنوا وطلوا في الزيادة .

ولوم هذا شأنهم مع أميرهم ، حاسبه حتى في الزيادة التي أجراها على المسجد الجامع ، لاشك أنهم وخليفاتهم ملتزمون بأحكام الاسلام في شتى مناحي الحياة .

(١) ابن الأبار ، الحطة السيرة ، ج ١ ، ص ٢٠٢ - ٢٠٣ .

(٢) عبد الواحد المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص ٤٥٧ .

ومن مظاهر التزام الحكم الأموي بالشرعية في عهد الخليفة الحكم
المستنصر، ذلك الكتاب الذي وجهه إلى شيخ قبيلة كتامة أبي العيش ابن
أيوب الذين دخلوا في طاعة الدولة الأموية، فقد جاء في هذا الكتاب :
وأمره أن يجرى في أحكامه على كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين
يديه ولا من خلفه، وسنة محمد صلى الله عليه وسلم، وأن يأخذ نفسه
بمراعاتهما والاهتداء بهما، وأن يلقى عندما أمره به من استنطج أحوال
الريعية، والعفاف عن أموالهم، واستعمال العدل فيهم، والأخذ لهم ومنهم
وعليهم، والتسوية فيه بين شريعتهم ومشروطهم وقويهم وضعيفهم، وتصح
بابه، ويرفع حجاب، ومباشرة أمورهم بنفسه، وحملهم على واضح الديانة،
ومناهجها المستقيمة، وما قلده منها الكتاب والسنة، ومراعاة الصلاة
لأوقاتها، وإقامتها على كماليها بحدودها والآذان لها على حسب ما كان في
عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والراشدين من بعده، وما عليه جماعة
المسلمين فيه، والافتقار عند رؤية الهلال كما أمر به رسول الله صلى الله
عليه وسلم، وأن يأخذ زكواتهم من الحبوب والثمار، وصدقات مواشيهم
على حدودها وشراعتها، غير ملزم منها ولا متجاوز لها، ولا مبدل لشئ منها،^(١)

لقد رسم الخليفة الحكم في هذا الكتاب المنهج الواضح للشرعية
الاسلامية، لأخذ أتباعه الذين دانوا له بالولاء بالعدوة، وحدد له الطريقة
التي ينبغي أن يدير عليها في ولايته لقومه. وإذا كان هذا الكتاب
بمحاذاة ميثاق أمراء ولايته يتلهم منها شاملا وتمورا كاملا لمنهج
الحكم على ضوء الشريعة الاسلامية، فإن هذا المنهج لابد أن يكون من خطه
ورسمه عاملا بهديه، ومقتديا به قبل أن يلزم غيره به.

ولما كره العلماء للخليفة الحكم شرب الخمر لحرمتهم^(٢)، فلم
باستعمال شجرة العنب من الأندلس، فليل له : فإنها تعمر من سواها
فأملك من ذلك.

(١) ابن حبان، الملتقى، تحقيق الحبي، ص ١١١ - ١١٢.

(٢) المقرئ، نفع، ٢ / ٢١٤.

(١)

وكان المذهب المالكي هو أساس التشريع الاسلامي في الاندلس .

دخول المذهب المالكي الى الأندلس :

(٢)

كانت الاندلس منذ أن فتحت على مذهب الامام الأوزاعي ، ثم انتقلت الى مذهب الامام مالك بن أنس ، وقد اختلفت الروايات حول دخول المذهب المالكي الى الأندلس ، فذهب البعض الى أن المذهب المالكي دخل الأندلس في عصر الأمير عبد الرحمن بن معاوية ، وذلك عندما سأل الامام مالك عجاج المغرب عن سيرته ، فلما ذكر له أنه يأكل الشعير ويلبس الصوف ويجاهد في سبيل الله ، قال : ليت الله زين حرماً بمثله ، فلما وطئت مقاتلة السبيل الداخل سر بها وجمع الناس على مذهبه .^(٣)

وهناك من يرى أن دخول المذهب تم في عصر الحكم ، ثالث الأُمراء الامويين بالاندلس ، وذلك برأي الحكم واختياره ، واختلف في السبب الذي أدى به الى اختيار المذهب المالكي ، فإني يقول أن سببه : رحلة علماء الاندلس الى المدينة ، فلما رجعوا الى الاندلس وصفوا فضل مالك وسعة علمه

(١) نشأ المذهب المالكي على يد امام اهل المدينة مالك بن أنس بن مالك ابن أبي عامر الأصبحي ، الذي ولد بالمدينة سنة ٨٩٣ هـ ، وتوفي بها سنة ١٧٩ هـ على أرجح الأقوال ، وقد بدأ مالك طلب العلم وهو صغير ، وأخذ المعلم عمن ربيعه الرأي ، وعن ابن هرمز ، وعن ابن شهاب الزهري وعن شافع مولى ابن عمر . كان يستند في مذهبه على تلميذ تلميذ كتاب الله أولاً ، ثم السنة النبوية الشريفة ثانياً ، ثم الاجماع عند عدم الكتاب ومتواتر السنة ، وبعد ذلك عند عدم هذه الأصول ، القياس عليها والاستنباط منها ، والعمل بأخبار الآحاد عند عدم الكتاب والتواتر لها ، وهي مقدمة على القياس لاجتماع الصحابة على العمل بها . القاضي عياض ، ترتيب المدارك ، ج ١ ، ص ٩٢ - ٩٤ ، ١٠٢ ، ١١٠ ، ١١١ ، ابي حنيفة فرحون المالكي ، الديباج المذهب ، ج ١ ، ص ٧٩ - ٨٠ .

(٢) عياض ، ترتيب المدارك ، ٥٥/١ ، المقرئ ، نطع ، ٢٣٠/٢ ، الطلوي ، الناصري ،

الاستيعاب ، ١٠ / ١٣٩ .

(٣) الطلوي ، المعبر نفسه ، ١٠ / ١٣٩ .

وجلالة قدره فأعظموه ، ورأى يقول بأن أهل الأندلس وصفوا سيرة أميرهم
للإمام مالك فلما أطمع بعض سيرته قال : " نسال الله أن يررين عرمنسا
بملككم " (١) .

ومعنى ذلك أن سيرة الحكم بن هشام هي التي وصلت للإمام مالك ،
وليت سيرة الأمير عبد الرحمن ، وأرى أن هذا الرأي غير صالح لأن سيرة
الحكم كما رأينا لم تكن بالصورة المشرقة حتى يجعلها أهل الأندلس للإمام
مالك ، إضافة إلى شيء آخر هو أن وفاة الإمام مالك كانت في سنة ١٢٩هـ ،
وذلك قبل أن يتولى الأمير الحكم الإمارة بعنة ، وكانت ولايته في سنة
١٨٠هـ .

ويقول ابن الطوطية : أن زياد بن عبد الرحمن اللخمي فقيه الأندلس
رحل بعد عام من ولاية الأمير هشام إلى الشرق ، فلما صار بالمدينة
والتقى بالإمام مالك بن أنس سأله عن هشام فأخبره عن مذاهبه فقال :
" ليت الله زين سمنا بعثله " (٢) . ويبدو أن هذا هو الأرجح فقد ذكر القاضي
مياي : أنه رحل إلى مالك من الأندلس زياد بن عبد الرحمن ، وقرموس بن
العباس والطائري بن قيس ومن بعدهم فجاءوا بعلمه إلى الأندلس ، وأبأنوا
لفظه للناس ، مما جعل الأمير هشام بن معاوية يلزم الناس بمذهب مالك بن
أنس وصير القضاء والفتيا عليه . (٣)

وعلى أية حال فإنه من الأرجح أن المذهب المالكي صار المذهب
الرسمي للدولة الأموية في الأندلس بدءاً من عصر الأمير هشام بن عبد الرحمن
شأن الأمراء الأمويين ، وقد كان هشام يلقب بالفقيه والعلماء ومن هؤلاء

(١) المقرئ ، نفح ، ٢ / ٢٢٠ .

(٢) ابن الطوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٦٢ .

(٣) عياض ، ترتيب المدارك ، ج ١ ، ص ٥٥ .

الغتها المالكية الذين حظوا بالتقدير عنده ، زياد بن عبد الرحمن الذي أراد أن يوليه القضاء ، ففر هاربا بنفسه ، فقال هشام ليت الناس كزياد حتى أكمل أهل الرغبة في الدنيا ، وكان يقول : " صبت الناس ، وبلوتهم ^(١) لما رأيت رجلا يسر من الزهد أكثر مما يظهر إلا زياد بن عبد الرحمن .

ويبدو أن الفقهاء قد وجدوا درجة كبيرة من الحظوة لدى الأمير هشام الذي كان يقربهم ويستمع إليهم ولذلك لم يحتملوا تصرفات خلفه الحكم بن هشام فتأثروا عليه . ومن هؤلاء الفقهاء الذين تأثروا على الحكم ، الطقيه عيسى بن دينار ، الذي قام بدور بارز في بلورة الطائفة المالكية في الأندلس ، إذ رحل إلى المشرق وسع من ابن القاسم وصحبه ثم انصرف إلى الأندلس ، حيث كانت الفتيا تدور عليه ، ولا يتقدمه أحد بالطريقة وقد فر بعد فتنة الربيع واختفى فترة من الوقت إلى أن آمنه الأمير الحكم بن هشام ، وتوفي سنة ٢١٢ هـ . وكان ابن وهاب يقول أن عيسى بن دينار : " هو الذي علم أهل الأندلس الطائفة " ^(٢) .

وفي عصر الأمير عبد الرحمن الأوسط بدأ المذهب المالكي في الانتشار والتوسع ، ذلك أن الأمير عبد الرحمن منح الشيخ يحيى بن يحيى ملاحظات واسعة في تولية ومزل القضاء وكان يستشير ولايحيد من مشورته ، فأصبح شديد التمكن لديه وأثره على جميع الفقهاء ^(٤) . والشيخ يحيى بن يحيى من أعلام الطائفة المالكية الأندلسية ، فقد سمع من زياد بن عبد الرحمن الموطأ ، وسمع من يحيى بن مضر ثم رحل إلى المشرق وهو ابن ثمان وعشرين سنة ، لسمع من مالك بن أنس ، الموطأ ، وأقدم الأندلسي بعلم كثير ، ومعدات فنيها ^(٥) الأندلسي بعد عيسى بن دينار تدور عليه ويميز ابن حزم انتشار المذهب

-
- (١) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ٢ / ٢٧٩ - ٢٨٠ ، ترجمة رقم ٤٥٦ .
 (٢) عياض ، ترتيب المدارك ، ٢ / ١٦ - ١٧ .
 (٣) ابن حبان ، المقتبس ، تحقيق د. محمود علي مكن ، طبعة بيروت ، ص ٩٩ .
 (٤) المصدر نفسه ، ص ٤٠ - ٤١ .
 (٥) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ٢ / ٨٩٨ ، ترجمة رقم ١٥٥٤ .

المالكي في الأندلس إلى الشيخ يحيى بن يحيى لأنه كان مقبول القول لدى القضاة ، وكان لا يلقى قاضي في أقطار بلاد الأندلس إلا بمشورته واحتيساره ولذلك تصارع الناس إلى اعتناق المذهب المالكي أملاً في الوصول إلى القضاء ^(١) . وهذا ليس بسبب كاف في رأيي لأن يتصارع الناس إلى اعتناق المذهب المالكي ، حتى يعلوا إلى ما يريدونه من مناصب ، فليس ذلك وحده هو السبب ، وقد رفض كثير من هؤلاء الفقهاء أن يتولوا أي منصب قضائي وخير دليل على ذلك ما ذكرناه من رفض زياد بن عبد الرحمن لمنصب القضاء الذي أراده له الأمير هشام .

وقدم ابن خلدون تبريراً لانتشار المذهب المالكي السريع في الأندلس ومزاه إلى عدة أسباب فقال : " وأما مالك رحمه الله تعالى - فأختص بمذهبه أهل المغرب والأندلس ، وإن كان يوجد في غيرهم إلا أنهم لم يلبثوا غيره إلا في القليل ، لأن رحلتهم كانت غالباً إلى الحجاز - وهو منتهى طهرهم ، والمدينة يومئذ دار العلم ومنها خرج إلى العراق - ولم يكن العراق في طريقهم ، فاعتصموا على الأخذ من علماء المدينة ، وشيخهم يومئذ وإمامهم مالك وشيوخه من قبله وتلاميذه من بعده ، فرجع إليه أهل المغرب والأندلس وقلدوه دون غيره ممن لم تعلم إليهم طريقته . وأيضاً فالبدواة كانت غالبية على أهل المغرب والأندلس ولم يكونوا يعانسون الحضارة التي لأهل العراق ، فكانوا لأهل الحجاز أميل . ^(٢)

قد يكون مذكرو ابن خلدون فيه شيء من الصحة من أن أهل المغرب والأندلس كان اتصالهم اتصالاً مباشراً مع المدينة ، منبع المذهب المالكي وذلك من طريق رحلات الحج ، ولكن ليس هناك ما يمنع أهل المغرب والأندلس

(١) ابن حزم برواية المقرئ ، نطح ، ٢ / ١٠ .

(٢) المقدمة ، ص ٤٤٩ .

من الاتصال بعلماء آخرين في أنحاء الدولة الإسلامية سواء كانوا فقهائى
العراق أو فى أى مكان آخر ، وليس كل العلماء القادمين من الأندلس إلى
المشرق كان هدفهم الحج فقط ، بل كان هدف أغلبهم علمياً فى المقام
الأول . وأما بداية أهل الأندلس والحجاز فأمر غير معلوم به فالمدينة
هى عاصمة الدولة الإسلامية منذ هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إليها ،
واستقراره فيها ، ولا يمكن أن يظل أهلها على بداوتهم لأكثر من قرن ونصف
تقريباً . والمدينة يومئذ هى دار العلم كما ذكر هو بنفسه .

وعلى كل ، استقر المذهب المالكي وثبت فى الأندلس ، وساهم عدد كبير
من علماء الأندلس فى تثبيته وتوطيعه .^(١)

ولقد ساهم عدد كبير جداً من الفقهاء الأندلسيين ممن لا يتسع المجال
لذكرهم فى تثبيت المذهب المالكي بالأندلس .

وكان الأندلسيون متمسكين أيماء تمسك بالمذهب المالكي ، حتى أنهم
يقولون : " لانعرف الا كتاب الله وموطأ مالك " فان ظهر لهم خلافى أو
شافعى فقلوه ، وان مشروا على معتزلى أو شيعى ونحوهما ربما فقلوه " .^(٢)

(٣) فمن هؤلاء الفقهاء عبد الملك بن حبيب الذى رحل إلى المشرق وسمع الموطأ
من مجموعة من أعلام المالكية بالمشرق ، ثم انصرف إلى الأندلس وجمع
علماً عظيماً ، وكان مشاوراً مع يحيى بن يحيى ، وسعيد بن حسان ، وهانظا
للغة على مذهب المدنيين نبيلاً فيه ، وله مؤلفات فى اللغة والتواريخ
والآداب مثل الواضح التى لم يؤلف مثلها ، والجوامع ، وكتاب فضائل
الصحابة رضى الله عنهم وكتاب غريب الحديث وتفسير الموطأ - ابن الفرضى
تاريخ علماء الأندلس ٤٥٩/٢ ، ترجمة رقم ٨١٤ .

ومنهم محمد بن عمر بن ثبابه الذى روى من عدد كبير من تلاميذ الإمام
مالك ، وكان اماماً فى اللغة مادماً على أهل زمانه ، فى حفظ الراى
والبحر بالفتيا ، درس كتب الراى مئتين سنة ، وكان مشاوراً فى أيام
الامير عبد الله ، وانفرد بالفتيا من أول أيام الناصر لدين الله ،
وكانت وفاته سنة ٥٣١ هـ . ابن الفرضى ٦٨٠/٢ ، ترجمة رقم ١٨٨٧ .
ومنهم محمد بن وضاح بن بزيع (مولى عبد الرحمن بن معاوية) الذى رحل
رحلتين إلى المشرق ، ويبلغ عدة الرجال الذين سمع منهم فى الامعار مائة
وخمسة وسبعون رجلاً ، ويحمد بن وضاح ويلى بن مخلد ، صارت الأندلس دار
حديث ، وكان عالماً بالحديث ، يعيرها بطريقة متكلمة على ملته - ابن
الفرضى ٦٥٠ / ٢ ، ترجمة - رقم ١١٢٤ .

(١) المقدس البشاورى ، أحسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم ، طبع فى مدينة

ودلالة على تمسكهم هذا بالمذهب المالكي فقد كتب الخليفة الحكم المستنصر الى احد الفقهاء كتابا جاء فيه : " وكل من زاع من مذهب مالك فانه ممن رين على قلبه وزين له سوء عمله ، وقد نظرنا طويلا في أخبار الفقهاء ، وقرأنا ما منغنا من أخبارهم الى يومنا هذا ، فلم نر مذهباً أعلم منه .. " (١)

لقد وصلت قناعة الأندلسيين بالمذهب المالكي درجة كبيرة ، جعلتهم لا يرون أن هناك مذهباً آخر أعلم منه .

ولد حاول الفقيه أبو عبد الرحمن بلي بن مخلد ، إدخال بعض المصنفات الشافعية إلى الأندلس ، ولكن بعض فقهاء المالكية وقفوا ضد محاولاته ، وأنكروا عليه ذلك ، واستعدوا عليه الأمير محمد بن عبد الرحمن ، الذي استدعاه ، وتصفح كتابه صفحة صفحة ، الى أن أتى الى آخره ، ثم قال للخازن : " هذا كتاب لا تستغنى خزانتنا عنه ، فانظر في نسخه لنا " ثم قال لبلي ابن مخلد : أنشره ملك ، وأرو ما عندك من الحديث . (٢)

وقرب الأمير محمد أحد فقهاء الشافعية الأندلسيين ، وهو قاسم ابن محمد بن قاسم بن سيار ، ٥٢٧٧هـ ، الذي كان من أعلم علماء الأندلس ، وبذهب مذهب الحجة والنظر وترك التقليد . (٣)

ولكن محاولات الشافعية نشر مذهبهم بالأندلس - لم تجد ازاء الموجبة العارمة من فقهاء المالكية ولم يجد المذهب الشافعي انتشاراً يذكر في الأندلس .

- (١) القاضي عياض ، ترتيب المدارك ، ج ١ ، ص ٥١ .
 (٢) أبو عبد الرحمن بلي بن مخلد - من أهل الرطبة له رحلة الى المشرق لقي فيها جماعة من الأئمة والمحدثين ، له عدد من المصنفات في التعبير والحديث - كان مولده في شهر رمضان سنة ٢٠١ هـ ، وتوفي سنة ٢٧٦ هـ . انظر ابن الفرض ، تاريخ علماء الأندلس ، ترجمة رقم ٢٨١ ، ضمن بغية الملتصق ترجمة رقم ٥٨٤ .
 (٣) الضبي ، بغية الملتصق ، ص ١٥ .
 (٤) ابن الفرض ، تاريخ علماء الأندلس ، ترجمة رقم ٢٠١٠٤٦ / ٥٩٧ - ٥٩٩ .

لقد حقق المذهب المالكي نجاحا كبيرا في الحياة التشريعية في
الاندلس، وأصبح حمة بارزة من سمات هذا المجتمع .

وقد شكل الفقهاء الأندلسيون الذين ذكرناهم ،والذين لم نذكرهم
تبارا ثويا في بعض أحكام الفقه المالكي على واقع الحياة والزموا
الدولة بالالتناع أمراؤها ،أن تعبر في كل نظمها وفق أحكام هذا المذهب .

ونظرا للمنزلة الرفيعة والمكانة السامية التي بلغها علماء
الاندلس ،لقد أصبحت أحكامهم حجة بالمغرب ،وذلك لعظم أمرها ،حتى أنهم
يقولون في الأحكام : هذا ما جرى عليه عمل أهل لربة .^(١)

(١) المقرئ ،فتح الطيب ، ١ / ٥٦٦ .

الفصل الثاني

النظام الإداري للدولة الاموية في الأندلس ١٣٨ - ٢٥٥/٥٣٦٦ - ٩٢٦م

ويشتمل هذا الفصل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الوزارة والحجاب

المبحث الثاني : الدواوين والخط

المبحث الثالث : الإدارة الإقليمية وتنظيماتها

المبحث الأول

الوزارة والحجابه

أولا الوزارة :-

الوزارة في اللغة : مشتقة من الوزر والوزر الملجأ ، وأصل الوزر الجبل المنيع ، وكل معقل وزر . والوزر الحمل الثقيل . والوزر الذنوب لشقله وجمعها أوزار . وأوزار الحرب وغيرها الاشكال والالات .

والوزير حياً الملك الذي يحمل ثقله ويعينه برأيه ، وقد استسوز^(١) وحالته الوزارة والوزارة والكسر أعلى موارره على الأمر أمانه وقواه

والوزارة هي أم الخطط السلطانية ، والرتب الملوكية ، لأن اسمها يدل على مطلق الامانة .^(٢)

وهي مؤسسة ادارية عباسية ، لأن قواعدها لم توضع في الدولة الاسلامية وتقرر قوانينها الا في دولة بني العباس ، أما قبل ذلك فلم يكن لها وجود ملئن ، بل كان لكل واحد من الملوك حاشية وأتباع ، فإذا حدث أمر استشار ذوي الحجا والآراء الصائبة ، فكل منهم يجري مجرى وزير فلما ملك بنو العباس تقرر قوانين الوزارة .^(٣)

ولقد قسم فقهاء الاحكام السلطانية الوزارة على ضربين : وزارة تفويض ووزارة تنفيذ . فوزارة التفويض أن يحتوزر الامام من يفوض اليه تدبير الامور برأيه ، وامضاءها على اجتهاده .^(٤)

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، المجلد الثالث ، ص ٩١٨ ، محمد بن ابي بكر الرازي ، مختار الصحاح ، ص ٤٢٢ ، تحقيق د. مصطفى ديب البغا ، الجماعة للطباعة والنشر - دمشق - بيروت ، الطبعة الاولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

(٢) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٦٠٣ .

(٣) ابن طباطبا ، محمد بن علي بن طباطبا (ت ٧٠٩ هـ) الطخري في الاداب السلطانية والدول الاعلامية ، دار صادر - بيروت - لبنان ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٦ م ص ١٥٢ .

(٤) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ٢٢ .

ويجوز لوزير التفويض أن يحكم بنفسه ، وأن يقلد الحكام ، كما يجوز ذلك للامام لأن شروط الحكم فيه معتبرة . ويجوز له أن ينظر في المظالم ويعتصم فيها ، وأن يتولى الجهاد بنفسه ، أو يقلد من يتولاه ، وإن مباشر تنفيذ الأمور التي دبرها وأن يعتصم في تنفيذها .^(١)

وأما وزارة التنفيذ فهي أقل من وزارة التفويض لأن النظر فيها مقصور على رأي الامام وتدبيره ، وهذا الوزير وسط بينه وبين الرعية والولاة يؤدي عنه ما أمر ، وينفذ عنه ما ذكر ، ويضع ما حكم ، ويخبر بتقليد^(٢) الولاة ، وتجهيز الجيوش ، ويعرض عليه ما ورد من مهم ، وتجدد من حدث ملم .

ويرامى في وزير التنفيذ : الامانة ، وصدق اللمعة ، وقلة الطمع حتى لا يرتشى ليعاين ولا يندفع ليعتاهل ، وأن يعلم فيما بينه وبين الناس من مداواة وشعناء ، وأن يكون ذكورا لما يؤديه الى الخليفة وعنه ، لانه شاهد له وعليه ، وأن يكون ذكيا لطفا ، وأن لا يكون من اهل الامواء فيخرجه الهوى من الحق الى الباطل .^(٣)

الوزارة في الدولة الأموية بالأندلس :

بعد أن استقرت الأمور للأمير عبد الرحمن بن معاوية ، وأصبح أميرا على الأندلس ، نقل الى ادارته معظم النظم الادارية الأموية التي كانت سائدة بالشرق . أما الوزارة فلم تكن بالطبع ضمن النظم الأموية للشرق ، ولذلك لم تعرف الدولة في عهده هذا النظام .

ولذلك فإن الداخل ، لم يكن له من يطلق عليه صفة وزير ، لكنه يسمى^(٤) أشياخا للمشاورة والمؤازرة . فكانت قاعدة الوزارة في الأندلس في عهد

(١) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ٢٤ - ٢٥ .

(٢) المعدر نفسه ، ص ٢٥ - ٢٦ .

(٣) المعدر نفسه ، ص ٢٦ .

(٤) المقرئ ، تنقيح الطيب ، ٢ / ٤٥ .

بى أمية ، مشتركة فى جماعة يعينهم صاحب الدولة ، للإعانة والمشاورة ، ويحصم بالمحالة ، ويختار منهم شخسا لمكان الناقب المعروف بالوزير ،
(١)
فيسميه الحاجب .

تلك كانت قاعدة الوزارة وتشكيلها فى الأندلس بصفة عامة ، لهنى عبارة
من هيئة استشارية يشكلها الأمير من بين الشخصيات المعروفة ، يؤلفون
مجلسا يستفيد الأمير من آرائهم وتوجيهاتهم ، ويختار الأمير من بين هذه
الشخصيات ، شخسا يقوم مقام رئيس الوزراء ، يسمى بالحاجب .

وعلى الرغم من أن مفهوم الوزارة لم يترسخ فى عهد الأمير عبدالرحمن
الداخل ، إلا أننا نجد أن بعض المصادر تطلق على بعض عماله اسم وزير ،
ولكنه وزير للمشاورة والمؤازرة ، فيذكر ابن الأبار : أن الأمير عبدالرحمن
ابن معاوية استوزر أبا عبده حسان بن مالك ، واستقوده ، واستعمله على
أشبيلية ، كما تصرف ابنه عبد الفاهر أيضا فى الوزارة للأمير عبد الرحمن ،
ومهد إليه بفاتحه ، إلى أن مات .
(٢) (٣) (٤)

وخطب الداخل ابن عمه عبد الملك بن عمر بن مروان بن الحكم ، السبى
أبلى بلاء حسنا فى المعركة التى جرت بين جيش الداخل من جهة ، وبين
اليمانية وأهل أشبيلية من جهة أخرى ، فقال له : " يا ابن عم قد انكحمت
ابنى وولى عهدى هشاما ابنتك فلانة ، وأعطيتها كذا وكذا ، وأعطيتك كذا ،
ولاولادك كذا ، وأعطيتك وإياهم كذا ، ووليتكم الوزارة " .
(٥)

(١) المقرئ ، نفع الطيب ، ٤٥/٣ ، د . عبد العزيز هتيق ، الأدب العربى فى الأندلس
ص ١٢٨ .

(٢) هو أبو عبده حسان بن مالك بن عبد الله بن جابر . كان جده عبد الله
مملوكا لمروان بن الحكم أبلى يوم وقية مرج راهط بلاء حسنا فأعنته ، وكان
دخول حسان بن مالك إلى الأندلس سنة ١١٣ هـ قبل دخول عبد الرحمن بن معاوية
بخمسة وعشرين سنة ، وكان أول من ألقى إليه بدر مولى الداخل عند دخوله
الأندلس ، برغبة عبد الرحمن بن معاوية العبور إلى الأندلس . ابن الأبار ،
الحلة الميراث ١ ، ٢٤٥ - ٢٤٦ .

(٣) عبد الفاهر بن حسان بن مالك . ولد بالمشرق ، ونشأ مع عبدالرحمن بن معاوية
وتأدب معه بالمشرق وهو أشهر أبناء حسان بن مالك ، وقد بعثه مع بدر
إلى عبدالرحمن بن معاوية قبل دخوله الأندلس . ابن الأبار ، الحلة الميراث ١
٢٤٦/١ .

(٤) ابن الأبار ، الحلة ، ج ١ ، ص ٢٤٦ - ٢٤٧ .

(٥) المقرئ ، نفع الطيب ، ٢ / ٥٩ .

بالوزارة اذن كسمى كانت موجودة في عصر الداخل ، ولكنها كمؤسسة لها أسسها واعتبارها لم تكن معروفة .

وفي عصر الأمير هشام بن عبد الرحمن ، نجد أنه ولي عبد الله بسن محمد بن أمية ، الوزارة والكتابة ، ثم عزله ،^(١)
^(٢)

والراجع أن الاندلس لم تعرف الوزارة بمعناها الحقيقي إلا في عصر الأمير عبد الرحمن الأوسط ٢٠٦ - ٢٢٨ هـ / ٨٢١ - ٨٥٢ م ، فقد ذكر ابن القوطية أن عبد الرحمن الأوسط هو أول من رتب اختلاص الوزراء إلى القصر والتحدث معهم في الرأي ، وكان له وزراء لم يكن لاحد قبله ولا بعده مثلهم .^(٣)

ويقول ابن حيان : " وكان قد اجتمع للأمير عبد الرحمن من سواة الوزراء أولى العلوم والنهى ، والمعرفة والذكاء عصابة ، لم يجتمع مثلها عند أحد من الخلفاء قبلهم ولا بعدهم " .^(٤) وأفرد لهم الأمير عبد الرحمن بيتاً رفيعاً داخل قصره خاصاً بهم ، حيث كانوا يقعدونه ، ويجلسون فيه ، فـوق أرائك قد نفدت لهم ، فكان يستدعيهم إلى مجلسه إذا شاء فرادى أو جماعات ويخوض معهم في الحديث في أمور الدولة المختلفة ، ويناقشهم فيها ، ويقلب معهم الرأي فيما يجريه من أحكام ، وكانوا إذا جلسوا في بيت الوزارة أخرج زمامه ورسائله إليهم بأمره ونهيه .^(٥)

من الواضح أن هناك تطوراً كبيراً طرأ على الهيئة الاستشارية ، في عصر عبد الرحمن الأوسط ، إذ لم تعد هيئة استشارية فقط ، وإنما أصبحت هيئة وزارية منظمة ، لها بيت خاص بها داخل قصر الأمير أشبه بمجلس الوزراء في وقتنا الحاضر .

(١) عبد الله بن محمد بن أمية بن يزيد بن عبد الرحمن بن أبي حوشرة ، مولى معاوية بن مروان بن الحكم ، دخل جده أمية إلى الاندلس في طالعة بلج بس بشر ، وكتب لعبد الرحمن بن معاوية . توفي سنة ٢٤٦ هـ . ابن الأثير ، الحلة السيراء ٢٧٢/٢ ، ابن حيان ، المقتبس ، ص ٢١ .

(٢) ابن الأثير ، الحلة السيراء ٢٧٢ / ٢ .

(٣) تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٧٧ - ٧٨ ، ابن سعيد ، المغرب ، ١ / ٤٦ .

(٤) المقتبس ، تحقيق د. محمود علي مكي ، ط بيروت ، ص ٢٩ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ١٦٨ .

وكانت الوزارة تتألف من عدد كبير من الوزراء ، فلقد بلغ عدد وزراء الأمير عبد الرحمن الأوسط ستة عشر وزيرا في بعض الأحيان ، وبلغ راتب الوزير منهم ثلاثمائة دينار في الشهر .^(١)

وهذا يوضح لنا التطور الكبير الذي أدخله الأمير عبد الرحمن على الوزارة ، حتى أصبح مجلس وزراءه ، يضم هذا العدد الكبير من الوزراء ، كما أن راتب الوزير كان ضخما ، مما يفسر لنا أهمية هذا المنصب ، وأن الوزارة أصبحت مؤسسة لها كينونتها وذاتيتها .

وعلى الرغم من التطور الكبير للوزارة ، من إنشاء بيت للوزراء وراتب لهم ، إلا أنه يمكن القول أن الوزارة في أكثر الأحيان كانت تشرط أكثر من كونها وزارة تنفيذ أو تفويض ، وهذا لا ينفي وجود وزارتي التنفيذ أو التفويض في الدولة الأموية بالأندلس . وكان إلى جانب هذا التشريف بمنح بعض الوزراء صلاحيات محدودة .

وفي عصر الأمير محمد بن عبد الرحمن ٢٢٨ - ٨٥٢/٨٢٧٣ - ٨٨٦م كان أول من ولاه الوزارة ، هو محمد بن موسى ، أول معطّح له على عهد والده ،^(٢) ادعى له قديم صحبته ، فولاه الوزارة في أول يوم تولّى فيه الامصار ، فربه من غير تدرج إليها ، فصار من الغريب أن علق به اسمها ، على بعد ما كان بينه وبينها ، مرتبة ووراثة . وقد اشتهرت ورشته بعد ذلك ببني الوزير بطرطبة من بني تكررت فيهم هذه الخطأ .^(٣)

(١) ابن حبان ، المقتبس ، تحقيق د. محمود علي مكّي ، ص ١٦٨ ، ابن عذارى المراكشي ، البيان المغرب ، ٨٠/٢ ، يجعل ابن عذارى عدد وزراء الأمير عبد الرحمن ، تسعة وزراء .

(٢) محمد بن موسى الاشبيلي ، كان من بيت من العرب يدهون ببني موسسى - سبهم في عائق ، ويدعى بنو عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي الذي كان عاملا على الاندلس . وزعموا أنهم من موالى بني عاقق . كان أول اتصال له بالامارة في عصر الأمير عبد الرحمن الأوسط ، وكان وكيلا للأمير محمد في عهد والده . ابن حبان ، المقتبس ، ص ١٣٩ - ١٤٠ .

(٣) ابن حبان ، المقتبس ، ص ١٣٩ .

لقد كانت الوزارة مرتبة سامية ، وكان لابد لمن يتولاها أن يتدرج في سلم الوظائف والأعمال المختلفة ، حتى يكتب خبرة كبيرة تؤهله لتولى هذا المنصب ، ولكن هذا الوزير خرق القاعدة المعمول بها في هذا الشأن ، ليتولى الوزارة شربة واحدة ، دون أن يتدرج في الوظائف والأعمال الأخرى .

وبرز في عصر الأمير محمد أربعة وزراء^(١) امتازوا بالعقل ، وجودة الرأي ومن السيرة ، وسداد المذاهب وهم عبد الله بن أمية الكاتب ، ووليد ابن عبد الرحمن بن غانم^(٢) ، وأميرة بن عيسى بن شهيد^(٣) ، ومحمد بن موسى الأشبيلي^(٤) ، وهو أجودهم رأيا^(٥) .

ومن الذين تولوا خطة الوزارة للأمير محمد بن عبد الرحمن ، تمام بن عامر^(٦) ، وقد انتظمت وزارته من بعده لابنيه الأميرين المنذر وعبد الله^(٧) .

ومن وزراء الأمير محمد بن عبد الرحمن ، هاشم بن عبد العزيز ، وكان هاشم أربع طبقة الوزراء قدرا ، وأرجحها وزنا ، وأجمعها لخلل الخير ، وأحواها لخصال النبل ، وأعلاها في قدام الخلف ، إذ كان من أهل النباهة والوجاهة وشرف النفس وبعد الهمة ، وصحة المقد وكرم الضيعة^(٨) .

(١) سجلت ترجمته في ص ٨٧ .

(٢) وليد بن عبد الرحمن بن عبد الحميد بن غانم ولي للأمير محمد بن عبد الرحمن غطى الوزارة والمدينة وقاد جيش العاقلة لابنه عبد الرحمن بن محمد ، كان كاتباً أديباً مرسلًا بليفاً . تولى في شعبان سنة ٢٧٢ هـ . ابن الأبار ، الحلة السيرة ، ٢ / ٢٧٤ .

(٣) لم أشر له على ترجمة .

(٤) سجلت ترجمته في ص ٨٨ .

(٥) ابن حيان ، المقتبس ، ص ١٤١ .

(٦) هو تمام بن عامر بن أحمد بن غالب بن تمام بن علقمة ، مولى عبد الرحمن ابن أم الحكم الثقفي ، وأم الحكم بنت أبي سفيان بن حرب أخت معاوية بن أبي سفيان ، عرف بها ابنها لشرفها . وقد ولد تمام بن عامر سنة ١٩٤ هـ ، وتولى سنة ٢٨٣ هـ . ابن الأبار ، الحلة السيرة ، ١ / ١٤٢ - ١٤٤ .

(٧) المعدر نفسه ، ص ١٤٣ .

(٨) سجلت ترجمته ، ص ٥٧ .

(٩) ابن حيان ، المقتبس ، ص ١٥٩ .

وكانت أول ولاية أحفظه بالامير محمد فبان فيها استقلاله ، خطة الحيل التي قلده اياها فبلى منه خلا من العدل والتمع ، ثم رثاه الى خطبة الوزارة ، وولاه كورة جيان فعلى يده بنيت آهدة وأكثر معاقليها المميعة " .^(١)

لقد عدد لنا ابن حيان ، المزايا التي كان يتمتع بها الوزير هاشم ابن عبد العزيز ، ومعنى ذلك ، أن اختيار الوزير ، كان يخضع لمعايير معينة وكان لابد من توفر الكفاءة الادارية اللازمة لهذا المنصب ، والتدريب المصبق في الوظائف الاخرى ضرورة للترقي في سلم الوزارة ، وكان للامير أن يضيف الى من ولاه خطة الوزارة خططا أخرى .

وعلى الرغم من هذه الصفات والمزايا الحسنة التي امتاز بها الوزير هاشم بن عبد العزيز ، والتي ذكرها ابن حيان ، الا اننا نجد ابن حيدر يصفه بصفات مناقضة لهذه الصفات ، ويرى بأنه كان تياها معجبا علىودا لجوجا فافسد الدولة بتصرفاته ، وهو أول وزير تلويض في عصر الامير محمد وقد استحوذ عليه استموادا عظيما .^(٢)

ويبدو أن الوزير هاشم بن عبد العزيز قد اصاب بشيء من الغرور بحكم منصبه ، مما أفقده بعض المزايا الحسنة التي كان يتمتع بها .

لقد كان الامير محمد يقدمه على الصاغر ، فخرج مرة الى قرب الاندلس لقمع بعض الشورات هناك ، فأساء التصرف مع الجنود في الحركة والنزول فأعلموه الى الأمداء وأخذ أسيرا وافتداه الامير محمد بمال عظيم ، كما أنه خرج مرة مع المنذر بن محمد الى ثغر سرقسطة فأساء الادب معه حتى أحلده ، وأتلف محبته لما صارت اليه الأمانة ، وثار الشوار في الاندلس بسببهم ، وتولى الامير محمد وقد خرفت هيبة الامارة من قبل الشوار ، وزال حشور العرمة ، واستقبل المنذر ثم ميدالله نيران الفتنة الى أن خمدت في عصر السامر^(٣)

(١) المنظر نفسه ، ص ١٦٠ .

(٢) ابن حيدر ، المغرب في على المغرب ، ١ / ٥٢ .

(٣) ابن حيدر ، المغرب في على المغرب ، ١ / ٥٢ - ٥٢ .

لقد حمل ابن سعيد على الوزير هاشم بن عبد العزيز حملة شديدة ولكن ليس كل ما ذكره ابن سعيد في شأن الوزير هاشم معلما به تماما ، ولا يمكن أن يكون الثوار في الاندلس جميعهم قد شاروا بسبب هاشم ، كما يلزم ابن سعيد . فهؤلاء الثوار ، معظمهم كان من ذوي الأهوال الخامة ، والحالة الوحيدة التي كان للوزير هاشم دور فيها هي حالة ابن مروان الجليقي . (*)

ومن الترتيبات التي ادخلها الأمير محمد بن عبد الرحمن على الوزارة أنه عد إلى تقسيم مراتب أهل الخدمة ، وفعل خططهم النبيهة ، وقدم على الجميع مثله في خطة الوزارة ، وأشعرهم التعظيم والتجلة ، ورجع أهل الشام من الوزراء على أصحابهم الاندلسيين لتقديمهم في الأذن عليه ، وأعلامهم في الجلوس على أرائكهم ببيت الوزارة .^(١) كما كان يشرف بنفسه على أعمال الوزراء والكتاب ، ويدقق في أعمالهم وتعرفاتهم وحساباتهم .^(٢)

أما في عصر الأمير عبد الله ٢٧٥ - ٣٠٠ هـ ، فقد استوزر عددا من الوزراء^(٣) ، بلغ عددهم في بعض الاوقات في بيت الوزارة ثلاثة عشر وزيرا ، كما اجتمع في بيت الوزارة في وقت واحد ، أربعة وزراء من الموالي القارب من بيت الزجالي ، وكان يضاف إلى بعض الوزراء أمباء أخرى ، مثل القيادة ، أو ولاية المدينة ، أو غير ذلك ، وبعضهم كان يمنح اسم الوزارة فقط ، دون أن تكون هناك أمباء أخرى مضافة إليه .^(٤)

(*) انظر ص ٥٤ من هذا البحث .

(١) ابن حبان ، المقتبس ، ص ١٣٧ ، ابن فضل الله العمري ، مسالك الأبيصار مخطوط ، السفر ٢٤ ، ص ٣١٨ .

(٢) محمد عبد الله حنان ، دولة الاسلام في الاندلس ، ١٠ / ٢٩٠ .

(٣) العباس بن عبد العزيز المرواني ، سعيد بن محمد بن محمد بن الحارث ، عبد الملك بن عبد الله بن أمية ، حلف بن محمد بن بهيل ، محمد بن وليد بن عيسى بن عاصم ، أبو عثمان عبيد الله بن محمد بن أبي عبيد ، وأبو العباس أحمد بن محمد بن عيسى بن أبي عبيد ، وعبد الرحمن بن حمدون بن أبي عبيد المعروف بدحييم ، أصبغ بن فطيس ، عبد الله بن محمد الزجالي ، سليمان بن وانوس . أحمد بن هاشم بن عبد العزيز ، أمية بن ملقعة .

ابن حبان ، المقتبس ، منشور ، ص ٥ - ٦ .

(٤) ابن حبان ، المقتبس ، منشور ، ص ٥ - ٦ .

فالوزير أبو عثمان سعيد الله بن محمد بن أبي عبيد ، تعرف للأمير عبد الله في الكور ، وحجابه الاولاد ، والعدينة والخيول ، والقيادة ، ثم الكتابة الخاصة والوزارة ، وكان الى جانب أدبه وبلاغته أشتهر بالأساس والعناء في الحروب .^(١)

لقد تعرف هذا الوزير في عدة أعمال للأمير عبد الله ، ويجدو أنه اكتسب خبرات عالية ، وحقق نجاحا كبيرا جعل الأمير عبد الله يرتقى به الى طم الوزارة .

اما الوزير سعيد بن محمد بن الطيم فقد ولاء الأمير عبد الله الحق ثلاثين يوما ، ثم قدمه الى الوزارة والحجابه فملك أمره خمس عشرة سنة .^(٢)

ومن وزراء الأمير عبد الله ، طيعان بن وانحوس البربري ، المذكور بالأدب والعقل ومزة النفس ، فقد حدث أن اساء اليه الأمير عبد الله مرة في مجلس الوزراء فغضب وخرج من المجلس دون أن يستأذن أو يحتم ، مما أغضب الأمير عبد الله فأمر بعزله ، ورفع دسته الذي كان يجلس عليه ، وبلى كذلك مدة ثم أن الأمير عبد الله تأثر لفقدته ، وأراد استرجاعه ، وذلك لامانته ونصيحته وفصل رأيه ، ففعل للوزراء لقد وجدت لطيفان تأثيرا وان أردت استرجاعه ابتداء منا ، كان ذلك ضافه علينا ، ولوددت أن يبتدئنا بالرغبة ، فأذن للوزير محمد بن الوليد بن غانم أن يكلمه في هذا الأمر فلما وقف بباب داره واستأذن عليه ، أبطأ عليه في الاذن . وكانت رتبة الوزارة في الاندلس أيام بنش أمية تقتضى الا يقوم الوزير الا لوزير مثله فيلقاه ، ويسرل معه الى مرتبته ، ولا يحجب عنه لحظة ، فلما أذن له بالدخول وجده قاعدا ولم يقم اليه ، ولم يقترح من مكانه ، فعاتبه ابن غانم على هذه المعاملة ، ولما لم يجد منه اجابة مرفية يفس منه وخرج خائبا الى

(١) ابن الأبار ، الحلة السيرة ، ١٠ / ١٤٦ .

(٢) ابن القوطية ، تاريخ الفتاح الاندلس ، ص ١١٥ .

الأمير فأحبوه بخبره ، فعا كان من الأمير عيد الله إلا أن ابتدأه بالمراطة الشخصية حتى رده إلى أفضل مما كان عليه .^(١)

ونستخلص مما سبق وجود بعض الوزراء الأقوياء الذين كان لهم تأثيرهم على الأمراء ، وكانوا لا يخشون قول الحق في وجه أمراءهم ، ولما أحسن الأمير عبد الله بالحاجة إلى خدمات هذا الوزير ، سعى لأرضائه بنفسه ورده إلى الوزارة ، لما كان يتمتع به من الأمانة والنمحية وجودة الرأي ، كما نستخلص بعض الرسوم الوزارية الأندلسية ، مثل عدم قيام الوزير إلا لوزير مثله ، وعدم حجبه ، وكان لكل وزير فرش خاص به يجلس فيه ، ولقد ظل مكان الوزير ابن وانسوس خاليا لفترة حتى رد إليه مرة أخرى .

وكان من بين التنظيمات الوزارية في عصر الأمير عبد الله ، أن الوزراء كانوا يطلعون الخليفة بأرائهم كتابة في بطاقة . فقد حدث أن طالع وزيره النصر بن سلمه برأيه في أمر في وثقة ، فلما وفد عليها لم يعجبه ذلك الرأي ، ورد عليه بأبيات شعرية تنبر عن عدم رضاه لرأي الوزير .^(٢)

الوزارة في عصر الناصر وابنه الحكم المستنصر :

خلف عبد الرحمن الناصر ٢٠٠ - ٥٢٥٠ / ٩١٢ - ٩٦٦ م جده الأمير عبد الله في الحكم . وحينما تمت له البيعة كان أول من وُزر له بدر مولاه أضافه إلى ما كان يتولاه من خطة البريد ، وأضاف إليه بعض الخطوط الأخرى . كما ولى موسى بن محمد الوزارة إلى ما كان إليه من خطة المدينة .^(٣)

(١) الحميدى ، جدوة الملتقى ، ص ٢٢٦ - ٢٢٧ ، ابن الأبار ، الحطة السيرة ، ١ / ١٢٢ - ١٢٤ .

(٢) النصر بن سلمه بن وليد بن أبي بكر بن عبيد بن بلج بن عبيد الكلابي ، من أهل قرطبة ، يكنى : أباه محمد ، استقصاه الأمير محمد مرتين - توفي سنة ٣٠٢ هـ . ابن الفرغى ، تاريخ علماء الأندلس ، ترجمة ١٤٩٧/٢٠٨٦٧ .

(٣) المقرئ ، نفح ، ١ / ٢٥٢ .

(٤) هو موسى بن محمد بن حدير الحاجب ، رئيس كان في أيام عبد الرحمن الناصر من أهل الأدب والشعر ، ومن أهل بيت رياح وجلاله ، الحميدى ، جدوة الملتقى ، ترجمة رقم ٧٨٧ ، ص ٢٢٧ ، الضبي ، بغية الملتقى ، ترجمة رقم ١٢٢٠ ، ص ٤٥٥ .

(٥) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٢ / ١٥٩ ، ابن الأبار ، الحطة السيرة ، ١ / ٢٥٢ - ٢٥٣ .

وكان بدر ينقلد بالولايات فتكتب السجلات في داره ثم يبعثها للطبع
فتطبع وتخرج اليه ، فيبعث بها الى العمال لتنفيذ علي يديه .^(١)

ونلاحظ أن عبد الرحمن الناصر سار على نهج بعض أسلافه في توليته
شخص واحد عدة أعباء ، كما هو الحال في مولا بدر الذي قام بهذه الأعباء
خير قيام لكفاءته وحسن بلائه .

ولي سنة ٣٠٢ هـ / ٩١٤ م ، ولي الناصر لدين الله عبد الملك بن جهور
الوزارة في شوال من هذا العام ، ورغم اليه الكتابة العليا ، كما عرفت
الوزير موسى بن محمد بن حدير عن ولاية المدينة .^(٢)

ولي سنة ٣٠٢ هـ / ٩١٥ م ، ولي الناصر لدين الله خطة الوزارة اسحاق
ابن محمد بن اسحاق بن الوليد الذي كان موصوفاً بالرأى والغناء ، وعزل
عبد الملك بن جهور عن الوزارة والكتابة معا ، فبقي معزولا سنتين وشهرا ،
كما عزل عن الوزارة أيضا محمد بن عبد الله ، وعبد الله بن مضر ، وعيسى
ابن احمد بن ابي عبده .^(٣)

ولي سنة ٣٠٥ هـ / ٩١٧ م أعاد الناصر لدين الله عبد الملك بن جهور
الى الوزارة في شوال ، وصرفه عن الكتابة العليا .^(٤)

(١) ابن الأثير ، الحلة السيرة ، ج ١ ، ص ٢٥٣ .
(٢) عبد الملك بن جهور أبو مروان ، وزير جليل ، أديب شاعر كاتب في أيام
عبد الرحمن الناصر - الحميدى ، جذوة المقتبس ، ترجمة ٦٢٦ ، ص ٢٨٢ ، الضبي ،
بغية الملتصق ، ترجمة رقم ١٠٦١ ، ص ٣٧٦ .

(٣) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق ب . شالميتا ، ص ١٠٣ .
(٤) هو اسحاق بن محمد بن اسحاق بن ابراهيم بن الوليد بن ابراهيم بن عبد
الملك بن مروان دخل جده أول الدولة الاموية . واهل بنوه في عز وأكرام
واستقرت الرئاسة في اسحاق الذي سكن اشبيلية أيام لظنته عند ابيمن
حجاج . ولما استولى الناصر على اشبيلية رحل اسحاق الى قرطبة فاحتوزره
الناصر واستوزر بنيهم الذين ورثوا مكان ابيهم بعد وفاته . ابن خلدون
العبر ، ٤ / ١٨٧ .

(٥) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق ب . شالميتا ، ص ١١٠ - ١١١ .

(٦) المعبر نفس ، ص ١٤٢ .

لقد أجرى الأمير عبد الرحمن خلال الخمس سنوات الأولى من حكمه، حركة تنقلات واسعة في الوزارة، فكانت هناك حركة عزل وتعيين وتغيير في المواضع على مدار هذه السنوات، فالمعاصر تحدثنا بأنه ولي فلا الوزارة مع خطة من الخطط أو عزل فلان من الوزارة، ولكن ليست هناك أية إطلاقات بخصوص هذه التعديلات الوزارية المستمرة وأسبابها، ولكن أرجح أنه نظراً للأوضاع التي كانت مضطربة في كثير من أصقاع الأندلس، في بداية عهد الناصر، نراه يلجأ إلى هذه التعديلات المستمرة ربما خوفاً من استبداد أحد من الوزراء، بما عهد إليه من عمل، كما تجدر الإشارة إلى أنه ليست هناك أي تفاصيل عن عمل الوزراء.

وفي صفر من عام ٥٣١٢ هـ، عزل الناصر فطيم بن أصبغ عن خطة الوزارة وأعاد عيسى بن أحمد بن أبي عبده إلى الوزارة، وقدم عبد الملك بن عمر ابن شهيد^(١) إلى خطة الوزارة في ربيع الآخر من هذه السنة، فبلغ عدد الوزراء في هذه السنة سبعة وزراء^(٢).

ظهور لطلب ذي الوزارتين في عهد الناصر :

أول من حمل هذا اللقب في الأندلس هو الوزير أحمد بن عبد الملك بن شهيد^(٣) الذي تعرف للناصر في ولاية الكور والوزارة وقاد المواظك، وكان من أهل الأدب البارع^(٤).

(١) هو عبد الملك بن عمر بن محمد بن عيسى بن شهيد أديب شاعر، من بيت أدب ووزارة وجلالة . الحميدى ، جوة المقتبس ، ترجمة رقم ٦٣٤ ص ٢٨٦ ، الغنى ، بغية الملتبس ، ترجمة رقم ١٠٢٢ ، ص ٢٨١ .

(٢) ابن حيان ، المقتبس ، ص ٢٥٢ .

(٣) أحمد بن عبد الملك بن عمر بن محمد بن عيسى بن شهيد ذو الوزارتين من أهل الأدب البارع له قوة في البداية ، كان في أيام عبد الرحمن الناصر . الغنى ، بغية الملتبس ، ترجمة رقم ٤٢٧ ، ص ١٩٠ .

(٤) ابن الأثير ، الحلة السيرة ، ج ١ ، ص ٢٢٧ - ٢٢٨ .

(١) وكان أحمد بن عبد الملك بن شهيد قد أهدى للناصر هدية ضخمة في سنة ٢٢٧هـ / ٩٣٨م أجمع المؤرخون على أنه لم يهاد أحد من ملوك الاندلس بمثلها ، فأعجبت الناصر وأهل مملكته جميعا ، وأرغف مع هديته رسالة حسنة للناصر لدين الله ، معترفا فيها بالنعمة والشكر عليها ، وقد احتسب الناس هذه الرسالة وكتبوها ، وتبعها لذلك زاد الناصر وزيره هذا حظوة واختصاصا ، وأسمى منزلته من سائر الوزراء ، وضاعف له رزق الوزارة فبلغ ثمانين ألف دينار أندلسية ، كما شئى له العظمة لتثنيته له الرزق ، فعاد ذا الوزارتين لذلك ، وكان أول من سمى بذلك في الاندلس ، وأمر بتعديس فراشه في بيت الوزارة ، وتقديم اسمه في زمام الارتزاق في أول التعمية لعظم مناداره في الدولة .^(٢)

(٢) وسمى ابن شهيد بذى الوزارتين امتثالا لامر حاعد بن مخلد وزير بني العباس بهفداه .^(٣)

(١) أورد ابن خلدون تفاصيل هذه الهدية كالآتي : خمسمائة ألف مثقال من الذهب النعين ، أربعمائة رطل من التبر ومصارفه ٤٥ ألف دينار ، مائتا بدرة من سبائك الخفة ، أثنا عشر رطلا من العود الهندى ، مائة وثمانون رطلا من العود الصفى المتخير ، مائة رطل من الشب المنقى . مائة أولية من المسك الذكى المفضل في جنه ، خمسمائة أولية من العنبر الأشهب المفضل في جنه ، ثلاثمائة أولية من الكافور المترفع الذكاء . إضافة إلى الأنواع المختلفة من اللبنة الحريرية والصوفية وغيرها من الفرش والمطليات الفاخرة وأنواعا مختلفة من الأسلحة والخيول والرتيق والجوارى . وعشرون ألف عود من الخشب من أجمل الخشب وأصلبه وأقدمه ، قيمته خمسون ألف دينار . تاريخ ابن خلدون ٤٠ / ١٧٢ - ١٧٨ . وتدل هذه الأرقام التى أوردتها ابن خلدون على مدى الفنى الذى بلغته السعدولة فى عصر الناصر وبلغه الوزير ابن شهيد .

- (٢) المقرئ ، أزهار الرياض ، ج ٢ ، ص ٢٦١ - ٢٦٢ ، نطع الطيب ، ١٠ / ٢٥٦ .
 (٣) حاعد بن مخلد : من أهل بغداد كان نهرانيا فأسلم على يد الموفق العباسى ، واستكتبه الموفق سنة ٢٦٥هـ ، ووجه فى المهمات ، ولقب بـ ذى الوزارتين . كان من رجالات الناس حزما وعبطا وكفاية وكثرا ونبلا ، كثير العدقات والمطويات ليلا ونهارا . وقع بينه وبين الموفق وحشة فجئنه فى سنة ٢٧٢هـ وقبض أمواله وظل فى السجن إلى أن توفى سنة ٢٧٥هـ ، الرر كلى : الأعلام ٢ / ١٨٧ .
 (٤) المقرئ ، نفس المصدرين السابقين ، ٢٠ / ٢٦٢ ، ١٠ / ٢٥٦ .

كان ابن شهيد يتمتع بكفاءة إدارية مالية جعلت الخليفة يعدر أمرا بتسميته بذي الوزارتين ، ومعنى ذلك أنه وزير السيف والقلم ، وقد وصفه ابن خاقان بقوله : " ملحق الإمام ، ووزير تلك الكرامة ، حاجب الناصر سيد الرحمي ، وحامل الوزارتين على سموهما في ذلك الزمان ، استقل بالوزارة على ثقلها ، وتصرف فيها كيف شاء على حد نظرها ، والتفات مقلها ، فظهر على أولئك الوزراء ، واشتهر مع كثرة النظرة " (١) .

لقد منح الناصر وزيره ابن شهيد بعض الصلاحيات التي جعلته يتفوق على بقية الوزراء ، ويتضح ذلك من قول ابن حيان السابق أن الناصر زاد وزيره هذا حظوة واختصاصا ، كما يتضح ذلك من قول ابن خاقان : أنه استقل بالوزارة على ثقلها وتصرف فيها كيف شاء على حد نظرها .

هذا التفوق الذي أحرز به ابن شهيد كان مدعاة للحد والتنافس بينه وبين الوزراء الآخرين .

ومن هؤلاء الوزراء المنافسين لابن شهيد ، عبد الملك بن جهور ، الذي كان مشاركا له في التدبير ، ومتوليا معه الأمر ، فكان كل واحد منهما يترفع بالأمر ، ويبحث له من نقيصة لدمه بها . (٢)

ولما مرل الناصر جميع وزرائه في سنة ٤٢٩ هـ / ٩٤٠ م بغتة لسبب انكره عليهم وصرفهم به جميعا ، لم يبق من هؤلاء الوزراء إلا وزيران ، من بينهما الوزير أحمد بن عبد الملك بن عمر بن شهيد ذو الوزارتين ، مما يدل على المكانة التي بلغها الوزير ابن شهيد لدى الناصر ، والحظوة التي نالها عنده .

(١) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٩٩ .

(٢) ابن خاقان ، مطلع الانفس ومخرج التأنس ، ص ١٦٦ ، المقري ، نفع الطيب ، ١ / ٢٨٠ .

(٣) المقري ، نفع الطيب ، ١ / ٢٨١ .

(٤) ابن حيان ، المقتبس ، ج ٥ ، ص ٤٧٠ .

وقام الناصر بتولية وزراء آخرين مكان الوزراء
المعزولين ، ولاهم دفعة يوم عزل اولئك دفعة واحدة ، وقام
بإعادة أربعة من هؤلاء الوزراء المعزولين الى خطة الوزارة
بعد ان حسن رايه فيهم ، وولى أيضا عددا من الوزراء الآخرين
(١) وبلغ عدد وزراء الناصر في هذه المرة أربعة عشر وزيرا ،
وفي سنة ٣٣٠هـ/٩٤١م تكامل عدد الوزراء في بيت الوزارة في
خلال أربعة وستين يوما حيث بلغ جعلتهم ستة عشر وزيرا ، ولم
يمعد مثل ذلك لهنى امية . (٢)

ولما تولى الخليفة عبد الرحمن الناصر سنة ٣٥٠هـ/٩٦١م
خلفه ابنه الحكم المستنصر ، وجرى على رسمه ولم يلقه من
ترتيبه الا خمسة . فاستوزر جعفر بن عثمان المصطفى الذي كان
مؤدبا للحكم وواليا على جريدة ميوزقة في ايام الناصر ،
وكاتبها خاصا للحكم المستنصر ، فاصفاه على كتابته الخاصة
مع الوزارة . كما تولى الوزير جعفر بن عثمان الوزارة مع
المديونة في سنة ٣٦١هـ/٩٧١م حيث خلفه الخليفة الحكم مع
صاحب الشرطة بنقل دار البريد التي كانت تقع قرب قصر
فرطية وفي صدر السوق الى دار الزوامل بطرف السوق . (٣)

- (١) ابن حيان ، المقتبس ، ج ٥ ، ص ٤٧١-٤٧٠ .
- (٢) المصدر نفسه ، ص ٤٨٧ . والوزراء هم : احمد بن عبد
الملك بن هبة المخلّي الوزارة ، سعيد بن ابي القاسم
عبد الحميد بن بسيل ، خالد بن امية بن شهيد ، عبد
الملك بن جهور ، عبد الوهاب بن محمد بن عبد الرؤوف ،
جهور بن عبيد الله بن ابي عبيد ، عيسى بن فطيس بن
اصبح ، احمد بن محمد بن بقر ، محمد بن عبد الله بن
عدير ، عبد الله بن بدر بن احمد ، سعيد بن الحساس ،
محمد بن هاشم التجيبي ، عبد الرحمن بن عبد الله
الزحالي ، احمد بن محمد بن الياس .
- (٣) المقرئ ، نفع الطيب ، ٣٨٢/١ .
- (٤) هو جعفر بن عثمان بن نصر بن قوي بن عبد الله بن
كسيلة ، من براير بلنسية ، ينتمي الى قبيل بالصحافة
كان من اهل العلم والادب البارز وله شعر كثير رافع
يسدل على طبعه وسعة ادبه . كانت بينه وبين الوزير
محمد بن ابي عامر مناقمة شديدة مما ادى بان ابي
عامر ان يفسر مؤامرة لقتله في عهد الخليفة هشام بن
الحكم وكان ذلك في سنة ٣٧٢هـ . انظر الحميدي ، جذوة
المقتبس ، ترجمة رقم ٢٥٣ ، ص ١٨٧ ، القلي ، بغية
المقتبس ، ترجمة رقم ٦١٤ ، ص ٢٥٧ ، ابن الاثير ،
الحلة السيرة ، ٢٥٧/١ ومابعدها ، ابن عذاري ،
البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٥٤ .
- (٥) ابن الاثير ، الحلة السيرة ، ٢٥٧/١ ، ٢٥٨-٢٥٧ ، ابن عذاري
البيان ٢/٢٥٤ .
- (٦) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق الحجي ، ص ٦٦ .

الاندلس ،ليقدموا الطاعة للخليفة الحكم ،الذى امر باستقبال الوزير
(١)
القائد الاعلى استقبالا فخما .

وبنتيجة للاهمال العسكرية التى قام بها الوزير القائد الاعلى
غالب بن عبد الرحمن فى أرض العدو ،وفى الثغور الاندلسية ،لقد امر
الخليفة الحكم بتقليده سيفين من ذخائر سيوفه مذهبين ،وذلك تشريفا
وتكريما له ،وسماه ذا السيفين ،وعذر فرائده ببيت الوزارة ،ومهد
بإقرار هذه التسمية عليه مع سماته المتقدمة ،فأصبح يحضر بالوزير
(٢)
القائد الاعلى ذا السيفين .

كان الوزير القائد الاعلى أشبه بوزير الحربى فى عصرنا الحاضر ،
وقد كان لهذا الوزير دور كبير فى الدفاع عن أرض الاندلس فى هذا العصر
كما كان له دور كبير أيضا فيما وراء الحدود الاندلسية فى أرض المغرب
حيث قام بتنفيذ السياسة العسكرية للدولة هناك .

لقد كانت الوزارة فى أول عمر بنى أمية بالاندلس ،عبارة عن هيئة
استشارية مهمتها تقديم النصح والمشورة للأمير ،وذلك فى بداية الامر
كما اشرنا الى ذلك ،ولكن بعد أن استقرت الدولة ،ظهر نظام وزارى اشبه
بنظام الوزارات المعمول به اليوم اذ يقول ابن خلدون : " وأما دولة
بنى أمية فى الاندلس فألقوا اسم الوزير فى مدلوله أول الدولة ،ثم
اسموا خطته أضافا ،وأفردوا لكل مندوب وزير ،فجعلوا لحسان المال وزيرا
وللترسل وزيرا ،وللنظر فى حوافج المتظلمين وزيرا وللنظر فى احوال

(١) ابن هيان ،المقتبس ،ص ١٩٤ - ١٩٥ ،ابن عذارى ،البيان ،٢ / ٢٤٨ .

(٢) ابن حيان ،المقتبس ،ص ٢٢٠ ،ولد امثثل الخليفة المعتنصر بالله فى
الباس مولاة غالب السيفين وتسميته بهما فعل الأمير ابى أحمد الموفق
بالله العباسى ولى عهد اخيه المعتمد على الله عندما لئد مولاة
اسحاق بن كنداج سيفين وخلق عليه خطا فاخرة وأسمى درجته - المصدر
نفسه ،ص ٢٢١ - ٢٢٢ .

أهل الشعوب وزيرا . وجعل لهم بيت يجلسون فيه على فرش منضدة لهم .
ويسعدون امر السلطان هناك كل فيما جعل له .^(١)

لقد مر نظام الوزارة في الاندلس بعدة مراحل الى أن وصل الى ما وصل
اليه من تطور كبير ، وقد ذكرنا أن الذي جعل للوزراء بيتا يجتمعون فيه
هو الأمير عبد الرحمن الأوسط ، أما الذي قسم عمل الوزراء فهو عبد الرحمن
الناسر ، والوزراء في دولة بني أمية بالاندلس كانوا وزراء تنفيذ في
أغلب الأحيان .

وإذا ما أجرينا مقارنة بين الوزارة العباسية ، والوزارة الأموية
الاندلسية نجد اختلافا كبيرا بين الوزارتين ، فالوزارة العباسية كان
يتولى امرها وزير واحد فقط في معظم الأحيان . أما الوزارة في الاندلس^(٢)
فهي وزارة متعددة الوزراء كما مر بنا ، ويمكننا القول بأنها أكثر
تطورا من نظام الوزارة العباسي في هذا الجانب .

وفي الاندلس نجد أن هناك ما يسمى ببيت الوزراء الذي يجتمعون فيه .
وفي المشرق أيضا نجد أنه كان للوزير العباسي دار مفردة في دار الخلافة
وهي دار الوزارة ، يجلس فيها الوزير لمزاولة أعماله ، وكان يقف على
باب دار الوزير كثير من الحرس .^(٣)

أما من ناحية الرحوم الوزارية فإن الوزارة العباسية كانت أكثر
تطورا من نظيرتها الأموية الاندلسية في هذا الشأن .^(٤)

(١) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٢٩ - ٢٤٠ .

(٢) مثل أبي سلمة الخلال أول وزير في الدولة العباسية . انظر الجهشاري
أبو عبد الله محمد بن عبدوس (ت ٨٣١هـ) الوزراء ، والكتاب ، تحقيق معطي
السقا وآخرون ، مصر ١٣٥٤هـ / ١٩٣٨م ، ص ٨٣ ، وخالد بن برمك وزير الطاهر
ابن طباطبا ، الفخرى ، ص ١٥٦ .

(٣) د . توفيق سلطان اليوزيكي ، دراسات في النظم العربية والإسلامية ، مؤسسة
الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م ، ص ٩١ .

(٤) انظر المرجع نفسه ، ص ٩٠ - ٩٣ .

شايبا : الحجابة

تعنى الحجابة في الدولة الاموية والعباسية في المشرق ، الشخص الذي يحجب السلطان عن العامة ويفلق بابه دونهم أو يفتحه لهم على قدره في مواليته .^(١)

صفات الحاجب :-

أشار هلال بن المحسن العصابي الى صفات الحاجب فقال : " سبيل الحاجب ، أن يكون نعتا مكتفلا ، قد أحكمته الامور وحسنه ، أو شيئا متماسكا قد جمعت الدهور وعركته . وله عقل وعزم يدلانه على مواف ما يأتي وما يذر ، فهو صبحان له محالك ما يورد ويحذر ... " .^(٢)

وليس للحجاب أن يقبل على احد ممن يكون السلطان معروفا عنه ولا أن يرفض ممن يكون السلطان مخطئا عليه ، ولا أن يوليه من البر والاكرام ، ما كان يوليه من البخل .^(٣)

وكانت الحجابة من أولى النظم التي نقلها عبد الرحمن الداخل الى الاندلس بمفهومها المشرقي ، فكان أول من حجب له تمام بن علقمة مؤلا^(٤) ثم يوسف بن بخت الفارسي مولى عبد الملك بن مروان ، ثم عبد الكريم بن مهران ، ثم عبد الرحمن بن مغيث بن الحارث ، ثم منهور فتاه .^(٥)

- (١) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٩٩ .
- (٢) العصابي : أبو الحسين هلال بن المحسن (ت ٤٤٨هـ) رسوم دار الخلافة ، تحقيق ميخائيل مواد ، دار الراشد العربي - بيروت - لبنان ، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ، ص ٧١ .
- (٣) المصدر نفسه ، ص ٧٧ .
- (٤) سبقت ترجمته ص ١٤٩ .
- (٥) هو أبو الحجاج يوسف بن بخت ، دخل الاندلس في طاعة بلج ، وكان احسن القائلين بأمر عبد الرحمن بن معاوية ، فاستجبه واحتفظه وقتا على قرطبة كانت وفاته بطليطلة . ابن الأبار ، الحطة السيرا ، ٢ / ٢٧٥ .
- (٦) من ولد الحارث بن ابي ثمر الطحاني ، المقرئ ، نفح ، ٢ / ٤٥ .
- (٧) عبد الرحمن بن مغيث بن الحارث بن حويرث بن جبلة بن الايهم المعاني وابوه مغيث قاتح الرطبة . المقرئ ، نفح ، ٢ / ٤٥ .
- (٨) ابن مذارى ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٤٨ ، المقرئ التلمساني ، نفح الطيب ، ٢ / ٤٥ .

أما الأمير هشام بن عبد الرحمن فقد كان له حاجب واحد هو عبدالرحمن
ابن مغيث ، وكان للأمير الحكم بن هشام حاجب واحد هو عبد الكريم بن
عبد الواحد ابن مغيث .^(١)
^(٢)

ولد ظلت الحجابة بملهومها المشرقي في العمور الأولى من تأسيس
الدولة الأموية في الأندلس ، ولكنه تغير في عصر عبد الرحمن الأوسط مع
التغير الذي طرأ على مفهوم الوزارة . وقد أشار ابن خلدون إلى ذلك
منذ ما تحدث عن الوزارة في الأندلس ، والتقسيمات التي أدخلت عليها فقال
: " ... وأفرد بينهم وبين الخليفة واحد منهم ارتفع منهم بمباشرة
السلطان في كل وقت ، فارتفع مجلسه عن مجالسهم ، وغمره باسم الحاجب ، ولم
يزل الشأن هذا إلى آخر دولتهم " .^(٣)

وبذلك ارتفعت منزلة الحجابة وسعت وتغير مفهومها ، فبعد أن كانت
مهمته فقط هي تنظيم دخول الناس على الخليفة ، ارتقى ليصبح رئيساً
للوزارة في الأندلس .

وكانت الوزارة تتألف من حاجب أشبه برئيس الوزراء ، ثم عدد مسن
الوزراء فإذا اجتمع في الوزارة شامي وبلدي كان التقدم للشامي ، ولقد
أشرت إلى ذلك عند الحديث عن الوزارة . وهنا يكمن الترابط الوثيق بين
الحجابة والوزارة ، إذ الحاجب هو رئيس الوزراء .

(١) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٢ / ٦١ .

(٢) المعذر نفسه ، ٢٠ / ٦٨ . وهو عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث ،
وجده هو مغيث بن الحارث بن حويرث بن جيلة بن الأيهم الخصامي الذي
يضمن مغيث الرومي وهو الذي دخل الأندلس مع طارق بن زياد واضطلع
بفتح قرطبة . كانت وفاته في سنة ٢٠٩ هـ في طريقه إلى عزو جليقية .
انظر ، ابن حيان ، الملقب ، تطبيق د . محمود علي مكي ، حاشية رقم ٨٢ ،
ابن الأبار ، الحلة الصرا ، ١٢٥/١ ، حاشية رقم ١ ، ابن عذاري ، البيان
المغرب ، ٢ / ٨٢ .

(٣) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٤٠ .

(٤) ابن الأبار ، الحلة الصرا ، ١٠ / ١٢٠ ، حاشية (٣) .

كان من حجاب الأمير عبد الرحمن الأوسط ، عبد الكريم بن عبد الواحد
 بن مغيث ، الذي كان حاجبا لوالده الحكم فأقره عليها ، وكان عبد الكريم
 أكمل من حمل هذا الاسم ، وأجمعهم لكل خلة حسنة ، فلما توفي عبد الكريم
 بن مغيث في صدر هذه تنافس الوزراء كلهم في خطة الحجابة ، كل يريد
 أن يكون هو الحجاب ، ولا يريد تولية غيره عليه ، مما أفضى الأمير عبد الرحمن
 وأقسم أن لا يولى واحدا من الوزراء الحجابة ، وأمر بالاقراع بين الخزان
 وكان عددهم أربعة فوقع الاختيار على سفيان بن عبد ربه ، فولى الحجابة
 أمواما حتى توفي .^(٤)

لقد كان منصب الحجابة من أرفع المناصب في الدولة ، ولذلك نجد
 أن الوزراء كلهم كانوا يتنافسون على هذا المنصب ، كل يريد أن يتولاه
 مما جعل الأمير عبد الرحمن يعرض عن تولية أي من الوزراء المتنافسين
 ويأتى برئيس لهم من خارج المجلس ، وهو سفيان بن عبد ربه .

وكان سفيان بن عبد ربه من كبار رجالات الدولة ، وأهل الخدمة ، من
 لدى الكفاءة والعفة والأمانة ، وكان قد تولى الخزانة الكبرى أيام الأمير
 الحكم فهو أول من استقر بالاندلس ، ولم يزل يتنقل في مراتب الخدمة إلى
 أن نال مرتبة الحجابة .^(٥)

(١) سبكت ترجمته ص ١٤٢.

(٢) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د. مكي ، ص ١٦٥ ، ابن عسك ، المقتضب
 ص ٥٠ / ١

(٣) هو سفيان بن عبد ربه المصمودي . ينتسب إلى مصمودة ، من بيوتات
 البربر بالاندلس . توفي في سنة ٢١١ هـ ، في دولة الأمير عبد الرحمن
 ابن الحكم . أنظر ابن خزم ، جمهرة أنصاب العرب ، ص ٥٠ ، ابن حيان ،
 المقتبس ، ط بيروت ، ص ٧٨ .

(٤) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٧٧ - ٧٨ ، ابن حيان ، المقتبس
 تحقيق د. مكي ، ص ١٦٧ ، وذكر ابن القوطية أنه مهران بن عبد ربه
 ولكن الصحيح هو سفيان بن عبد ربه كما ذكر ابن حيان الذي نقل ذلك
 عن الرازي . انظر المقتبس ، ص ١٦٥ .

(٥) ابن حيان ، المعتمد نفسه ، ط : القاهرة ، ص ١٦٥ .

(١)

ومن خجابه الأمير عبد الرحمن الأوسط ، عيسى بن شهيد ، الذي كان مقرباً منه قبل أن يتولى الإمارة ، فلما صار الأمر إليه قدمه في عليقة خاتمه ، فولاه خطة الخيل ، ثم احتوزره وولاه النظر في المقالم ، وتنفيد الأحكام على طبقات أهل المملكة ، ثم ولاه الحجابة بعد وفاة سفيان ابن عبد ربه ، وكان من خيرة الموالى الذين امتازوا بالعلم والحكمة والوفاء والمعرفة والحزم والجزالة كما كان قائداً للصوائف ، وكان ذلك مدعاة لأن يعقد عليه نصر مولى الأمير عبد الرحمن الغالب عليه من بين صائغ خدمه ، إذ استغل فرصة مرض الأمير عبد الرحمن الذي حجه فيه ، ليخرج امراً من مواله بأعفاء عيسى بن شهيد من الحجابة مع إبقائه في الوزارة وتولية عبد الرحمن بن رستم مكانه .^(٢)

ولطئ الأمير عبد الرحمن لذلك بعد أن نهض من مرضه ، وجلس لكي يدخل إليه وزرائه ، وأهل خدمته للسلام عليه ، فرأى أن عبد الرحمن بن رستم يتقدم الوزراء ، وجلس فوق ابن شهيد ، فأكر ذلك وتغير وجهه ، ولما جلسوا بين يديه سأل عيسى بن شهيد عن شيء ما باعتباره الحاجب ، ولكن عيسى رد عليه بأنه ليس الحاجب ، فلما انصرف الوزراء استدعى الأمير عبد الرحمن نصر ، وسأله عن هذا التغيير الذي جرى أثناء مرضه ، فرد نصر بأن وصية خرجت منه عندما كان مريلاً ، بعزل ابن شهيد عن الحجابة ، وتولية ابن رستم مكانه ، فأكر الأمير عبد الرحمن ذلك عليه ، وأغلظ له القول ، ثم فلما عنه ، ورد عيسى إلى الحجابة مرة أخرى ، ولقد ظل حاجباً إلى وفاة الأمير عبد الرحمن .^(٣)

(١) عيسى بن شهيد بن عيسى . دخل والده الإندلس أيام عبد الرحمن بن معاوية وقال الرازي : أن جده مولى معاوية بن مروان بن الحكم . وكان عيسى منقطاً إلى الأمير عبد الرحمن بن الحكم ، بمشهد والده الحكم ، وقد ظمّل حاجباً للأمير عبد الرحمن إلى أن توفي ، ثم ظل حاجباً لابنته الأميرة محمد لمدة خمسة أعوام ، إلى أن توفي عيسى في سنة ٢٤٢ هـ . ابن الأبار ، الحلة السيرة ١ ، ٢٣٧/ ٢٣٨ ، ابن حيان ، المقتبس ، ط بيروت ، ص ٢٦ - ٢٧ .

(٢) ابن حيان ، المقتبس ، ط بيروت ، ص ٢٦ - ٢٧ .

(٣) ابن حيان ، المقتبس ، ط بيروت ، ص ٢٧ .

لقد استطاع نصر مولى الأمير عبد الرحمن المتنفذ في شئون الدولة ، أن يحيك مؤامرة في الظلام لعزل الحاجب ابن شهيد ، وهذا التصرف من قبل نصر ، يدلنا على مدى الحقد الذي كان يكنه للحاجب ابن شهيد ، الذي بلغ درجة رفيعة في الدولة ، بكفائته وأمانته ونزاهته . وقد تولى منصباً رفيعاً قبل الحجابة ، وهو النظر في المطالب وتنفيذ الأحكام على طلبات أهل المملكة ، وفي رأي أن منصباً كهذا لا يمكن أن يعطى إلا لشخص أمتار بما أمتار به ابن شهيد . وكان نصر يريد شخصاً يتصرف وفق إرادته ولكن سرعان ما أعبط الأمير عبد الرحمن هذه المؤامرة ، بعد أن نهض من مرضه .

قال ابن القوطية عن ابن شهيد : " ولم يختلف مختلف من شيوع الاندلس ، أنه لم يخدم بني أمية بالاندلس أكرم منه عناية ، وأكثر مظاماً ، وكان عبد الكريم بن مغيث الكاتب في هذه الصفة ، إلا أنه كان يقبل الهدية والمكافأة على قضاء الحاجة ، وكان عيس بن شهيد لا يقبل شيئاً من ذلك " .^(١)

ويضيف ابن حبان إلى ذلك قوله : وكان يهجر من يعرض إليه الهدية أو المكافأة ، ولا يرفى فيهم يتقلده من مناصبه ويشمله بنعمته إلا بغاية التشريف .^(٢)

ولما ولي الأمير محمد بن عبد الرحمن الإمارة أقر كل عمال والده على ما تركهم عليه من خطتهم ومراتب خدمتهم ، فكان عيس بن شهيد ضمن

(١) تاريخ الفتاح الاندلس ، ص ٨٨ - ٨٩ .

(٢) ابن حبان ، المستفيض ، ط بيروت ، ص ٣٠ ، ويورد ابن حبان قصة عبد الواحد ابن يزيد الاسكندراني الذي قدم إلى الاندلس وهو بشور شيقاً من النساء وتعلق بحبل ابن شهيد الذي أمره بالامساك عن النساء والتحقق بأديبه والتنبه لحظه ففعل يزيد ذلك ، ولزم ابن شهيد الذي قدمه إلى الأمير عبد الرحمن فأنس به ، ومار من خامة رجاله ، فاستخمه في أعماله ، وتقلب في منازل الخدمة ، حتى خوله المدينة ، ثم رلاه إلى الوزارة والقيادة ، ص ٣٠ .

(٣) ابن حبان ، المعتمد نفسه ، ص ١٣٥ .

العمال الذين اقترحهم الأمير محمد فحجبه لمدة خمسة اعوام الى أن تولى
(١)
في سنة ٢٤٢ هـ / ٨٥٧ م .

(٢)
وحجبه له بعد وفاة عيسى بن شهيد ، عيسى بن الحسن بن أبي عبده الذي
وصف بأنه كان رشيحا بعيدا عن الرشاقة في الخدمة ، ولكن موارده في
اموره ومصادرها كانت تجرى على غاية التصحيح ، وكانت آراؤه في غاية
(٣)
التهديب والصواب .

ولما تولى الأمير عبد الله وجد على حجابة أخيه المنذر ، عبد الرحمن
ابن أمية بن عيسى بن شهيد ، فأضاه عليها مدة ثم عزله ، وتولى سعيد بن
محمد بن الطليم مكانه ثم عزله ايضا ، ولم يول أحدا مكانه الى وفاته
(٤)
واكتفى بهدر الوصيف من منصب الحاجب .

ولما تولى الأمير عبد الرحمن بن محمد (الناصر) الإمارة ، تولى يوم
مبايعته بدرًا مولاة الحجابة والوزارة . (٥)
وكان الحاجب بدر هو المدبر
(٦)
الاول لدولة الأمير عبد الرحمن ، وكان له دور كبير في معظم الأعمال
العسكرية التي قام بها الناصر منذ توليه الإمارة حتى وفاة الحاجب بدر
(٧)
في سنة ٣٠٢ هـ / ٩٢١ م .

لعددية اختلعت اشبيلية للأمير عبد الرحمن في سنة ٩١٣/٨٣٠ م ، جاءت
بعض رسل أهل اشبيلية الى قرطبة ليلا يطلبون من الحاجب بدر بن أحمد
(١) ابن هبان ، المصدر السابق ، ص ٢٧ .
(٢) من أسرة آل عبده المشهورة التي خدمت الدولة الأموية في مجالات شتى
ولكن لم أذكر لعيسى على ترجمة في المصادر المتوفرة لدى .

(٣) ابن هبان ، ص ١٥٢ .
(٤) ابن هبان ، المقتبس ، نشر منشور أنطونية ، ص ٤ - ٥ .
(٥) ابن هزاري ، البيان المغرب ، ٢ / ١٥٩ ، ابن الأبار ، الحقة السيمراء
١ / ٢٥٢ - ٢٥٣ .

(٦) ابن هبان ، المقتبس ، ج ٥ ، ص ١٧٣ .
(٧) المصدر نفسه ، ص ١٧٣ ، وانظر المطبوعات ١٤٥ ، ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٥٢ على حبيمل
المثال لمعرفة الدور العسكري الكبير الذي قام به الحاجب بدر .

الذهاب معهم الى اشبيلية وتسلمها نيابة عن الامير بحيلة تم رسمها مسبقا ، فعرض الامر على الامير عبد الرحمن الذي آذن له في الذهاب معهم ، حيث تمكن بدر من دخول اشبيلية بعد استسلامها ، وفق الخطة المرسومة ، فنظر في مصالحها ، وعرض جميع فرسانها بتكليفه ، والحقهم في الديوان بحسب مراتبهم واتام فيها مائة أيام ، حتى قدم عليهم سعيد بن المنذر القرشي عاملًا عليهم ، فأسلمه عمله ، واتام معينا له ايما^(١) .

والذي نلاحظه أن سلطات الحاجب بدر قد توسعت بدرجة كبيرة ، فنجده يتنوب عن الخليفة في تولية وال على كورة من الكورة ، مع النظر في مصالح هذه الكورة ، وامتداف فرسانها ، والحاكم بالديوان بحسب مقاديرهم ، وكسل ذلك بالطبع نيابة عن الامير ، الذي منحه كل هذه الملاحظات التي لم تمنح لاحد قبله حسبما رأينا في السابق ، فكان الحاجب بدر ناشبا عن الامير مباشرة ، ولم يقتصر دوره على مجرد الوساطة بينه وبين الوزراء ، وهو عمل الحاجب في الاندلس .

(٢) وبعد وفاة الحاجب بدر ، ولى الناصر مكانه موسى بن محمد بن هدير ، الذي كان يخلف الامير عبد الرحمن في القصر أحيانا عند خروجه للفرز ، وكان موسى من اهل الادب والشعر ومن اهل بيت رياة وطلاة . وكان يعجب الناصر عند تعوده لسلام الاجناد ، ولولود الاطراف ، ورسد الامم ، وأصحاب الخيل والمدينة والشرطة العليا والوسطى على مراتبهم مع سائر الخدمة .^(٣)
(٤)
(٥)

وكان الحاجب موسى بن محمد يتلقى بعض المكاتبات الواردة على الناصر لدين الله من بعض الامراء خارج الاندلس ، ويؤكدون فيها ولائهم لدولة الامير

(١) المعذر نفط ، ص ٧٩ - ٨٠ .

(٢) ابن حيان ، الملتمس ، ج ٥ ، ص ١٧٣ ، ابن مغازي ، البيان المغرب ٢٠ / ١٨٢ ،

ابن الأبار ، الحطة السيرة ، ج ١ ، ص ٢٣٢ ، ٢٣٣ .

(٣) ابن حيان ، الملتمس ، ج ٥ ، ص ١٦١ .

(٤) الطي ، بغية الملتمس ، ص ٤٥٥ ، ترجمة ١٣٢٠ .

(٥) ابن الأبار ، الحطة السيرة ، ١٠ / ٢٣٢ .

(١)
عبد الرحمن ، ويتلقى كذلك مكاتبات بعض أهل المدن أو الكور ، الذين
يطلبون التوسط والاستشفاع لدى الناصر ، كما فعل أهل طليطلة ، مندم —
(٢)
بلغهم عزم الناصر على غزو مدينتهم .

واحترم الحاجب ابن حدير في منصبه حتى تولى في عام ٥٢٢٠ هـ / ٩٣٢ م ،
(٣)
فلم يول الناصر بعده أحدا الحجابة .

لقد استغنى الناصر عن منصب الحجابة منذ عام ٥٢٢٠ هـ كما هو واضح من
النص ، وظل المنصب شاغرا إلى أن تولى في سنة ٥٢٥٠ هـ / ٩٦١ م ، ولم تسرد
أسباب واضحة عن استغناء الناصر عن هذه الخطة ، ولكن يبدو أنه جعل
رئاسة الوزراء بيده إضافة إلى أملاكه كخليفة للمسلمين .

وبتولى الخليفة الحكم المستنصر ٢٥٠ - ٥٣٦٦ هـ / ٩٦١ - ٩٧٦ م ، الخلافة
أعاد منصب الحجابة مرة أخرى ، فولى حجابته جعفر مولاة المعروف بالمطلبى
الذى كانت تدير أعمال توسعة المسجد الجامع بقرطبة ، وشأمين الصنوبر
(٤)
اللازمه لهذا البنيان . وقد عجب جعفر للحكم المستنصر حتى تولى في سنة
(٥)
٥٣٦٠ هـ / ٩٧٠ م ، فولى الخليفة جعفر بن عثمان المصطفى مكانه .
(٦)

وكان جعفر من أهل الثغر والادب البارع ، وله شعر كثير يدل على
(٧)
طبعه وسعة أدبه .

-
- (١) ابن حيان ، المقتضب ، ج ٥ ، ص ٢٦٣ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٨٠ ، ٢٨١ .
(٣) ابن الأبار ، الحلة ، ١ / ٢٣٣ .
(٤) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٢ / ٢٣٣ ، ابن سعيد ، المغرب ، ١ / ١٨٧ .
(٥) ابن حيان ، المقتضب ، تحقيق د. الحبي ، ص ٦٦ .
(٦) ابن سعيد ، المغرب ، ١ / ١٨٧ ، المقرئ ، نفع الطيب ، ١ / ٣٨٢ .
(٧) الضبي ، بغية العلتص ، ص ٢٥٧ ، ترجمة رقم ٦١٤ .

وسلك جعفر مملك الوزير ابن شهيد ، فقام باهداء هدية ضخمة الى
ال خليفة الحكم المستنصر ولكنها لم تعمل في حجمها وضخامتها هدية ابن
شهيد .^(١)

ويبدو أنه كان يريد التقرب والامتثال بالخليفة الحكم المستنصر
مثلما فعل ابن شهيد مع الناصر لدين الله ، وقد تحقق له ذلك . فكان
المستنصر منه يسمع وبه يهجر .^(٢)

ومعنى ذلك أنه استأثر بالخليفة الى حد كبير ، فصار لا يعطى الا لقوله
ولا يرى الا ما يراه ، وفوضه تفويضا كاملا في تصريف شؤون الدولة . فأصبح
هو المدير الحقيقي والمتصرف في شؤون الدولة منذ مرض المستنصر الى حين
وفاته في سنة ٣٦٦ هـ / ٩٣٦ م .^(٣)

نستخلص مما سبق أن خطة الحجابة ، كانت من أعظم الخطط الإدارية الاندلسية
وأهمها ، وقد تطورت تطورا كبيرا في دولة بني أمية بالاندلس ، ولم يعد
مفهومها قاصرا فقط على الشخص الذي يحجب الخليفة عن العامة والخامة .

لقد كان الحاجب في الاندلس ، يختلف الخليفة أحيانا عند خروجه
للغزو ، كما كان يكلف من قبل الخليفة بتنفيذ بعض المهام العسكرية
والمدنية ، والرد على بعض المكاتبات التي تخص الخليفة .
وبذلك تكون الحجابة في الأندلس أكثر تطورا من الحجابة في المشرق .

-
- (١) المقرئ ٣٨٢/١ . وتفصيل الهدية : مائة مملوك من الأفرنج بكامل
أسلحتهم وخيولهم . ثلاثمائة خولة ، مائة بيضة هندية ، وخمسون خولة
خشبية ، وثلاثمائة حربة أفرنجية ، مائة ترس سلطانية ، ومائة جواشن
لuxe مذهبة ، وخمسة وعشرون قرنا مذهبة من قرون الجاموس .
(٢) ابن خاقان ، مطمح النفس ، ص ١٥٤ ، المقرئ ، نطع ١٠ / ٤٠٢ .
(٣) ابن عذاري ، البيان المغرب ٢٠ / ٢٥٣ .

المبحث الثالث

الدواوين والخطوط

الدواوين والخطط

(١)
الديوان هو مجتمع المحف وهو فارسي معرب . واطلق اسم الديوان
(٢)
من باب المجاز على المكان الذي يحفظ فيه الديوان .

وأطلق الديوان في المشرق على عدد من الولايات والادارات الحكومية
مثل ديوان البريد ، ديوان الخراج ، ديوان بيت المال وغير ذلك من
الدواوين .

ج

أما النظام الإداري في الأندلس فلم يعرف الدواوين كادارات حكومية
بمعناها المشرقية ، وعرف بالمقابل نظام الخط .

والخط (بضم الخاء) ومفردا خطة تعني في الاصطلاح الأندلسي
" نظم الحكم والادارة (In stitutions) وما يرتبط بها من
تشريعات وأحكام ، مما يحقق للإنسان الأمن والعدالة والحكم العادل . أما
الخط ومفردا خط (بكسر الخاء) فهي تعني الأماكن والأحياء " .
(٣)

أما لفظ الديوان في الأندلس ، فقد جاء ذكره عند الخشن القروي (ت ٥٣٦١هـ)
إذ روى أن الأمير محمد خرج غازيا في سنة ٥٢٦٠ هـ / ٨٧٣ م ، وفي أثناء فزوه
بلغته شكوى ، فد قاضي قرطبة ، فأمر صاحب المدينة أن يبحث اليه أربعة
من عدول قرطبة ، يقبضون الديوان منه ، ثم يجعل في بيت الوزراء (٤) . وكذلك
قام صاحب المدينة بقبض الديوان عند وفاة القاضي محمد بن سلمة في عصر
الأمير عبد الله ، وجعله في مكان المحف والعيان حتى اختار الأمير شخصا
آخر للقضاء .
(٥)

- (١) ابن منظور ، لسان العرب ، المجلد الأول ، ص ١٠٣٩ .
- (٢) د . حسن إبراهيم حسن وعلى إبراهيم حسن ، النظم الإسلامية ، مكتبة النهضة
المصرية ، ص ١٧٠ .
- (٣) د . أحمد مختار العبادي وآخرون ، دراسات في تاريخ الحضارة العربية
الإسلامية منشورات ذات الملحق ، الكويت ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ، ص ١٢٢ .
- (٤) الخشن القروي (ت ٥٣٦١هـ) كفاة قرطبة ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الكتب
الإسلامية ، القاهرة ، بيروت ، ١٤٠٢ هـ ، ص ١٦٩ .
- (٥) المصدر نفسه ، ص ٢٠٠ .

ومن ذلك يتضح أن الديوان في الأندلس، كان يختص بالمجلات القضائية التي تحتفظ فيها أموال الأوقاف والوصايا والتركات، وغير ذلك، ويكسبون القاضي مذكولا عنه .

وجاء ذكر الديوان أيضا في معرض حديث ابن جليل الأندلسي عن الطبيب أحمد بن محمد بن حفصون، الذي عاش في عصر الخليفة الحكم المنصور، وقال عنه أنه أستاذ من ديوان المتطهين^(١)، ونستدل من ذلك أنه كان هناك ديوانا للأطباء مختصا بهم، يشرف وينظم مهنة الطب، والذي لا يبدى كفاءة عالية كان يمحط اسمه من الديوان .

هذه هي بعض الحالات التي ورد فيها ذكر الديوان، أما أن يرد ذكره كديوان بيت المال، ديوان البريد، كما كان في المشرق فإن ذلك لم يرد في النظم الإدارية الأندلسية .
ونظرا لعدم وجود الدواوين كسمى للنظم الإدارية في الأندلس فيكون الحديث منمعا على الخط فخط .

الخط :-

عرفت الدولة الأموية في الأندلس عددا كبيرا من الخطط الإدارية التي تبلورت عبر عصور الدولة المختلفة . ويرجع تنظيم كثير من أعمال الدولة الإدارية إلى الأمير عبد الرحمن بن الحكم (الأوسط) ٢٠٦ - ٢٢٨ هـ، فهو أول من ألزم الوزراء بالاختلاف إلى قصره كل يوم للتحديث والتشاور معهم في شؤون الدولة المختلفة، وقد جعل لهم بيتا رفيعا بقصره، وجعل لهم فيه مجلسا يجلسون فيه على أرائك الدخندت لهم .^(٢)

وسأخذ عصر الأمير عبد الرحمن بن محمد (الناصر) ٣٠٠ - ٣٥٠ هـ/٩١٢ م، مثلا للتعرف على خطط الدولة المختلفة ومن ثم نتناولها بالحديث

(١) ابن جليل الأندلسي : أبو داود سليمان بن محمد (توفي في القرن الرابع الهجري) طبقات الأطباء والحكماء ، تحقيق فؤاد سيد، مطبوعات المعهد

العلمي الفرنسي بالقاهرة ١٩٥٥ م، ص ١١٠ .

(٢) ابن حيان ، المعقبي، طبعة بيروت ، ص ٢٩ .

في الدولة الاموية بصورة عامة ، العصر الناصر هو العصر الذي استلزت فيه
حظ الدولة وتنظيماتها .

ذكر ابن مغازي أن الامير عبد الرحمن ولى يوم مبايعته يدرا مولا
الحجابة مع الوزارة وخطه الخيل ، الى ماكان اليه من خطه الهرد ، وولى
موسى بن محمد الوزارة الى ماكان اليه من خطه المدينة ، وكان موسى
الكتابة عبد الله بن محمد الزجالي ، فأقره عليها ، وأقر أحمد بن محمد
ابن أبي عبده على القيادة ، وأقر قاسم بن وليد الكلبي على الشرطة العليا ،
وكان مع ذلك خازن ، لمصرف الخزانة عنه وولاه عبد الملك بن جهور ، وولى
الخزانة أيضا محمد بن عبيدة بن مبشر ، ومحمد بن عبد الله بن أبي عبده .
وولى عمر بن محمد بن هانم ، وعبد الرحمن بن عبد الله الزجالي ، ومحمد
ابن سليمان بن وانسوس خطه العرض . وولى محمد بن عبد الله الخروبي
خزانة السلاح مع العقل ... وولى فطيس بن أصبغ خطه البيارة ، وصرفها عن
الحاجب بدر بن أحمد ، الى اعمال وخطط ولاها من استحق عنده من مؤلفيه
ووجه مؤلفيه ^(١) .

ولى سنة ٣٠٢ هـ / ٩١٤ م قدم الناصر محمد بن عبد الله الخروبي من
ولاية السوق الى ولاية المدينة ، وعزل عنها موسى بن محمد بن حدير ، وعزل
محمد بن محمد بن أبي زيد عن الشرطة العلوى ووليها يحيى بن اسحاق ، وولى
السواريش قند ودرى مؤلفيا الناصر ^(٢) .

ولى سنة ٣١٦ هـ / ٩٢٨ م " أمر الناصر بإقامة دار مكة داخل مدينة
قرطبة ، لضرب النساخير والفرام وولى الخطه احمد بن موسى بن حدير " ^(٣) .

(١) البيان المغرب ٢٠ / ١٨٥ - ١٩٥ .

(٢) المصدر نفسه ٢٠ / ١٦٦ .

(٣) المصدر نفسه ٢٠ / ١٦٢ .

(٤) المصدر نفسه ٢٠ / ١٩٨ .

وطبقا لما ذكره ابن عذارى فإن الخطط في عصر الأمير عبد الرحمن كانت هي : الحجابة والوزارة ، خطة الخيل ، خطة البريد ، خطة الكتابة ، خطة المدينة ، خطة القيادة ، خطة الشرطة العليا ، خطة الشرطة السفلى ، خطة الخراصة ، خطة العرض ، خزائن السلاح ، خطة السوق ، خطة الموارث ، خطة السكة .

إضافة إلى بعض الأعمال والخطط الأخرى التي لم يذكرها ابن عذارى في مستهل ولاية الأمير عبد الرحمن بن محمد (الناصر) كخطة القضاء والسر والمظالم .

هذه هي الخطط الهامة والرئيسية في دولة بني أمية بالاندلس ، ولقد وجدت إلى جانبها بعض الخطط العارضة الأخرى ، مثل خطة المقابلة التي نشأت في عصر الحكم المستنصر ، وخطة القطع في عصر الأمير عبد الله .^(١)
^(٢)

وكان لهذه الخطط الحكومية المركزية مكاتب مقامة بداخل القصر عند باب السدة بالقرب من قلعة نهر قرطبة .^(٣) والسدة هنا معناها دواوين الحكومة وإداراتها .^(٤)

وكان لهم " بيت " أو مجلس داخل القصر يجتمعون فيه جميعا مع الأمير أو الخليفة للتشاور والتفاوض في أمور الدولة كما ذكر ابن حيان .

ولقد تحدثت في المبحث السابق عن الحجابة والوزارة ، وسأتناول الحديث عن بعض الخطط الأخرى في هذا المبحث لأتحدث عنها في مباحثها الخاصة بها . وسأتناول في هذا المقام أولا :-

(١) اللطاس عياض ، ترتيب المدارك ، ٤ / ٥٦٦ .

(٢) ابن الأبار ، الحلة السيرة ، ج ١ ، ص ٢٢٢ .

(٣) IMAMUDDIN S. M. : Muslim Spain, P. 47.

(٤) د. حسين مؤنس ، رحلة الاندلس ، الدار اليهودية للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ، ص ١٠٨ .

أولا : الكتابة .

يقول ابن خلدون : "هذه الوظيفة غير ضرورية في الملك لاسيما ، كثير من الدول عنها رأسا كما في الدول العريضة في البداوة التي لم يأخذها تهذيب الحضارة ولا استحكام النظام وإنما أكد الحاجة إليها في الدولة الإسلامية شأن اللسان العربي والبلغة في العبارة من المقامد فصار الكاتب يؤدي كنه الحاجة بأبلغ من العبارة اللسانية في الأكثر" (١) .

وقد اهتمت الدولة الإسلامية منذ عصر الرسول صلى الله عليه وسلم بهذه الوظيفة ، وأولتها اهتماما كبيرا لما لها من أثر في حياة الأمة .

يقول القلقشندي : "أعلم أن هذا الديوان أول ديوان وضع في الإسلام ، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكتب أمراءه ، وأصحاب سراياه من الصحابة ولهوان الله عليهم ويكاتبونهم . ويكتب إلى من قرب من ملوك الأرض يدعوهم إلى الإسلام ... وكان للنبي صلى الله عليه وسلم نيك وثلاثون كاتباً" (٢) .

وتطورت الكتابة في الدولة الإسلامية عبر عصورها المختلفة تبعاً للتطور الذي طرأ على مؤسسات الدولة المختلفة . وقد شمل هذا التطور الدولة الأموية في الأندلس حتى قلدت في هذا الشأن الخلافة العباسية ببغداد . (٣)

-
- (١) المقدمة ، ص ٣٠٥-٣٠٦ .
 (٢) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ٩٢٠٩١/١ ، وانظر أيضاً عند الحى الكتاني ، نظام الحكومة الطبرية المسمى الخراجية الإدارية ١١٨-١١٩ ، ١١٩-١٢٠/١ .
 (٣) انظر القلقشندي ، صبح الأعشى ، ٩٢/١-٩٤ .

حظا الكتابية في الاندلس :

كانت الكتابية في الدولة الاموية في الاندلس على فترتين "اعلاما كاتب الرسائل ، وله حظ في القلوب والعيون عند اهل الاندلس ، واشرف اسمائه الكاتب ، وهذه السمة يخطه من يعظمه في رسالة . واهل الاندلس كثيرو الانتقاد على صاحب هذه السمة ، لا يكادون يغفلون عن عثراته لحظة ، فان كان ناقصا من درجات الكمال لم ينقعه جاهه ولا مكانه من سلطانه من تسلط الحسن في المحافظ والظعن عليه وعلى صاحبه " .^(١)

وكاتب الرسائل هو الذي يتولى المكاتبات الرسمية في الدولة . وتعرف هذه الخطة أحيانا بخطة "الكتابة العليا" . وكان كتاب الرسائل يختارون من اهل الادب والثقافة ، وممن ملكوا تقاليد البلافة والفصاحة ، واحتفوا بالملكة البليانية .^(٢)

يروى ابن بسام انه "لا بد للملك من كاتب مقبول الصورة تقع عليها عينه ، واذن ذكية تسمع منه حسه ، والله نقي لا تدم انفاسه عند مقاربتة له . ولذلك استحسنوا من الكاتب ان يكون طيب الرائحة ، سليم آلات الحواس ، نقي الخوب" .^(٣)

"ولما كان الكاتب لسان الخليفة ، فان سمعا الخلافة والدولة ترتبط بما تحمك به الرسائل التي يدبها الكاتب من فن ادبي وقيم جمالية ، وان اية عثرة قلم او سوء حال من خطا او اعجم او تصحيف يلقى من قدر الخلافة" .^(٤)

- (١) المقرئ ، فتح الطيب ، ٢١٧/١ .
- (٢) فايز فلاح القيسي ، ادب الرسائل في الاندلس في القرن الخامس الهجري ، دار البشير للنشر والتوزيع ، عمان ، الاردن ، الطبعة الاولى ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م ، ص ٩٢ .
- (٣) انظر المرجع نفسه ، ص ٩٢ .
- (٤) ابن بسام الشنتريني ، الذخيرة في محاسن اهل الحزيرة القسم الاول ، المجلد الاول ، ص ٢٤٣ .
- (٥) فايز القيسي ، ادب الرسائل في الاندلس ، ص ٩٤ .

ولذلك لابد من أن يتخير صاحب هذه الخطة من أرفع طبقات
(١)
الناس ، وأهل السروة ، والحكمة ، والعلم .

الكاتب الثاني : كاتب الرمام .

"ولا يكون بالاندلس وير العدو لانصراثيا ولايهوديا البتة
(٢)
اذ هذا الفصل نبيه يحتاج الى صاحبه عظماء الناس ووجوههم".
وكاتب الزمام هو الذي "يشرف على ادارة الاموال العامة
(٣)
والجبايات واحصاء الجند وتقدير ارزاقهم" .

اهتمام الامويين في الاندلس باختيار كتابهم :

اهتمت الدولة الاموية في الاندلس اهتماما كبيرا
باختيار الكتاب . وكانت خطة الكتابة من اهم الخطط التي
اولاها الامير عبد الرحمن الداخل عنايته منذ خلوها الامر له ،
وتسلم رمام الحكم ، واستقراره بقرطبة . وكان اول من كتب
له كبير نقباءه ابو عثمان ، وصاحبه عبد الله بن خالد ، ثم
لزم كتابته امية بن يزيد مولى معاوية بن مروان .
(٤)
وتوارثت اسرة امية بن يزيد كاتب الداخل ، الكتابة من
بعده . فقد كتب ابنه محمد بن امية للامير هشام بن عبد
الرحمن (١٧٢ - ١٨٠هـ) ، ثم للحكم بن هشام (١٨٠ - ٢٠٦هـ) ،

- (١) انظر ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٠٧ .
(٢) المقرئ ، فتح الطبيب ، ص ٢١٧ .
(٣) د. أحمد السيد دراج ، مناعة الكتابة وتطورها في
المصور الاسلامية ، منشورات رابطة العالم الاسلامي ،
السنة الاولى ١٤٠١هـ ، المجلد (٨) ، ص ٥٩ .
(٤) المقرئ ، فتح ، ٤٦/٣ .
وكان ابو عثمان هو رأس الجماعة الذين توجه اليهم بدر
مولى الامير عبد الرحمن بالاندلس ، وتولى امر الدعوة
لابن معاوية حتى تأسست دولته . أما عبد الله بن خالد
فهو مهرة الذي آزره في امر الدعوة لعبد الرحمن بن
معاوية حتى تأسست الدولة وبعد فترة اعتزل أي عمل
للملطان ومات منفردا . وأما امية بن يزيد فهو مولى
معاوية بن مروان . وكان من ضمن مستشاري الداخل ويغفل
امره وآراءه وقد كتب قبله ليوسف الغفري .
انظر المقرئ ، فتح الطبيب ، ٤٦، ٤٤/٣ .

إلا أن الحكم اتهمه بموالاة لعمه سليمان الخائر عليه عزله من الكتابة . وكان سليمان قد هم بالركون ، ولكن محمد بن أمية دفعه إلى المنفى في الثورة وكتب إليه أبياتا تشجعه على ذلك . وقد توفي محمد بن أمية خائلاً في عصر الأمير ^(١) الحكم .

ومن أسرة آل أمية الذين تولوا الكتابة عبد الله بن محمد بن أمية ، وتولى الكتابة للأمير عبد الرحمن الأوسط ^(٢) . أن ظاهرة توارث أسرة آل أمية للكتابة ، وبطلان الأسر الأخرى في الأندلس ، ظاهرة تدل على ازدهار الكتابة وتطورها وقد تمسكت هذه الأسر بهذه الخطا واحتفظتها وأورثتها لأبنائها .

ومن كتاب عبد الرحمن الأوسط عبد الكريم بن عبد الواحد ابن ميثم ، الذي جمع إليه الكتابة مع الحجابة والقيادة ، ومحمد بن موسى بن محمد ، ومحمد بن سعيد الزجالى الذى يلقب بالأممى لدكانه وقوة حفظه . وكان أول من أمطعه واستكتبه عبد الرحمن الأوسط ، وقد ألجب محمد بن سعيد ولدين تولى كل منهما الكتابة ^(٣) .

وقبل أن يتولى محمد بن سعيد الزجالى الكتابة للأمير عبد الرحمن الأوسط ، كان قد اتخذ كاتباً لوزرائه اشراكا نعم فيه على رسم من تقدمه ، ولكن مممدا حدث به همة إلى الترفع عن ذلك للتفرد بأعلى المنابر ، وكتب إلى الأمير عبد الرحمن كتاباً يستغفیه من الكتابة لوزرائه يقول فيه : " أن من رسم بميسم كتابته - أعزه الله - وشرف باسمها لعدد من بعضى من كتابة وزرائه ، ويزدهى بحماسة أسرارهم ، فتدب

(١) ابن سعيد ، المغرب ، ٧١/١ - ٧٢ .

(٢) ابن حيان ، المحققين ، ص ٣١ .

(٣) ابن حيان ، المحققين ، ص ٣١ - ٣٢ .

الأمير عبد الرحمن إلى ذلك . والرد على كتابته ، واتحد
لنوراء كاتبا مفردا لكتابتهم ، فجرى الأمر على ذلك من بعد
(١)
الأمير عبد الرحمن إلى آخر الدولة .

ويفتح لنا من هذا النص أن الأمير عبد الرحمن الأوسط هو
أول من اتخذ كاتباً خاصاً في الأندلس ، وكانت مهمة الكاتب
الخاص هي أن "يتلقى من الأمير ومن الخليفة الردود على
استفسارات المسئولين أو القرارات التي يريدها الأمير أو
الخليفة أخطارهم بها ، سواء أكانوا في قرطبة أو في مواضع
الولايات والخفوف وقد أطلق على هذا الكاتب في بعض الأوقات
(٢)
اسم صاحب الإنشاء" .

وقد تولت بعض النساء الكتابة الخاصة في عصر الخلافة .
فقد تولت "مرونة" الكتابة للخليفة عبد الرحمن الناصر ، وقد
كانت حادثة من أخط النساء ، وتوفيت في سنة ٣٥٨هـ / ٩٦٨م .
(٣)

وحدا الحكم المقتصر حذو والده الناصر في تولية بعض
النساء الكتابة . فقد كانت لبلى كاتبة ، حادثة بالكتابة
نحوية شاعرة بصيرة بالحساب ، لم يكن في قلوبهم أنبل منها .
(٤)
وكانت مرونية خطاطة جدا ، وتوفيت سنة ٣٧٤هـ / ٩٨٤م .

وهذه أول مرة في تاريخ الدولة الأموية في الأندلس
تتولى المرأة منصباً إدارياً .

(١) ابن حيان ، المقتبس ، ص ٢٤-٢٥ ، ابن سعيد ، المغرب ،
٣٣١-٣٣٠/١ .

(٢) د. أحمد السيد دراج ، مضاعفة الكتابة ، ص ٥٢-٥٣ .

(٣) ابن بشكوال : أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت ٥٧٨هـ)
كتاب الملوك ، الدار المصرية للتحالف والترجمة ،
١٩٦٦م ، ترجمة رقم ١٥٣٠ ، ٦٩٢/٢ ، الفي ، بغية
الملخص ، ترجمة رقم ١٥٩٣ ، ص ٥٤٦ ، وتجد في المشرق
أيضا أن بعض النساء تولين الكتابة الخاصة فقد جاء في
تاريخ بغداد أن كاتبة الأمير العباسي إبراهيم بن
المعدي تدعى ميمونة . الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد
١٨٣/١ .

(٤) ابن بشكوال : الملوك ، ترجمة رقم ١٥٢٩ ، ٦٩٢/٢ ،
الفي ، بغية الملخص ، ترجمة رقم ١٥٩٣ ، ص ٥٤٦ .

ويمكن أن نضيف الكتابة الخاصة "بالسكرتارية" في
عموما الحاضر .

وكان للمنزلة الرفيعة التي بلغها محمد بن سعيد
الرجائي لدى الأمير عبد الرحمن ، وتولى الكتابة للأمير فقط
دون الوزراء ، إذ لم يصبه أحد في هذا الأمر ، كان ذلك
مدعاة للحماس بين رجال الدولة وأهل الخدمة ، ومن بينهم نصر
مولى الأمير عبد الرحمن والأثير لديه . فكتب إلى الأمير عبد
الرحمن شاكيا له نصر ، وقال له : "قد علم ماكملى به دون
نظرائي من المنزلة الرفيعة التي أصبحت علما من أجلها
محسودا ، موميا بالحق ، تعلقني الأمن ، وحجول في الأفكار
وملئها استوى بناؤها ، وقام مموها ، واسترخت أطلابها ،
سعى في هدمها من لا زال أوثل حرف ذكره ، وأجل رفيع قدره " (١)
وهو يخير بذلك إلى أنه أول من استغرد بالكتابة
للأمراء دون الوزراء ، وكأنه يفخر بذلك ، وهو الذي أشلها
وارتقى بها واستوت في مهده ، وإذا بنصر يريد هدمها حسدا
منه مع أنه لا يزال يجل نصرا ويقدره .

ولما تولى الأمير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨ - ٢٧٣هـ/
٨٥٢ - ٨٨٦م) ، أمضى رجال أبيه على الوزارة ، وعلى الكتابة
عبد الله بن أمية بن يزيد نعمو العامي ، وكان يتولى
الكتابة العليا مع الوزارة ، ولكن علما أصابته فاعمدته من
الركوب وأقام بها قومس بن انتيفان النمرائي في الخدمة فلما

(١) ابن سعيد ، المغرب في حلى المغرب ، ٢٢٢/١ .
(٢) ابن الخوطية ، تاريخ الفتاح الأندلس ، ص ٩٥ .
(٣) ابن حيان ، المقتبس ، ص ١٤٢ .

توفي عبد الله بن أمية ، قال الأمير محمد : لو أن القومس كان مسلما ما استبدلناه ، فلما بلغه الخبر أشهد على إسلامه فولاه الكتابة .^(١)

لقد كان قومس النعماني يقوم بأعمال الكتابة للأمير عبد الرحمن قرابة العامين أثناء مرض عبد الله بن أمية ، ويبدو أنه كان مكلفا للسط بالكتابة دون أن تعهد إليه الخطة حسب ما يلزم من حديث الأمير عبد الرحمن " لو أن القومس كان مسلما ما استبدلناه " فلما بلغ هذا الخبر قومس أشهر إسلامه فولاه الأمير محمد الكتابة مكان عبد الله بن أمية المتوفى .

وكان قومس مع بلاغته وجودة رعايته بصيرا بصناعة الكتابة الحسابية عارفا بمعانيها الصورية ، مدققا لحساباتها المعقدة ، يرجح من خصال ذلك كله إلى رجحان وحساسة ببعثاته على التكلم فيما يأتى به هاشم بن عبد العزيز أمير الأمير محمد من تيهه وطلقه .. فأكتب بذلك عداوة هاشم بما شجى به منه " .^(٢)

وأدخل قومس بعض التنظيمات على العمل حينما كان يقوم ~~مباشرة~~ عبد الله بن أمية بن يزيد في كتابة الرضايل ، وكان نعمانيا في ذلك الوقت ، ومن هذه التنظيمات : أنه من لكتاب السلطان وأهل الخدمة تعطيل الخدمة في يوم الأحد من الأسبوع ، والتخلف عن الحضور إلى قصر الأمير محمد وقد كان نعمانيا ، دها إلى ذلك لنسكه فيه ، فتبعه جميع الكتاب طلبا ^(٣) الاستراحة من تعبهم والنظر في أمورهم ، فانتحوا ذلك ومضوا عليه .

ويفهم من ذلك أن الإدارات الحكومية كانت تعمل على مدار الأسبوع دون أن تكون هناك راحة خلال الأسبوع ، إلى أن جعل لهم قومس مظلة الأحد ،

(١) ابن الفوطي ، تاريخ ، ص ٩٥ .

(٢) ابن حيان ، المقتبس ، ص ١٤٢ .

(٣) المعتمد نفسه ، ص ١٢٨ .

وكان هاشم بن عبد العزيز يحقد على قومس لتوليته الكتابة ، ويشكك في صحة اعلامه ، ويؤكد عليه بعض الذين يحدونه ، ويرون أنهم أحق بهذا المنصب منه . فقد ذكر ابن القوطية أن محمد بن الكوشر وهو أحد بلغاء الإندلس - دخل على هاشم بن عبد العزيز فقال له هاشم : " إن من عجائب الزمان أن يكون مثلك في قدرك وأهوتك ومنصبك ظلوا من الخدمة ، ويكون صاحب قلم بنى امية الأعلى ، وكاتبهم العظيم القومس النصراني ابن انتيان المشتكى من هذا إلى الله تبارك وتعالى " . وأوفر بذلك مدر ابن الكوشر الذي رفع إلى الأمير محمد احتجاجا بعدم تولية الكتابة العليا لقومس النصراني مع وجود من يملح من أمثاله هو نفسه ، وحامد الرجالي ، وغيرهم من أهل الاجناد ، فعزل قومس عن الكتابة وولى مكانه حامد الرجالي .^(١)

ورث حامد الرجالي مكان أبيه محمد بن سعيد الرجالي من الادب والمعرفة والبلاغة والكتابة فسله سبيله في خدمة السلطان ، وارتقى فوق ذروة أبيه بخطه الوزارة ، وكان أديبا طليما عفا جميل الخصال ، إلا أنه كان يعاب بالبخل والافتقار .^(٢)

ولما تولى الرجالي استشرى إلى خطه الكتابة العليا التي في يده قوم من جلة الموالى من الوزراء وغيرهم ، وخطب كثير منهم الأمير محمد يعرفون أنفسهم لتوليها ، ولكنه بحث إلى عبد الملك بن عبد الله بن امية الذي لم يكن اهلا لها فولاه الكتابة مما أشار عليه الوزير هاشم ابن عبد العزيز ، وكره إلى الأمير است كتابه لعدم مقدرته وكفاءته ، فرد الأمير محمد على هاشم قائلا : " مهلا يا هاشم . فقد علمنا أنك ماقلت ألابالمنصحة لنا والرغبة في رفعة خدمتنا ، غير أن مذهبنا أن نقصر لخطتنا ههنا الشبهة على أبناء موالينا وأهل الموايق في خدمتنا ، وأن نخطكم فيمن

(١) ابن القوطية ، تاريخ ، ص ٩٦ - ٩٧ . وهو حامد بن محمد بن سعيد الرجالي من بنى يظفك ورث الكتابة من أبيه . كانت وفاته سنة ٥٢٦٨ هـ . ابن حيان ، المقتبس ، طبعة بيروت ، ص ٢٢ .

(٢) ابن حيان ، المقتبس ، ص ٢٦ .

بعدكم بما خلفنا به فيكم من قبلكم ، ولو كنا فارقنا المذهب لما اتعلت
 السمع في طحاء موالينا وذوي القدمة في خدمتنا ، ولاحتولى على هذه اهل
 التحرك من أبناء السوق وأبناء الناس أولى الامراق الدنية ، فترذل وتسوء
 منها العاقبة ، وهذا امر يجب عليك أن تقف على مدار النعمة فيه عليك ،
 وعلى ذورك ، وتقل عليه اعلامة " فاعتذر له هاشم عن ذلك وشكره واستصوب
 رأيه وشوئف من ذكر ابن أمية " (١)

ويرى ابن عذارى في شأن عبد الملك بن أمية وهاشم بن عبد العزيز
 أن الأمير محمد ولاه الكتابة اعطاهما له وعاقدة عليه ورد عليه يومما
 كتابا جاء فيه " قد فهمنا منك ولم نأت ما أتيناك من جهل بك لكن اعطاهما
 لك وعاقدة عليك . وقد أبغنا لك الاستعانة بأهل اليقظة من الكتاب لتخير
 منهم من تثق به وتعتمد عليه . ونحن نعينك على امرك بتفقد كتبك والاملاح
 عليك ، الى ان تتركب الطريقة وتبصر الخدمة ان شاء الله " (٢)

فصده على الخطة لشرفها من رأى نفسه أنه أولى بها لاستكتمها
 أدواتها ، وكان احد الناس عليه هاشم بن عبد العزيز الذي استدعاه الأمير
 محمد وقال له : " قد أكثر أهل خدمتنا وأكثر من هذا الكاتب تذكرون
 جهله ... وقد فهمت اليه من الكتاب من يستعين به ، ويستغفر على خدمته
 بمكانه ، وانما نلقوا بخدمتنا ، ونملك بمراتبنا طريق من ابتدأها
 وأسسها ووقع أهلها فيها . واذا كنا لانخلف أبائكم بكم ، ولا نخلفكم
 بأبنائكم ، فعند من نضع احساننا وغرب أيدينا أمد أبناء الفرائين
 أو الجزارين أو امثالهم من الممتهنين ؟ وأنت كنت أحق بالحق على هذا ،
 وتصويب الرأي فيه ، لما ترجو من مثله في أولادك ومليك " فامترى هاشم
 بخطه وشكر الأمير محمد على صواب رأيه ، (٣)

(١) المصدر نفسه ، ص ١٤٣ - ١٤٤ .

(٢) البيان المغرب ، ٢ / ١٠٨ .

(٣) ابن عذارى ، البيان ، ٢ / ١٠٨ .

لقد كانت خطة الكتابة العليا أو الرسائل من المخطوط التي تتطلب كفاءة عالية ، وامتلاك الوسائل اللازمة لها ، وقد كان المتدربون كثيرى الالتحاق لمن يتولى هذه الخطة ولا يحسدوا كما يقول المقرئ . وقد سهبوا للكاتب عبد الملك ابن عبد الله بن أمية متاعب جمة ، وكانوا يريدون ازاحة بثقي السبل .

ولما تولى المنذر بن محمد (٢٧٣ - ٢٧٥هـ / ٨٨٦ - ٨٨٨ م) ولى الكتابة فى فترة ولايته القيصرية اخذين من الكتاب هما سعيد بن مبشر ، وعبد الملك بن عبد الله بن أمية (١) .

ولى عمر الأمير عبد الله كتب له عبيد الله بن محمد بن أبى عبدة ، وعبد الله بن محمد الزجاجي ، وعزل الأمير عبد الله ، الزجاجي عن خطتي الوزارة والكتابة حيثما من الوقت لموجدة وجدوها عليه ثم عفا عنه وأعادته الى خطته ، وكان الزجاجي معبها فى الناس فاهدوا فرحا لرجعته (٢) .

ومندما تولى الناصر لدين الله (٣٠١ - ٣٥٠هـ) ، عزله من الكتابة بن محمد الزجاجي على الكتابة ، ثم وليها بعد وفاته عبد الرحمن بن الحاجب بدر بن أحمد ، وفى سنة ٣٠٢هـ / ٩١٤م ولى الناصر عبد الملك بن جمهور الوزارة ولهم اليه الكتابة العليا مع الوزارة (٣) .

وفى سنة ٣٠٣هـ / ٩١٥م ، عزل عبد الملك بن جمهور عن الكتابة والوزارة وولى بعده الكتابة عبد الحميد بن بسيل (٤) . وفى سنة ٣٠٤هـ / ٩١٦م ، عزل الناصر لدين الله عبد الحميد بن بسيل عن الكتابة العليا التي كان تقلدها بعد

(١) ابن عذارى ، المصدر السابق ، ١١٣/٢ .
 (٢) ابن حبان ، المقتبس ، فهر مشهور ، ص ٦ .
 (٣) ابن الأبار ، إعطاء الكتاب ، ص ١٧٢ .
 (٤) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ١٥٩/٢ .
 (٥) ابن حبان ، المقتبس ، تحقيق ب. شالميتا ، ص ١٠٢ .
 (٦) المصدر نفسه ، ص ١١١ .

عبد الملك بن جهور إذ لم تطل ولايته أياما ، وأعاد عبد الملك بن جهور إلى الكتابة العليا .^(١)

وفي سنة ٣١٥هـ/٩١٧م ، صرف الناصر عبد الملك بن جهور عن الكتابة العليا وولاه عبد الرحمن بن الحاجب بدر بن أحمد .^(٢)

ويلاحظ أن الناصر لدين الله كان يستبدل عماله على هذه الخطة على الدوام ، ففي خلال الأعوام الأولى من سني حكمه وإلى على هذه الخطة ستة أشخاص تقريبا .

وتولى محمد بن عبد العزيز كتابة المحاسبة (الزمام)^(٣) للناصر ونقل منها في سنة ٣٢٨هـ/٩٣٩م إلى كتابة الحوائج .

تطور خطة الكتابة في عصر الخلافة :

تطورت خطة الكتابة في عصر الخلافة تطورا كبيرا ، واتسعت مسؤوليات الكتاب ، وصار الكتاب وزيرا ضمن الوزراء وسمى بوزير الخرسيل . ونظرا لاصغاع مسؤوليات متولى خطة الكتابة فان الخليفة عبد الرحمن الناصر قام بتوزيع أعبائه بين أربعة من وزرائه ، وذلك في سنة ٣٤٤هـ .

يقول ابن عذاري : « وفيها حلف الناصر أمور الخدمة السلطانية ، ووزعها بين وزرائه ، فقلد الوزير جهور بن أبي عبدة النظر في كتب جميع أهل الخدمة ، وقلد الوزير عيسى بن فطيس النظر في كتب أهل الشفور والسواحل والإطراف وغير ذلك وقلد الوزير الكاتب عبد الرحمن الزجالي النظر في تنفيذ كل ما يخرجه عن المهود والخوصيمات ، ويتخذ به الأمر أو

(١) ابن حيان ، المقتبس ، ١٣٤/٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٤٢ .

(٣) ابن حيان ، المقتبس ، ٤٦٢/٥ . والحوائج هي المفقودات أو الاتعياء الفائضة التي لا يعرف صاحبها . انظر عبد العزيز بن عبد الله ، معلمة الفقه المالكي ، ص ٢٦٠ .

(٤) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٣٩-٢٤٠ .

الرأى وغير ذلك ، وقلد الوزير محمد بن حدير الظفر فى مطالب الناس وحوائجهم ، وتنجير التوقيعات لهم . فالتزم القوم ما ألزموا ، فاعتدل بهم ميزان الخدمة ، وسملت مطالب الرعية ^(١) .

وبذلك استقامت أمور الخدمة المدنية بتجديدها الحاضر والمبطلت أعمال الدولة . وهذا الإجراء يدل على أن الناصر كان يهتم بكفاءة إدارية مالية .

وفى عصر الخليفة الحكم المستنصر تولى الكتابة الوزير الكاتب جعفر بن عثمان الذى كتب سجلا لقبيلة كرامة البربرية التى جاءت للدخول فى طاعة الحكم المستنصر ، ولبذت دعوة الشيعة ، فكتب لهم كتابا طويلا بين لهم فيه ما يجب اتباعه والسير عليه ^(٢) .

وتولى الوزير الكاتب جعفر بن عثمان الشاء كتاب يحمق بمعارضة الخليفة الحكم بدعوة الشيعة بالمغرب ، ودخول عدد من أمراء البدوة فى طاعته ^(٣) .

وهكذا نجد أن خطة الكتابة أو الرسائل قد تطورت فى ظل حكومة الأمويين بالأندلس خلال هذه الفترة ، إلى أن أصبح الكاتب وزيرا . وهناك عدد كبير جدا من الكتاب الذين برعوا فى الكتابة ، وامتلكوا أدواتها ، وقد وصلت إلينا أسماءهم إلا أن المصادر لم تسفنا كثيرا بتفصيلات وافية عن أعمال هؤلاء الكتاب واختصاصاتهم . وقد فقدت الكتب التى صلفت فى

(١) البيان المغرب ، ٢٢٠/٢ .
 (٢) ابن حيان ، المقنيس ، تحقيق د. عبد الرحمن الحجي ، ص ١١١ .
 (٣) ابن حيان ، المقنيس ، تحقيق د. الحجي ، ص ١٢٨ .

الكتاب مكي : كتاب طبقات الكتاب بالاندلس للافشتين . (١) وغيره
من الكتب الأخرى .

نماذج من الرسائل والتوقيعات :

تعددت أنواع الرسائل الرسمية في الأندلس خلال هذه
الفترة فلجند الرسائل السياسية والإدارية والتنظيمية وغيرها
وقد تميزت هذه الرسائل بقررها وبلاغتها وبعدها عن التكلف .
وكان بعضها عبارة من توقيعات قصيرة يوقعها الأمير بنفسه .
فمن هذه التوقيعات ما كتبه الأمير عبد الرحمن بن
معاوية إلى سليمان بن يقطان الأمازيغي - وهو الخارج عليه
بسرقة - على كتاب مذكور فيه سبيل الخداع : "أما بعد
فدعني من معاريف المعاذير ، والتعسف عن جادة الطريق ،
لتعذر يدا إلى الطاعة والاعتناء بحبل الجماعة ، أو لائقين
بنائبها على رصف المعصية نكالا بما قدمت يداك ! وما الله
بظلام للمبيد" (٢) .

وكتب أمية بن يزيد كتابا عن الداخل إلى بعض عماله ،
يستقره فيما قرط من عمله ، فأكثر وأطال الكتاب . فلما
لحظه الأمير عبد الرحمن أمر بقطعه ، وكتب بخط يده "أما بعد
فإن يكن التحمير لك مقدما ، فعد الإكتفاء أن يكون لك مؤخرأ
وقد علمت بما تقدمت فاعتمد على أيهما أحببت" (٣) .

-
- (١) هو محمد بن موسى بن هاشم الخوي المعروف بالافشتين
(٣٠٩٥هـ) ، المميدى ، جذوة المقتبس ، ص ٨٨ .
(٢) ابن عذاري ، البيان المقرب ، ٥٨/٢ : المقرئ ، نفع ،
٣٩/٣ "لازوين بناتها على رصف المعصية" .
(٣) ابن عذاري ، البيان المقرب ، ٥٨/٢ .

وجرت بينه وبين مولاه بدر عديد من المكاتبات لما فُض عليه وأبعده
من المشاركة في سياسة الدولة ، إذ كان بدر يرسل اليه بين الحين والآخر
مدلاً عليه ، ومذكراً إياه بدوره الذي قام به ، حتى استتبت الأمور له ، ورد
عليه كتاباً من كتبه جاء فيه :

" وثقت على واثقتك المنبئة عن جهلك وسوء خطابك ودناءة أدبيك
ولثيم معتقدك ، والعجب أنك متى أردت أن تبني لنفسك منقلاً متناً أتييت
بما يهدم كل منات مشيد معانين به ، مما قد أضجر الاسماع تكراره وتدهنت
في النفوس اعمادته ، مما استغرنا الله تعالى من أجله على أمرنا
بإستفعال مالك ، وزدنا في هجرنا وإبعادك ، وهضنا جناح ادلالك ، ففعل ذلك
يلامع منك ويردك حتى نبليخ منك ما نريد ان شاء الله تعالى ، ونحن أولى
بتأديبك من كل أحد ، إذ شرك مكتوب في مثالينا ، وخيرك معدود في مثالينا^(٢)"

وجاء في كتاب آخر له : " لتعلم أنك لم تزل بمقتك ، حتى ثقلت على
العين طلعتك ، ثم ردت الي أن ثقل على السمع كلامك ، ثم ردت الي أن ثقل
على الخلق جوارك ، وقد أمرنا بالصافك الي أقصى الشفر فبالله إلا ما أتعرت
ولا يبلغ بك زاهد الملت الي أن تخيق بك معنى الدنيا ، ورأيتك تشكو لفلان
وتتألم من فلان ، وما تقولوه عليك ، ومالك عدو أكبر من لسانك ، فما طماع
بك فيره ، فما قطعك قبل أن يقطعك " .^(٣)

كان الداخل يقوم بمهمة الكتابة بنفسه على الرغم من وجود عدد من
الكتاب الذين كتبوا له ، وذلك في الحالات التي يرى أنه لابد أن يتولى

(١) ابن عذاري ، البيان المغرب ٢/ ٤٨ .

(٢) المقرئ ، نفع ، ٣ / ٤٠ .

(٣) المعذر نفسه ، ٢ / ٤١ .

الكتابة بنقله ، فليمان بن يلفان الاعرابي كان من أخطر الشوار عليه لاستعانتة بقوة خارجية ، و هو ، النصارى ، أما بدر مولا ، فكان له دور مشهود في كل الاتصالات التي جرت بين الداخل ، وبعض موالى الامويين في الاندلس ، قبل أن يأتى الداخل الى الاندلس ، وماهم مساهمة كبرى لسي كل الاحداث ، التي تمت قبل أن يتولى الامير عبد الرحمن الامارة ، السان تولاه ، لذلك أراد الادلال بموقفه هذا عليه ، فجاءت ردوده حاصلة له ، وكتاباتة بليغة ، وقاطعة ، مما أفقد بدر الامل في استرداد موقعه الذي قلده نتيجة سوء تصرفاته .

• • •

ومن كتب عبد الرحمن الاوسط كتابه الى أهل جزيرتي " ميورقة ومنورلة " الذين كتبوا اليه يشكون من نكاية المسلمين بهم فرد عليهم قائلا : أما بعد فقد بلغنا كتابكم ، تذكرون فيه امركم ، واثارة المسلمين الذين وجهناهم اليكم لجهادكم ، واصابتهم ما أصابوه منكم من ذرائعكم وأموالكم ، والبلغ الذي بلغوه منكم ، وما أثبتتم عليه من الهلاك . وسألتم التدارك لامركم ، وقبول الجزية منكم ، وتجديد مهادكم على الملازمة للطاعة والنصيحة للمسلمين والكف عن مكروهم ، والوفاء بما تعملونه من أنفسكم . ورجونا أن يكون فيما موابتكم به ملاكم وقمعكم من تعود الى مثل الذي كنتم عليه . ولقد اعطيناكم عهد الله وذمته " .^(١)

لقد كانت الكتابة أهم وسيلة اعلامية تستطيع الدولة أن تبلغ بها ما تريد ابلاغه ، من اوامر ونواهي ، وعهود ومواثيق ، وغير ذلك ، وقد كتب اهل هاشين الجزيرتين يشكون الى الامير عبد الرحمن ، نكاية المسلمين بهم ، فكتب اليهم كتابا ، أوقف بموجبه حرب المسلمين لهم والكف عن أذاهم على ان يلتزموا بأداء الجزية .

(١) ابن عذارى ، البيان المفرب ، ص ٨٩ / ٢ .

ومن التوقيعات البليغة أيضا ، ماوقعه الأمير عبد الله
 لأحد مماليكه الذي اعتذر إليه مما وقع فيه من تقصير ، فوقع
 له "وان مخايل الأمور لتدل على خلاف قولك ، وتنبئ من باطل
 تملك ، ولو يؤت بذنبك ، واستغفرت لجرمك لكان أحسن لك ،
 وأسدل لستر العفو عليك" .^(١)

ومن كتب الناصر التي انطرد بها كتابه إلى أحمد بن إسحاق القرشي،
 الذي سخط عليه ، وهو يحارب محمد بن هاشم التميمي بمرسلة : " أما بعد ؛
 فإنا كنا نرى الاستعانة اليك استملاحا لك ، فأبى الطبع الطريز إلا ما
 استحکم منه فبك ... فالقدر يطلعك والغنى يطفئك ، إذ لم تكن عرفت—
 ولا تموت ، أو ليس كان أبوك فارسا من فرسان ابن حجاج ، أضهم حالا عنده
 وأنت يومئذ نحاس الحمير بأشبيلية ، فأقبلتم إلينا فأويناكم ونسركم ،
 وشرناك ومولناك ، واستوزرنا أباك ، وقلدناك أمة الخيل أجمع ، وفوضنا
 اليك أمر ثغرنا الأعظم ، فتهاونت بالتنفيذ لنا وقلة المبالاة بنا ، ثم
 مع هذا الترشع للخلافة فبال حسب أو أي نسب " .^(٢)

وكتب الناصر إلى محمد بن عبد الرحمن المعروف بالشيخ الذي امتنع
 عليه بحمن لقنت " : ولما رأيناك قد تذرمت باقهار اتقاء الله رأينا أن
 نعرفي عليك أولا ما لا بد لك منه أخرا ، وليس من أطاع بالمقال كمن أطاع بعد
 العمل " . فما كان منه إلا أن بادر مستظما إلى قرطبة .^(٣)

وكتب إليه ابن عمه سعيد بن المنذر وهو حاصر لابن حفصون يذكر له
 تلون ابن حفصون ، فأجاب بكتاب جاء فيه : " مهما تحققت من قدر بشي
 حفصون ومكرهم فرد فيه بصيرة وأثبت على تحقيقك ، ومهما كنت فسير فلنك
 تحقيقا ، فاضهم شجرة نفاق ، اطلها وفروعها تسقى بماء واحد ، فاعجز فيهم
 الحسام والدعة فالعيون اليهم تنظر والأذان نحوهم تسمع ، فمضى استنزلتهم
 من معقلهم أعناك ذلك عن مكايده فيهم " . فلم يزل بهم حتى قلب عليهم .^(٤)

(١) ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ص ٢٦ .

(٢) مجهول ، أخبار مجموعة ، ص ١٢٨ .

(٣) ابن سعيد ، المغرب في حلى المغرب ١٠ / ١٨٤ .

(٤) المصدر نفسه ١٠ / ١٨٤ - ١٨٥ .

ملاحظ انه كان للكتابة اجرا نفسيا قويا على الجهة
الموجه اليها الكتاب . فقد كان للعبارات القوية والمختصرة
التي وجهت الى الشيخ الممتنع بحسن لفت . اثرها في ان
يسارع ويبادر الى الاستسلام بقرطبة . كما كان لكتاب الناصر
الموجه الى ابن عمه اثر كبير في ان يعبر على محاصرة بني
حلمون ، حتى تمكن من هزيمتهم .

ومن الكتب السياسية القوية ، ذلك الكتاب الذي وجهه
الخليفة الحكم المستنصر الى نزار العبدي ، صاحب مصر الذي^(١)
كتب الى المستنصر يمينه ويهجوه ، فرد عليه الحكم : " اما
بعد : فانك قد مرفتنا فحجوتنا ولو مرفناك لاجبتنا والسلام "
فاشدد ذلك على نزار وافحمه عن الجواب .^(٢)

هذه بعض النماذج لمكاتبات الدولة الرسمية خلال هذه
الفترة . وقد ظلت الكتابة الديوانية بسيطة خالية من السجع
الذي شاع استخدام في الكتابة الديوانية في الاندلس ،
وتميزت به الفترة الخالية لعمر الخليفة الحكم المستنصر .^(٣)

ثانيا : خط البريد .

البريد كلمة فارسية معناها "بريد ذئب" وعربت الكلمة فسمى
البلبل بريدا ، والرسول الذي يركبه بريدا ، والمماثلة التي بعدها

(١) نزار العبدي : ابو المنصور نزار الملقب العزيز بالله ، ابن المعري المنصور ابن القائم بن المعدي تولى الامر بعد وفاة ابيه المعز سنة ٣٦٥هـ وتوفي سنة ٣٨٦هـ .

ابن خلكان : ابو عباس احمد بن محمد بن ابي بكر (٦٨١هـ -) وفيصاات الاميان والنباء ابشاء الزمان ، تحقيق د. احسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ٢٧١/٥ وما بعدها .

(٢) ابن خلكان ، المصدر نفسه ، ص ٢٧٢ .

(٣) انظر د. شوقي سيف ، تاريخ الادب العربي - عصر الدول والامارات (الاندلس) ، ص ٢٩٣ ، د. احسان عباس ، تاريخ الادب الاندلسي - عصر سيادة قرطبة ، ص ٣٢٨ .

بريداً ، اذ كان يرتب في كل سكة بريداً ، وبعد ما بين
(١)
الكتيب فرسخان .

والبريد في الاصطلاح : هو جعل خيل مضمرات في عدة اماكن ، فاذا وصل
صاحب الخبر المسموع الى مكان منها ، وقد تعب فرسه ، ركب غيره فرساً
(٢)
مستريحاً ، وكذلك يفعل في المكان الاخر والاخر حتى يصل في اصرع وقت ممكن .

ومعلوماتنا من البريد في الاندلس غنية للغاية ، على الرغم من
ضعف الاحداث في الاندلس ، والتي كانت تتطلب بلاشك شبكة بريدية منتظمة ،
لنقل الاخبار من اقاليم الدولة المختلفة ، الى العاصمة قرطبة . فقد
اهملت المصادر الاندلسية الحديث عن البريد اطلاقاً يكاد يكون تاماً ، وحتى
ابن حيان مؤرخ الاندلس الذي له اهتمام كبير بالنظم الاندلسية ، لم يبدأ
الا بمعلومات قليلة لا تكفي لتكوين صورة متكاملة عن نظام البريد في
الاندلس .

قال ابن حزم الاندلسي : " اما البريد فيلزم الامام ان يرتب لوما
من لسان الجند ، ويقدم عليهم رجلاً منهم موثقاً من اهل السياسة ، والدلالة
في الطرق والتبصر بالقبائل ، يزيد في اربابهم ، ويكونون مرشدين في كل
قاعدلاً من قواعد بلاده " (٣)

وبهم من خلال ما ذكره ابن حيان ، أن الدولة الاموية في الاندلس ، قد
اهتمت بنظام البريد منذ وقت مبكر من تأسيس الدولة . فقد كانت هناك

(١) الخوارزمي ، مفاتيح العلوم ، طباعة دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان
(بدون تاريخ طبع) ص ٤٢ ، .

(٢) ابن طباطبا ، الفخرى في الآداب السلطانية ، ص ١٠٦ .

(٣) ابو علي محمد بن سعيد بن حزم ، (شذرات من كتاب السياسة) مستخرجة
من مخطوطة الشهب اللمعة في السياسة النافعة المعروف بحياة ابي
رضوان ، ص ١٠٢ ، نشره محمد ابراهيم الكتاني ، في مجلة تطوان المغربية
العدد الخامس ، ١٩٦٠م .

دارا للبريد أنشأها الأمير عبد الرحمن بن معاوية (الداخل) ، وكانت هذه الدار تقع بقريى قصر الرطبة وفى صدر سوقها • وقد أمر الخليفة الحكم المستنصر فى سنة ٥٣٦١ هـ / ١١٧١ م بنقل هذه الدار من مكانها إلى دار الروامل التى بالمحارة •^(١)

وهذه اشارة واضحة تدلنا على اهتمام الامويين بأمر البريد منذ تأسيس دولتهم • ويبدو أن موقع الدار صار غير مناسب نتيجة للاتساع لى المباني ، فأصدر الخليفة الحكم المستنصر أمرا بنقلها من مكانها إلى مكان آخر •

وكانت هذه الدار قد احترقت فى سنة ٥٣٢٤ هـ / ١١٢٥ م ضمن الحريق الذى أصاب سوق الرطبة ، فأمر الناصر بإعادة بناء دار البريد على رسم رسمه دل على لعل معرفته وحكمته ، فسما بناؤها ، ونصبت أبوابها على ماعد ، وولعت فولها عليه تولى عليها ويؤمن معها الاقرار •^(٢)

ويرجع الى عبد الرحمن الداخل أمر تنظيم البريد وجعله ميسورا معتمرا بين الرطبة وبقية المدن والاقاليم ، وجعل للبريد محطات ولرسانا تختص به ، وأصلح طرق المواصلات الرومانية القديمة لتيسير مهمته •^(٣)

وكان للبريد دور بارز فى ضم الخارجين على سلطان الدولة ، فالخليفة الحكم بن هشام (الرضى) ١٨٠ - ٢٠٦ هـ / ٧٩٦ - ٨٢١ م ، كانت له ألف فرس معدة بجانب القصر ، فكلما حمل اليه البريد خبرا بأمر أو خارجى عاجله قبل علمه ، فلا يشعر الا وقد احيط به •^(٤)

(١) المقتبس ، تحقيق د. عبد الرحمن الحجي ، ص ٦٦ •

(٢) ابن هبان ، المقتبس ، تحقيق ب. شالميتا ، ص ٢٨٢ •

(٣) ابراهيم ياحر الدورى ، عبد الرحمن الداخل فى الاندلس ، دار الرشيد - بغداد - ١٩٨٢ م ، ص ٢٧٢ •

(٤) ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ١٤ •

ومهد الخليفة الحكم المستنصر الى الوزير القائد ،عالميسر بن
عبد الرحمن عند فتحه لحصن الكرم بالعدوة ،ومحاربة حسن بن قنوص ، ان
يرتب البريد قبله ،وان يرتب في المعسكر لديه ،بمدينتي طنجة وأميلا
سماها مايراه الوزير القائد كافيا بالركض بالاخبار لانتظام الناحية ،
لتسجل باتخاذ الدواب لها ،وتعهد الى الخارجين بالمعسكر عنه بدفع اجر
خدمته لكل شهر ،والى الخان باجراء العلوقة على الدواب والخلفة على
الطرائق (١)
الطرائق .

ووردت اليها أسماء بعض الشخصيات التي تولت خطة البريد في عصر
الإمارة والخلافة مثل بدر بن أحمد الذي ولاه الأمير عبد الله خطة البريد
فمن خطط أخرى ،وقد استمر بدر واليا على البريد حتى في عصر الأمير
عبد الرحمن بن محمد (الناصر) . (٢)

ومن الذين تولوا هذه الخطة " خلف " صاحب البريد ،والتي كانت
داره بالجرف ، و " شنيف " صاحب البريد في عصر الناصر ، و " طاسق " (٣)
صاحب البريد والطراز في عصر الحكم المستنصر . (٤)

وذكر الرحالة ابن حوقل أن في كل مدينة من مدن الأندلس مخلفين
على رفع الاخبار يقال لاحدهم مخلف . (٥)

وكانت مهمة هؤلاء المخلفين على ما يبدو ،هي تزويد العاصمة قرطبة
بالاخبار والمعلومات التي تحدث في المدن الأخرى ،ولايتأتى ذلك الا في ظل
نظام بريدى منتظم ،وشبكة واسعة تتولى نقل هذه الاخبار الى العاصمة بسرعة
وانتظام .

- (١) ابن حيان ،المقتبس ،تحقيق الحجي ،ص ١٣٦ ،والفرائق ،هو القائم بأمر
البريد ،المصدر نفسه ،ص ٩٠ ،هامش رقم (٢) ،أو الحامل للخراطة .
الخوارزمي ،مفاتيح العلوم ،ص ٤٢ .
(٢) ابن الأبار ،الحلة السيراء ،ج ١ ،ص ٢٥٢ .
(٣) ابن عذارى ،البيان المغرب ،٢ / ١٥٩ .
(٤) ابن جليل الأندلس ،طبقات الأطباء ،ص ٩٢ .
(٥) المصدر نفسه ،ص ١٠٢ - ١٠٣ .
(٦) ابن حيان ،المقتبس ،تحقيق الحجي ،ص ٦٣ ، ١١٩ ، ١٢٣ .
(٧) ابن حوقل ،صورة الأرض ،ص ١١١ .

يتضح مما سبق أن خطة البريد كانت من الخطط التي أولاها الأمويون في
الاندلس عنايةهم البالغة ، فعلى الرغم من قلة المعلومات الواردة عن
البريد في المصادر الاندلسية ، إلا أنها تكشف لنا أنه كانت هناك شبكة
بريدية منتظمة ، استخدمتها الدولة عبر ممراتها المختلفة لنقل المعلومات
والأخبار بين أقاليم الدولة المختلفة ، والعاصمة قرطبة .

وقد شهدت الدولة الأموية بالاندلس اضطرابات كثيرة بين الحين والحين
عبر ممراتها المختلفة ، ولم تهدأ هذه الاضطرابات إلا بمجنء عبد الرحمن
الناصر وكانت تلك الأحداث تتطلب بلا ريب أن تكون العاصمة مرتبطة بالأقاليم
ارتباطاً وثيقاً لمعرفة كل ما يدور فيها .

ثالثاً : خطتا الشرطة والمدينة :

من الخطط التي لصاحبها سلطة اصدار الاحكام في الاندلس ، الخطط
الشرطة والمدينة .^(١)

أولا الشرطة :-

- الشرطة في اللغة :

أشرف فلان نفسه لكذا وكذا : أعلمها له وأمرها ، ومنه من الشرطة
لأنهم جعلوا لأنفسهم علامة يعرفون بها ، الواحد شرطة وشرطي والشرطة ليس
السلطان : من العلامة والامداد . ورجل شرطي وشرطي منحوب الى الشرطة ،
والجمع شرط ، سموا بذلك لأنهم اعدوا لذلك وأعلموا أنفسهم بعلامات .^(٢)

(١) ابن سهل : أبو الاصبغ عيسى بن سهل الاسدي ، الاحكام الكبرى ، مخطوط

برقم ٢٠٠ ، معور بالميكرو فيلم ، مركز البحث العلمي ، جامعة أم القرى

ص ٢٠ .

(٢) ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٧ ، ص ٢٢٩ ~ ٢٣٠ .

وقال الزبيدي : والشرطة أيضا طائفة من أعوان الدولة
معروفة .^(١)
الشرطة في الاندلس :

تشير بعض المصادر الى أن صاحب الشرطة هو صاحب المدينة نفسه ،
فابن سعيد يقول : " وأما خطة الشرطة بالاندلس فإنها مضبوطة الى الآن
معروفة بهذه السمة ، ويعرف صاحبها في آلن العامة بصاحب المدينة
وصاحب الليل ، وإذا كان عظيم القدر عند السلطان كان له القتل لمن
يجب عليه دون استئذان السلطان ، وذلك قليل ، ولا يكون الا في حجرة السلطان
الاعظم وهو الذي يحد على الزنا وشرب الخمر ، وكثير من الأمور الشرعية
راجع اليه ، ولقد صارت تلك عادة تقرر عليها رضا القاضي .^(٢)

وأكد ابن سعيد على أن صاحب الشرطة هو صاحب المدينة عندما ذكر
أن الأمير عبد الرحمن الأوسط : " هو الذي ميز ولاية السوق من أحكام
الشرطة المعماة بولاية المدينة ، فأفردا ومير لواليتها ثلاثين ديناراً في
الشهر ولوالى المدينة مائة دينار " .^(٣)

وعلى الرغم من الارتباط الوثيق بين صاحب الشرطة والمدينة ، إلا أن
صاحب الشرطة يختلف من صاحب المدينة ، لأن كثيراً من النصوص تشير الى
صاحب للشرطة وصاحب للمدينة في وقت واحد . وقد ذكر ابن سهل في النص
الذي ذكرناه سابقا صاحب الشرطة وصاحب المدينة ، فمن الأحكام الستة
الذين تجرى على أيديهم الأحكام .^(٤)

ويرى د. محمد عبد الوهاب خلاف : أن صاحب المدينة هو الذي يرأس صاحب
الشرطة ، وهو الذي يستخدم سلطة جهاز الشرطة في التحقيقات المدنية .^(٥)

- (١) الزبيدي ، صاحب الدين أبو الفيض الحسيني (ت ١٢٠٥هـ) تاج العروس من جواهر
القاموس ، مصر ١٣٠٦هـ ، ٥ / ١٧٧ .
(٢) ابن سعيد برواية المقرئ ، نفع الطيب ١٠ / ٢١٨ .
(٣) المغرب في حلى المغرب ١٠ / ١٤٦ .
(٤) ابن سهل ، الأحكام الكبرى ، مخطوط ، ص ٢ .
(٥) د. خلاف ، صاحب الشرطة في الاندلس ، مقال بمجلة أوراق - المعهد الاسباني
العربي - مدريد - العدد الثالث ، ١٩٨٠م ، ص ٧٢ .

ومعايوكد لنا أن صاحب الشرطة غير صاحب المدينة مادكره ابن حيان
أن صاحب المدينة كان يحجب الحكم المعتنصر عن ذات اليمين في الاحتفالات
الرسمية ويجلس تحته أصحاب الشرطة .^(١)

وأشار ابن عبيد إلى خطة أخرى لها علاقة بحفظ الأمن والنظام وهي
خطة الطواف بالليل ، وقال أنهم : " يعرفون في الاندلس بالدرايين ، لأن
بلاد الاندلس لها دروب بأغلاق تغلق بعد العتمة ، ولكل رفاق باثت فيه ، له
سراج معلق وكلب يسهر ويلاح بعد ، وذلك لشطارة عامتها وكثرة شرهم ،
واقياهم في أمور التلصص " .^(٢)

وأرى أن هذه الخطة تتبع للشرطة ، وتقع تحت إشرافها المباشر ،
لهؤلاء الدرايين هم عبارة عن (دوريات) مكلفة بمهمة الحراسة الليلية
في الأزقة والدروب في المدن . ويبدو أن المجتمع الاندلسي الذي كان
خليطاً من شتى الاصناف يمج بعدد كبير من الأشرار واللصوص ، فوضعت خطة
الطواف بالليل لمراقبة الأزقة والطرق ، ومنع اللصوص والأشرار من
الاعتداء على منازل العامة .

ويعرف الدرايون في المشرق بالعصى ، وبالقيروان بالعصاوي أو
الحراس .^(٣)

ويرى ابن عبدون وجوب أن يكون صاحب الشرطة (الحاكم) رجلاً خبيراً
عظيماً ، فنياً ، عالماً ، متحنكاً في علوم الوشاق ، ووجوه الخصومات ، ويكون
ورعاً لا يرتش ولا يميل ، ويجرى في حكمه وأمره إلى الحق والاعتدال ، ولا يهادي
في الله لومة لائم ، ويكون أكثر جريه في حكمه إلى الإصلاح بين الناس
ويضرب له في بيت المال أجرة ، تقوم به لاستلزامه ذلك وتركه ما يلزمه من
معيشته والنظر في أموره .^(٤)

(١) المقتبس ، تحقيق الحجي ، ص ٨١ .

(٢) نفع الطيب ، ١ / ٢١٩ .

(٣) محمد الشريف الرحموني ، نظام الشرطة في الاسلام ، الدار العربية للكتاب

١٩٨٢ م ، ص ١٧٣ .

(٤) ابن عبدون ، محمد بن أحمد بن عبدون ، رسالة في القضاء والحكمة ، ضمن
ثلاث رسائل اندلسية في آداب الحكمة والمحتجب ، تحقيق ليلى بروفنسال

القاهرة - ١٩٥٥ م ، ص ١١ .

ونظرا لأن صاحب الشرطة هو الذى يتولى التحقيق فى القضايا فقد اشترط فيه هذه الشروط حتى لا يفسر أحد منه .

وحدد ابن عبدون لصاحب الشرطة مكان حكمه ، ورأى أن يكون فى المسجد الجامع ، أو أى موضع آخر يحدد له الحكم فيه ، ولا يحكم فى بيته لأن ذلك مدعاة لدخول أهل الباطل عليه ، كما أنه لا يحكم فى القضايا الكبرى التى هى موضع لفرجة للخصماء ، ولعن يطلب الأباطيل من الناس ، وعليه أن يحضر مجلس القاضى كل يوم ، ويستشير به فى القضايا الكبرى التى تقابله ، ويكون تحت رقابة القاضى بصفة مستمرة .^(١)

أنواع الشرطة :

(٢) وتنقسم الشرطة فى الأندلس الى نوعين : شرطة كبرى وشرطة صغيرة ، واستمرت كذلك الى أن استحدث الناصر لدين الله خطة الشرطة الوسطى فى سنة ٤١٧ هـ / ٩٢٩ م ، يقول ابن حيان : " فيها اخترع الناصر لدين الله فى خطة الملك خطة الشرطة الوسطى بين الشرطتين العليا والسفلى ، ولم تكن قبله ، فكان أول من رسمها وثلاث مدها ، ولم يكن قبله سوى اثنتين ، فتعرفت فى دولته واستمرت بعده ، وترتب رزقها وسطا بين العليا والسفلى " .^(٣)

أما الشرطة السفلى فيبدو أنها قد استحدثت فى أغريبات عصر الأمير الحكم بن هشام ١٨٠ - ٢٠٦ هـ / ٧٩٦ - ٨٢١ م . فقد ذكر القاضى عيسى أن حارث بن أبى سعد كان مفتيا فى آخر أيام الحكم بن هشام ، وهو جد بنى حارث بقرطبة وهو أول من ولى الشرطة السفلى بالأندلس ، ولم يزل عليها الى أن توفى فى سنة ٢٢٢ هـ / ٨٣٦ م . وبعد وفاته ولى الأمير عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦ - ٢٢٨ هـ) ابنه محمد بن الحارث أحكام الشرطة السفلى مكانه .^(٤)

(١) ابن عبدون ، المصدر السابق ، ص ١١ .

(٢) ابن خلدون ، المعقّدة ، ص ٢٥١ .

(٣) ابن حيان ، المعقّبة ، تحقيق شالميتا ، ص ٢٥٢ ، وانظر ابن عذارى ، البيان

المغرب ٢ / ٢٠٢ .

(٤) عياض ، ترتيب المدارك ، ج ٣ ، ص ٢٢ .

(٥) ابن الفرضى ، تاريخ علماء الأندلس ، ترجمة ١١٠٥ .

وولى الحكم المستنصر، على بن محمد بن أبي الحسين الشرطة المفرى
مجموعه له الى عمل القضاء بالتغر، ويبلغ رزقه ثلاثين ديناراً (١)
أما محمد بن عبد الله بن أبي عامر فقد كان يلى للحكم المستنصر
الشرطة اضافة الى الحكمة والقضاء باشبيلية وكثيراً من الخطط الاخرى (٢)

وكان يعهد إلى صاحب الشرطة في عصر الناصر بعض المهام العسكرية،
فقد أمر الناصر صاحب الشرطة القائد دري بن عبد الرحمن مولاة بالذهاب
الى ابن الزيات الخارج بالجزيرة، وكان يعيد الشاوي الفلاله حليفاً
لآل حطون الفسقة . فلما أن والى عليه دري بعسكرى خرج هارباً أمامه،
فدوخ دري ناعيته، وفخر في وجهه هذا (بهابل) أحد نواد ابن حطون،
وسبعة من اصحاب النصارى الذين أتوا معدين لابن الزيات على رأسهم دري
وأوثقهم بالحديد، وقدم بهم لربطه، فطلبوا في المرح بالشط أسفل باب
القصر (٣)
تطور خطة الشرطة :

وتطورت خطة الشرطة تطوراً كبيراً في عصر الحكم المستنصر، فأصبح
صاحب الشرطة قائداً للبحرية، فقد كان عبد الرحمن بن رماح هو صاحب
الشرطة العليا وقائد البحر (٤)

وكان صاحب الشرطة العليا يتولى قيادة المواقف أحياناً، ففي سنة
٥٣٦١ / ٩٧١م، قاد صاحب الشرطة العليا مائتة هذه السنة لتتبع الجبار
المجوس الأرمانيين (٥)

ولى النصف من شعبان سنة ٥٣٦٢ / ٩٧٢م، أنفذ الخليفة الحكم
المستنصر صاحب الشرطة الوسطى والمواريث، محمد بن عبد الله بن أبي عامر

- (١) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص ٨١ .
- (٢) المعتمد نفسه، ص ١٦٩ - ١٧٠ .
- (٣) ابن حيان، المقتبس، ج ٥، ص ٢٦٢ - ٢٦٤، ابن عذارى، البيان، ٢٠ / ١٩٤ .
- (٤) ابن حيان، المعتمد السابق، تحقيق الحجي، ص ٨٠، ٨١ .
- (٥) المعتمد نفسه، ص ٩٢ - ٩٣، وانظر ابن عذارى، البيان، ٢٠ / ٢٤١ .

ومصاحب الشرطة الصفري قائد الثغر الأعلى محمد بن عبد الله بن أبي الحسين، والخازن أحمد بن محمد الكلبي، إلى مدينة أحيلا بالعدوة، أمناء^(١) وممتنعين على القواد بها وأمر إليهم بأشياء يفضونها قمضوا لسبيلهم.

ولم صاحب الشرطة العليا الناظر في الحشم قاسم بن محمد بن طملى في سنة ٣٦٣ هـ / ٩٧٣ م، بالخروج في كتيبة من الخيل إلى مدينة أشبيلية للقبض على قوم من مجرمي أهلها، الذين قتلوا السجن بها، وعصوا السلطان وكان السلطان قد أمر عامله عليها بضمهم إلى السجن لكثرة تخليطهم والخوف منهم، فلما أميا الخليفة أمرهم أرسل إليهم صاحب الشرطة العليا لتتبعهم والقبض عليهم، وقد تم له ذلك إذ قبض عليهم جميعا، وأفلست واحد منهم من القبض وأحضرهم إلى قرطبة فسجنوا بالزهرارة^(٢).

وكان هناك عدد من أصحاب الشرطة في عصر الخليفة الحكم، وكان يبعث بهم إلى أهل الكور لاستئصال الناصر للجهاد، ففي سنة ٣٦٤ هـ / ٩٧٤ م: أخرج الحكم عدة من أصحاب الشرطة وكبار رجال المملكة إلى كور الاندلس معركين لأهلها في ارتباط الخيل المبتعدة للنفور مع جيش المائتة الأرب تجريدها في هذه السنة على العادة، منذ انتكاث أكثر طوائف الجلائفة في هذا الوقت وجيشانهم على أهل الثغر الشرقية، فجردا الحكم أحدا أصحاب الشرطة العليا وبعث به إلى كور الجوف، وبعث بصاحب الشرطة العليا الآخر وقائد البحر إلى كور الشرق، وكذلك بعث بأحد أصحاب الشرطة العليا إلى شنترين وذواتها، كما بعث بصاحب الشرطة الوسطى إلى بقية كور الجوف والشرقية في نفر مواهم^(٣).

وكان يعهد إلى صاحب الشرطة العليا بالقبض على كبار رجالات الدولة الذين توجه إليهم بعض التهم، مثلما عهد الخليفة المستنصر إلى أحد

(١) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص ١٠٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٧٠.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢١٦.

أصحاب شرطته العليا القبط على ابن خال أبيه الخليفة الناصر لدين الله
 لأمر إنكره عليه ، فلقعد صاحب الشرطة العليا داره ، وبين يديه عرسلًا
 المحارس وعدة من الفرسان والفرانقين والشرط ، فقبض عليه وقيدته وأرسله
 إلى باب الحدة بقصر الزهراء ، وسجن ببيت العمال على باب الجنان ، ولم
 يزل محبوسا إلى أن عفى عنه الخليفة ^(١) . ويظهر من ذلك أن صاحب الشرطة
 العليا كان تحت تصرفه عدد من الأعوان مثل عرفاء المحارس ، والفرانقين
 والفرسان والشرط .

لقد توسعت اختصاصات صاحب الشرطة في عصر الحكم المستنصر بدرجة
 كبيرة ، فلم يعد اختصاصه ينحصر في مجال الأمن الداخلي فقط ، وإنما
 أُنذرت إليه مهام كبرى في داخل الدولة وخارجها مثل قيادة الحوافض ،
 وملاحقة أعداء الدولة المتربصين بها من النصارى وغيرهم ، ومتابعة أوضاع
 الولايات التابعة للخلافة بالمغرب ، واستنظار الناس للجهاد ، والحرب على
 أيدي المجرمين العابثين بأمن الدولة في داخل البلاد في مناطق الاندلس
 المختلفة .

وفي عصر المستنصر أيضا ، كان صاحب الشرطة ينظر في قضايا الزندقة
 والالحاد ويحكم فيها بنفسه مثلما حدث في قضية الملحدين أبي الخير ، لقد
 شهد عند قاسم بن محمد صاحب أحكام الشرطة بقوطبة ، أربعة وأربعون
 شاهدا ، بأنواع من الكفر ومنوف من الالحاد والفواحش على حين أبي الخير
 وبحضره ، وعرفوه حتى شهدوا عليه بما ذكر عنهم من شهاداتهم فقبل قاسم
 بن محمد صاحب الشرطة شهادة ثمانية عشر شاهدا من هؤلاء الشهود ، وأجازها
 لمعرفته بهم ، وثبتت بهم عنده ما شهدوا به ، وشاور من حضره من الفقهاء

(١) ابن هبان ، المقتبس ، تحقيق الحجي ، ص ١٥٣ .

(٢) قاسم بن محمد بن قاسم بن محمد بن قاسم بن محمد بن ميار . كان
 معتزيا بحفظ رأى مالك وأصحابه ، بعيرا بعلق الشروط شافدا فيهما
 تصرف في القضاء بكورة أستجه والبره ثم ولاه الحكم المستنصر الشرطة
 وقضاء كورة اشبيلية وكان محمودا فيما تولاه . ابن الطريفي ، تاريخ
 علماء الاندلس ، ترجمه رقم ١٠٧١ ، ٢ / ٦١٥ - ٦١٦ .

في هذه القضية ، فأجاب بعضهم بأنه ملحد كافر يجب قتله من غير أن يعذر اليه بعد أن ينهى بذلك إلى الخليفة الحكم ، وأشار بعض أهل العلم بأن يعذر اليه في ذلك ، فأخذ صاحب الشرطة قاسم بن محمد برأى من قاتل بقتله دون امدار ، وكتب بذلك إلى الحكم المستنصر الذي أقره فيما ذهب اليه (١) فأمضى ذلك فيه وأمر بطلبه فضا لله ولكتابه ولرسوله .

هذه واحدة من القضايا التي كان صاحب الشرطة في الاندلس ينظر فيها وهي قضية الحاد أبي الخير الذي شهد عليه عدد كبير من الشهود بذلك الاغالة إلى الزندقة ، ويبدو أن هذا الامر تكرر منه بصورة ملحوظة وتأذى منه الناس ، ولذلك رأى صاحب الشرطة بعد أن استشار أهل العلم بأن يقتل دون امدار ، ووافق الخليفة فيما ذهب اليه ، فقتل أبو الخير وطلب ليكون عظة لغيره من الناس .

ومما سبق عرفه من خطة الشرطة يتضح لنا أنها كانت خطة متقلبة بذاتها من خطة المدينة ، وليست خطة الشرطة هي المدينة كما ذكر ابن عبيد . وليست هناك خطوطا أو فواصل واضحة نستطيع ان نميز بينهما ، ولكن على كل حال فان صاحب المدينة هو الذي يرأس صاحب الشرطة .

صاحب المدينة :

(٢)
صاحب المدينة هو حاكمها . وكان بمثابة الحاكم والمشرع على الامن العام فيها ، وكان اصحاب الشرطة الثلاث : العليا والوسطى والمنخفضة يأتسمون بأمره ، ويخضعون له وان لم يكن هناك حتى الآن تمييز واضح بين اختصاصات صاحب المدينة وأصحاب الشرطة المذكورة . (٣)

(١) التونشريس ، أحمد بن يحيى المتوفى سنة ٩١٤هـ ، المعيار المغرب والجامع

المغرب من فتاوى علماء أفريقية والاندلس والمغرب ، أشرف على نشره

د. محمد حجي مدار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠١هـ ، ج ٢ ، ص ٢٢١ - ٢٢٢ .

(٢) ابن الأثير ، الحطية الجبراء ، ص ٢٢٣ ، هامش ٢ .

(٣) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د. محمود علي مكي ، ص ٢٧٥ - ٢٧٦ ، حاشية

واشترط ابن عبدون فيمن يتولى المدينة أن يكون رجلا مفيها ، فليها شيئا ، لأنه في موضع الرشوة وأخذ أموال الناس ، وربما فجر ان كان شابا شريفا . ويجب للقاضي أن يستحلفه في بعض الايام ، ويطلع على حكمه وسيرته ويجب ان لا ينفذ أمرا من الامور الكبار الا بعد أن يعرف القاضي والسلطان بذلك .^(١)

ونلاحظ التشابه الواضح في الشروط التي اشترطها ابن عبدون لكل من صاحب الشرطة وصاحب المدينة .

وخطة المدينة من الخطط التي ظهرت في عصر الأمير عبد الرحمن الأوسط ، ربما كان عبد الواحد بن يزيد الاسكندراني من أول من عهد اليهم بمنصب صاحب المدينة ، فكثير من الخطط بدأت في الظهور والتبلور في عصر الأمير عبد الرحمن الأوسط . وقد تحدث ابن حيان عن علاقة عبد الواحد الاسكندراني بالأمير عبد الرحمن فقال : " ثم استخدمه ونقله من منازل الخدمة حتى حوله المدينة ، ثم رقيه الى الوزارة والقيادة " .^(٢) والأمير عبد الرحمن الأوسط هو الذي سيز ولاية السوق من ولاية المدينة وجعل لوالى المدينة مائة دينار في الشهر .^(٣)

وفي عصر الأمير محمد بن عبد الرحمن ٢٢٨ - ٢٧٢ هـ ، وفي المدينة الوزير أمية بن عيسى ، ثم الوليد بن غانم ، وكان الأمير محمد يديل بينهما في ولاية المدينة لمعرفته بفألهما ، إذ كانا لا ينفذان في أحكام المدينة ، والأمور العظام فيها ، إلا بما وافق الحق . " فكانت الرمية لهما على^(٤)

(١) رسالة في آداب اللطاء والحصبة ، ص ١٦ .

(٢) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د. محمود علي مكي ، ص ٢٧٥ - ٢٧٦ .

(٣) المصدر نفسه ، ط بيروت ، ص ٣١ .

(٤) ابن سعيد ، المغرب ، ١ / ١٤٦ .

(٥) ابن الطوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٩٨ ، ابن حيان ، المقتبس

غاية التجلة والرهبة ، وأمور السلطان فيما يليانته تجرى على طريق
الساداد والاستقامة " .^(١)

وقد ذكر للوزير أمية بن عيسى صاحب المدينة أن الوزير هاشم ابن
عبد العزيز طالب رجلا في دار تجاوره فامتنع عليه فحبسه في داره ، فما
كان من أمية بن عيسى والى المدينة إلا أن دخل بيت الوزارة وقال لأصحابه
" بلغني أن بعضهم منعه جاره داره فحبسه عند نفسه ، وبالله لئن صح
هذا عندي لأركبن إلى الدار ولأعيرن على من فيها ولأهدمها ، فأرعد هاشم
في فراشه ، ودعا بوصيفه وقال له : اقطع إلى الدار وأطلق المحبوس " .^(٢)

ونستنتج من ذلك أن صاحب المدينة كانت درجته تعدل درجة وزير ،
كما أن لصاحب المدينة السلطة في حكم القضاة التي تتعلق بالدور
باعتباره حاكم المدينة ، وكان أمية بن عيسى يتمتع بنفوذ كبير وشخصية
لوية جعلته يهدد الوزير المتنفذ هاشم بن عبد العزيز الذي حاول إرغام
أحد جيرانه على ترك داره له ، ولكنه امتنع عن ذلك فحبسه ، ثم اضطر إلى
إطلاقه تحت تهديد الوزير صاحب المدينة أمية بن عيسى .

وكان من مهام صاحب المدينة تحصيل العشور من الناس في وقت الحصاد
ينفتح ذلك مجازي للفقير الأعرج بن مطروح صاحب الملاة وأميه بن عيسى
صاحب المدينة إذ كانت بينهما جفوة ، وكان أمية بن عيسى إذا مر على
الفقير ابن مطروح وطم عليه جاوبه بما يكره . فأمر أميه بن عيسى أهل
أحدى القرى بالتعدي على ضيعة ابن مطروح وقت الحصاد ثم يهبطون إلى
الربطة ويدعون عليه العشور ففعلوا ذلك وأتوا به إلى صاحب المدينة أميه
بن عيسى ودار بينهما حديث فهم منه ابن مطروح خطأ ، واعتذر لصاحب
المدينة - الذي فعل هذا تأديبا له - ورد إليه ما أخذ منه .^(٣)

(١) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د . مكى ، ص ١٧١ .

(٢) ابن القوطية ، تاريخ ، ص ٩٨ ، ابن حيان ، المعتمد السابق ، ص ١٧١ - ١٧٢ .

(٣) ابن القوطية ، تاريخ الفتاح الأندلسي ، ص ١٠٦ - ١٠٧ .

أما صاحب المدينة، الوليد بن هاشم، فقد وافقت مجاعة سنة ٢٦٠ هـ / ٨٧٢م، ولايته للمدينة، فاستدعاه الأمير محمد مع جملة الوزراء وأصحاب المشورة، واستشاره في فرض العشور على الغلات، وتحريك الرعية بذلك، فأجمع الكل على أن يأخذ الأمير الناس بذلك، يؤدونه من مدخور أطعمتهم ولكن الوليد بن هاشم تعدي للأمير محمد وقال له: إنما العشور على الغلات إذا وهبها الله، وجب أدائها لفرقه فيها، وإذا اجتثت أصولها، فلا زكاة على من حرمها، وهذا العام لم تأت الزروع بشيء، فالرأي أن يعذر الناس في ذلك، ولكن الأمير أمر عليه بأن لا يترك الناس دون أخذها من مدخراتهم. فطلب ابن هاشم بيان يعفى من ولاية المدينة فأعفى، وتقدم حدود بن بهيل إلى الأمير محمد، يطلب منه أن يولى على المدينة، ويلتزم بأن يأخذ الناس على ما أَرَادَهُ الأمير، فوله المدينة، وتولى ابن بهيل حفر الناس على دفع العشور، فلما جعل على إيراد الربيع منه، حتى ضرب الناس، وأهلك كثيرا من النفوس، فطغ عليه الناس بالدعاء في كل جمعة، فأمرته الله بفتة، وألقى حديثه في الناس مثلاً. ودعا الأمير محمد الوليد بن هاشم، وأراد إرجاعه مرة أخرى إلى ولاية المدينة، ليصلح ما ألمه ابن بهيل، ولكنه اعتذر أن يكون مكانه ^(١).

وكان على والي المدينة أن ينفذ القتل في بعض الفسقة والزنادقة، كما هو الحال في صاحب الشرطة، الذي نفذ القتل في أبي الخير الزنديقي. ومن ذلك أن ابن أخي عجب، إحدى جوارى الأمير الحكم المحطيات عنده، قد تكلم بعيب من القول في يوم فِيم شهد به عليه، فأمر الأمير عبد الرحمن بحبسه، فألحت عجب على الأمير عبد الرحمن لكي يطلقه، ولكنه امتنع، وقال لها: لا بد من أن نكشف رأي أهل العلم فيه، فأمر صاحب المدينة بإحضار الفقهاء، وشاورهم الأمير عبد الرحمن، فتوقفوا عن طعنه، ووافق بعضهم بقتله، ومنهم ابن حبيب وأصبغ، فأمر الأمير بتنفيذ فتواهم، وأمر صاحب المدينة أن يخرج مع الشيخين ابن حبيب وأصبغ، ومعهم أربعين فلامسا

(١) ابن الطوطية، تاريخ الفتاح الاندلس، ص ١٠٠، ابن حيان، المقتبس

لينفذوا في القاسق ما رأياه . فخرج عبد الملك وهو يقول : س ريسا
مبدناه . ان لم نستمر له إنا لعبيد لسوء . فنفذ فيه الحكم .^(١)

وهذا الحكم مشابه تماما لقضية ابي الخير ، الذي اتهم بالزندقة
والإلحاد في مصر الخليفة الحكم المستنصر ، وقد تولى تنفيذ الحكم فيه
صاحب الشرطة ، وهنا يتولى صاحب المدينة تنفيذ الحكم في قضية مشابهة
معايدل على التداخل والتشابه الشديد بين خطتي الشرطة والمدينة .

وتكررت الشكوى على الأمير عبد الرحمن بولاية المدينة واحدا بعد
آخر ، فأقسم ان لا يوليها لرجل من اهل القرية ، وبعت ممن يستحق هذا من
أهل الكور ، فأشير عليه بمحمد بن الحلم ، ووصف بالحجج والحسن
العقل والشوافع فبعث اليه وولاه المدينة . فلما ركب أول يوم ولاء فيه
المدينة الى القصر ، قيل له : قتل بالقصابين في " شيرة " - سلة كبيرة -
فأمر باحضار القتيل ، ووضعه على الرميح لعل احدا يمر به ممن يعرفه
ثم امر بتقديم السلة اليه فاذا بها " سلة " جديدة ، فأمر باحضار
العشارين ، وسألهم هل يعرفون عمل بعضهم البعض فأجابوا بنعم ، فلما
قدمت اليهم " السلة " قالوا هذه من عمل فلان ، وهو واقف بين الجماعة ،
فأمر بتقديمه ، فقدم اليه ، وقال نعم هذه " الشيرة " اشترأها منسى
بالامس لتي عليه هيئة خدمة السلطان ، ووضعه كذا ، فقال الشرط والمشترون
هذه هيئة فلان الاخرى ، فأمر بالبحث منه ، ومثر عليه ، ووجدت شيئا
القتيل عنده ، فلما بلغ الخبر عبد الرحمن أمر بتوليته الوزارة مع
المدينة ، فلما دخل بيت الوزارة صاروا كلهم تبعاً له في الرأي .^(٢)

كان على والى المدينة أن يكون على درجة من الدكاء والخطبة ،
والدقة في التحري والتثبت في القضايا ، وقد تمثلت هذه الصفات جميعها

(١) القاضي عياض ، ترتيب المدارك ، ٢ / ٢٩ - ٤٠ ، التبايع ، تاريخ لؤة

الاندلس ، ص ٥٥ - ٥٦ .

(٢) ابن القوطية ، مصدر سابق ، ص ٨٤ - ٨٥ .

في والى المدينة الجديد محمد بن العلم ، وكان ذلك أول إخبار له في ولايته ، وصدق كثيرا في تحرياته حتى وصل إلى الجاني بيسر وسهولة .

وفي مصر الأمير عبد الله ، والى له المدينة ، محمد بن وليد بن فاسم ، مع الوزارة ، ووليها كذلك أصبح بن عيسى بن فطيس ، مع الوزارة ، كما وليها النظر بن ملحة^(١) .

ولما والى الأمير عبد الرحمن بن محمد الأمانة ، والى يوم مبايعته موسى بن محمد بن حدير الوزارة ، والى ما كان إليه من خطة المدينة .^(٢)

وكان الناصر لدين الله ، يستخلف صاحب المدينة في قصره ، عند خروجه للخروج ، ويترك معه أحد أبنائه لتولى مهمة إدارة الدولة في غيبته .^(٣)

والى خطة المدينة للناصر ، مدد كبير من الشخصيات على فترات متتالية . لقد كان الناصر دائم الاستبدال لولاته .^(٤)

وفي مصر الحكم المستنصر أصبح هناك صاحب للمدينة بقرطبة ، وصاحب للمدينة بالزهرات ، وذلك بعد انتقال الإدارة الحكومية إلى الزهرات ، وكثيرا ما تقاتلنا عبارة صاحب المدينة بقرطبة ، وصاحب المدينة بالزهرات . ففى سنة ٣٦١ هـ / ٩٧١ م أمر الخليفة الحكم الوزير صاحب المدينة بقرطبة جعفر بن عثمان ، بأن يتقدم إلى أمراء المطب والنزاعل بالوقوف يوما من كل جمعة يمينونه لايتمدونه ، بدور أولاد اخوته الأموات لتعرف أحوال أبنائهم وأهليهم ، ومعرفة أخبارهم ، ورفعها إليه ، ليقابل ذلك بما يستحقونه .^(٥)

(١) ابن هذاري ، البيان المغرب ، ٢ / ١٥٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ٢ / ١٥٨ . (٣) المصدر نفسه ، ٢ / ١٩٣ .

(٤) المصدر نفسه ، ٢ / ١٦٦ ، ١٩٣ ، ١٩٩ ، ٢٠٥ ، ابن حيان ، ج ٥ ، ص ٢١٤ ، ومن هؤلاء الولاء محمد بن عبد الله الخروبي ، عيسى بن أحمد بن أبي عبده ، أحمد بن عبد الوهاب بن عبد الرزاق ، يحيى بن يونس القبرسي ، عبد الحميد بن بسيل ، جهور بن عبيد الله .

(٥) ابن حيان ، العلتيس ، تحقيق الخبي ، ص ٩٢ .

وكان صاحب المدينة بالزهراء هو محمد بن أفلح ، وقد عهد إليه
 الخليفة الحكم المستنصر بتأديب أحمد بن هاشم ، وابن عليم ، وابن العاصم*
 الذين نسبوا عنده إلى الفحص في السيرة ، والتخلف بلقول اللؤل ، فأحضرهم
 إلى مجلسه بكرسي الشرطة بمدينة الزهراء ، فأقامهم بين يديه أمام
 خزاية ولزمهم ووبخهم على ما بدر منهم ، وألزم ابن هاشم بعدم تخلف
 منزله ، ورمى الآخرين في سجن الزهراء*
 ونفهم من ذلك أنه كان لصاحب المدينة مجلس
 ينتظر فيه بإدارة الشرطة .

ولما نالت دريا الكبير العقلي المعروف بالخازن مودة من الخليفة
 الحكم المستنصر ، لتقديره في خدمته ، أضاء وأهانته ، وولى أذلاله
 صاحب المدينة بالزهراء محمد بن أفلح ، الذي أحضره إلى مجلسه بكرسي
 الشرطة عند باب السدة بالزهراء ، وأوقفه بين يديه إلى جانب الكرسي ،
 فوبخه وفنده وأوعده ، دون أن يغلف له وهو ساكت كلام ، فلما أنهى كلامه
 تولى منه داخلا إلى موضع سكناه بالقصر ، فمدر إليه الأمر بعد ذلك
 بالانتقال من قصر الزهراء إلى قصر قرطبة والتخلي عن الخدمة ، ونفذ
 العهد بإسقاط رزقه الخلفى عنه وقصره على عشرة دنانير كل شهر تجرى
 عليه .^(٢)

وعهد الخليفة الحكم إلى صاحب المدينة بالزهراء محمد بن أفلح
 بالإيحاء بعمدة من أهل قرطبة المستخفين بالطامة ، المائلين بذرب الالسة
 رموا بالاستخفاف ، والفحص للخليفة ، والرتوع في أعراض الناس ، ونشـر
 مثالهم في أشرار يجتمعون على صوغها ، ويتبارون فيها ، قرأى الخليفة رفع
 أذاهم ، ولفح مضرتهم ، ينظيهم من الأرض وايداهم السجن . فلما صاحب

(١) ابن حيان ، المعقش ، ص ١٠٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٠٣ .

المدينة بتنفيذ ما أمر به الخليفة ، وأودع السج من مشر
عليه منهم .^(١)

تلك هي بعض المهام التي كان يقوم بها صاحب المدينة خلال هذه
الفترة . وبلاط مدى التشابه بين مهامه ومهام صاحب الشرطة ، ولانكاد
نميز بينهما تمييزا تاما . ولكن من خلال مذكرناه يبدو أن صاحب
المدينة يتمتع بملاحيات أوسع مما كان يتمتع به صاحب الشرطة ، الذي كان
يخضع له من الناحية الإدارية . ويمكن أن نشبه صاحب المدينة "بمعالق"
المدن في عصرنا الحاضر .

(١) ابن هيان ، المقتبس ، تحقيق الحجي ، ص ٧٣ - ٧٤ .

(*)
خطة المقابلة .

خطة المقابلة من الخطط العامة التي انشاها الامويون في الاندلس ، وقد نشأت في عصر الخلافة ، والذي انشاها هو الخليفة الحكم المستنصر .

لقد عني الخليفة الحكم عناية كبيرة بالكتب والمكتبات وقد استغنى القول في انه انشا مكتبة كبرى بالاندلس ، لم تكن مثلهما لاحد قبله .

يقول المقرئ : ان الخليفة الحكم المستنصر " اقام للعلم والعلماء سوقا نافقة جلبت اليها بغائمه من كل قطر . ووفد على ايده ابو علي القالي صاحب كتاب " الامالي " من بلداد فاكروم مشواه ، وحصلت منزلته عنده ، واورث اهل الاندلس علمه ، واغتنى بالحكم المستنصر واملاك علمه ، وكان يبعث في الكتب الى الاقطار وجالا من التجار ، ويرسل اليهم الاموال لشراؤها حتى جلب منها الى الاندلس ما لم يعهده ... وجمع بداره العذاق في صناعة النسخ والمهرة في ضبط والاجادة في التجليد ، فاومى من ذلك كله " (١) .

هذا الاهتمام الكبير بالعلم والعلماء ، والكتب والمكتبات ، دفع الخليفة الحكم الى انشاء خطة خاصة ، صرفت بحطة المقابلة ، وذلك للمعناية بهذه الكتب .

(*) المقابلة في المشرق : مجلس من مجالس الحديث ونظم بتمليح السجلات التي تضم أسماء الجند واوراقهم ومتطلباتهم .

انظر قدامة بن جعفر : الخراج وصناعة الكتابة ، شرح وتعليق د. محمد حسين الزبيدي ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨١ م ، ص ٢٣ .

(١) فتح الطيب ، ٢٨٦/١ .

ومنهم محمد بن أبي الحسين الذي كان عالما باللغة
والادب ، وقد امره الخليفة الحكم المستنصر بمقابلة كتاب
العميد للخليل بن احمد مع أبي علي القاسي ، وهذه سيد في
دار الملك التي بقصر قرطبة . ويروي عن ابن أبي الحسين
قوله في ذلك : "واحضر (الحكم) من الكتاب نسختا كثيرة في
جملتها نسخة القاسي منذر بن سعيد التي رواها بمصر من ابن
ولاد ، فمر لنا مور من الكتاب بالمقابلة ، فدخل علينا
الحكم في بعض الأيام ، فسالنا عن النسخ ، قلنا نعم : أما
نسخة القاسي التي كتبها بخطه فهي اشد النسخ تصحيفا ، وخطها
وتبديلا ، فسالنا عما نذكره من ذلك ، فانهضنا احيانا
مكسورة ، واسمناه الفاظا مصدفة ، ولفات مبدلة ، فعجب من
ذلك ، وسال ابا علي فقال له نحو ذلك ... " (١)

ويظهر من سيرة هؤلاء العلماء الذين تولوا هذه الخطا
ان متوليها لابد ان يكون من علماء اللغة العربية ،
المتململين فيها ، حتى يتمكن لهم القيام باداء هذه الوظيفة
خير قيام .

وقد ارتبطت خطة المقابلة بالخليفة الحكم ارتباطا
وثيقا نظرا لاهتمامه العلمية ، ولذلك استطيع القول ان
هذه الخطة على الرغم من اهميتها الا انها كانت من الخطط
الطارئة .

(١) العميد ، جذوة المقتبس ، ترجمة رقم ٢٩ ، ص ٥١-٥٢ ،
الذي ، بقية الملخص ، ترجمة رقم ٩٤ ، ص ٧١ .

نظام التعليم :

اهتمت الحكومة الاموية في الاندلس بالعلم ، والعلماء ، وطلاب العلم ، وشجعت على التعليم ، وذلك انطلاقاً من حث القرآن الكريم ، والسنة النبوية المظهرة على العلم والتعلم . قال تعالى : { يرفع الله الذين آمنوا منكم ^(١) والذين اوتوا العلم درجات } . وقال جل جلاله : { هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون } ^(٢) . وقال عز وجل : { انما يخشى الله من عباده العلماء } ^(٣) .

وقال رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام : " طلب العلم فريضة على كل مسلم " ^(٤) .

وقد رمى امراء وخلفاء بني امية في الاندلس العلم والعلماء رعاية كاملة ، ولدينا قوائم كثيرة تدل على هذا الامر . فقد تمت الاندلس منذ وقت مبكر ، عدداً من العلماء الذين رحلوا الى الاندلس ، او نشأوا فيها ، ووجدوا كل رعاية واهتمام من قبل الحكام الامويين ، كما كان لهم دور مشهود في ازدهار العلم وتقدمه .

ومن هؤلاء العلماء ، ابو موسى الهوارى ، عالم الاندلس الذى رحل من المشرق ، واستقر بالاندلس في عصر الامير عبد الرحمن بن معاوية ، وكان قد جمع علم العرب الى علم الدين وكان ابو موسى الهوارى اذا دخل قرطبة من قريته "مورور" الشئ كان فيها سكتاه لم يفت احد من مشايخ قرطبة حتى يرحل ^(٥) عنهم .

(١) سورة المجادلة ، الآية ١١ .

(٢) سورة الزمر ، الآية ٩ .

(٣) سورة قاطر ، الآية ٢٨ .

(٤) ابن ماجه ، المقدمة ، ص ١٧ .

(٥) ابن القوطية ، تاريخ اقتراح الاندلس ، ص ٥٦ ، التريدي طبقات النحويين والفقهاء ، ص ٢٥٣-٢٥٤ .

وكان الأمير هشام بن عبد الرحمن ، من الأمراء الأمويين الذين لقي العلماء والفقهاء في ظل إمارته ، عناية كبيرة ، ودعمها وتشجيعها . وقد ذكرت من قبل أن الأمير هشام كان يقرب العلماء والفقهاء ، وأن المذهب المالكي قد دخل الأندلس (١) وانتشر في عهده .

كما اتخذت السياسة الأموية في عهده إجراء ، يشهد بهمد نظرها ، إذ جعلت العربية لغة التدريس في معاهد النصارى واليهود . وكان لذلك الإجراء على الرغم من بساطته ، أثر

في تفهم النصارى واليهود للدين الإسلامي لأنهم أجابوا اللغة العربية ،

وكان من أثره أيضا أن كثر اعتناق النصارى للإسلام بعد أن وثقوا على أصوله وخصائمه ، وقربت مصافه الخلف بينهم وبين المسلمين . ولم يكن ذلك بعيدا في الواقع عن السياسة (٢) الأموية .

أما الأمير الحكم بن هشام ، فقد كان "يؤثر الفقيه زياد بن عبد الرحمن ، وحضر يوما عنده ، وقد غلب فيه على خادم له لا يمانه إليه كتابا كره وموله ، فأمر بقطع يده ، فقال له زياد : أملح الله الأمير ، فإن مالك بن انس حدثني في خبر رفته أن "من كظم غيظا يقدر على إنفاذه ملأه الله تعالى أمنا وإيمانا يوم القيامة" ، فأمر أن يمسك من الخادم ويمسكه عنده ، فسكن غيظه ، وقال : آله أن مالك حدثك بهذا ؟ فقال زياد : آله أن مالك حدثني بهذا" (٣) .

وهذا يدلنا على مدى الاحترام والتقدير الذي كان يكنه الأمير الحكم لهذا الفقيه ، وعلى مكانة الإمام مالك بن انس

(١) انظر البحث الثالث من الفصل الأول .

(٢) محمد عبد الله عفان ، دولة الإسلام في الأندلس ، ٢٩٩/١ .

(٣) المقرئ ، نفح الطيب ، ٢٤١-٢٤٠/١ .

رحمه الله - في نفوس الاتدلسيين ، فقد توقف الأمير عن

تخليد الحكم على خادمه عند سماعه لحديث مالك بن انس .

وعنى الحكم بتربية ابنه عبد الرحمن غاية كبرية ،

ويحدثنا ابن سعيد عن ذلك فيقول : "عنى أبوه بتعليمه

وتخريجه في العلوم الحديثة والقديمة ووجه عباس بن ناصح (*)

إلى العراق ، فاتاه بالسند هند وغيره منها ، وهو أول من

ادخلها الأندلس ، وعرف أهلها بها ونظر هو فيها .. وكان من

أهل التلاوة للقرآن والاستظهار للحديث .. يداخل كل ذي علم

(١) في فنه " .

وقد "التزم أكرام أهل العلم وأهل الأدب والضر في

(٢)

دولته ، واسماهم في مطالبهم كلها " .

أما الأمير محمد بن عبد الرحمن فقد كان "مكرما لأعلام

الناس ، مقدما على طبقاتهم لذوى الفقه والعلم منهم ، يرفع

مجالسهم ، ويؤلف مسائلهم ، ويسعف رعايتهم ، ويمشعر مع

ذلك الحذر مع حماستهم ، والتوقف على السماع من بعلمهم في

(٣)

بعض " .

وقد سعى إليه الفقهاء ، بالعالمين بقى بن مخلد

(المتوفى سنة ٢٧٦هـ) ، ومحمد بن عبد السلام الشافعي (ت سنة

٢٨٦هـ) ، أحمد بن حنبل ، ورعيا بالخروج عن السنة ، والركوب

(*) هو عباس بن ناصح الشافعي الشاعر ، من أهل الجزيرة ، يكنى : أبا العلاء . رحل أبوه مغيبرا فلما بمصر . وشرد به الحجاز طالبا للغة العرب . استقاه الحكم بن هشام على شذونة والجزيرة .

ابن القزويني ، تاريخ علماء الأندلس ، ترجمة رقم (٧٨٩) ، من أقدم الكتب التي ترجمت إلى العربية من الهندية . وقد تعلم منه العرب الحساب والأعداد الهندية المعروفة ابن سعيد ، المغرب ، ٤٥/١ ، هامش (٢) .

(١) ابن سعيد ، المغرب ، ٤٥/١ .

(٢) ابن القوطية ، تاريخ الفتوح الأندلس ، ص ٧٥ ، والنظر ابن سعيد ، المغرب ، ٤٦/١ .

(٣) ابن حيان ، المقاتلين ، تحقيق د. محمود علي مكي ، طبعة بيروت ، ص ٢١٥ .

للبدعة ، وتمسكاً عليهما الفقهاء بقرطبة ومن قلدتهم من اهل
العدالة ، واستعدوا عليهما السلطان ، فلحقهما شر اهل بهما
الفاقة ، ولكن الامير محمد ثبتت في امرهما ، وامتناعهما
الى ان ثبتت براءتهما .^(١)

وكان للامير عبد الله بن محمد ، مجلس علمي من امور
مجانس الامراء بالفضائل ، وانزعها من الرذائل ، واجمعها
لطبقات اهل الادب والعلم .^(٢)

ولما وفد ابو علي القاسي ، صاحب الامالي والنوادر ،
على الناصر من المشرق ، وكان من احفظ اهل زمانه باللغة
والشعر ونحو البصريين ، امر الناصر ابنه الحكم ، ان يخلق
ابا علي اعظم خلق ، وان ينتخب عددا من وجوه اهل الكور
ليكونوا ضمن مستقبليه ، ففعل الحكم ذلك تكريما له . ويقال^(٣)
ان الناصر هو الذي استدعاه من بغداد .^(٤)

وفي مصر الخليفة الحكم المستنصر نجد ان الرعاية
للعلم والعلماء قد بلغت مدى كبيرا جدا ، وكان الخليفة
نفسه عالما من العلماء ، ولذلك فقد احتم اهتماما بالبا
بالمعلم والعلماء ، وتهيئة التحفيم المجاني للمحتاجين .
يقول ابن عذاري : "ومن مستحسنات افعاله وطيحات اعماله ،
اتخاذ المؤدبين معلمون اولاد الفقهاء والمساكين القرآن
حوالي المسجد الجامع ، ويكل ريش من ارباش قرطبة ، واجرى
عليهم المرتبات ، وعقد اليهم في الاجتهاد والممح ، ابتغاء

(١) ابن حيان ، المقتبس ، ص ٢٤٧ .
(٢) ابن حيان ، المقتبس ، نشره منشور ، ص ٣٤ .
(٣) المقرئ ، فتح الطيب ، ٧٢٠٧٠/١ .
(٤) المقرئ ، فتح الطيب ، ٧٥/١ .

وجه الله العظيم ، وعدد هذه المكاتب سبعة وعشرون مكنيا ،
منها حوالى المسجد الجامع ثلاثة ، وباقياها فى كل ربض من
ارباض المدينة^(١) .

كما انه حين حوالت المراجعين بسوق قرطبة على
المعلمين ، الذين كان قد اتخذهم لتعليم اولاد الطغناء
والمساكين بقرطبة ، واشهد القاضى محمد بن اسحاق فى هذا
التحقيق ، فمظمت به المظنة ، وجلت المظنة ، وورث الله^(٢)
به القرآن امة لم يكن آباؤهم يعرفونهم نوراحتهم .

ونتيجة لهذه الرعاية الكريمة من قبل الحكام الامويين
فى الاندلس ، لتعلم والعلماء ، فقد ازدهرت العلوم بهتى
الوامع المختلفة ، ووجد العلماء حربة خصبة ، انتجوا فيها
الحاجا لزيار ، وقد كثرت فى هذه الالة الرحلة فى طلب
العلم الى المشرق . وافاد الاندلسيون ايما الفادة من^(٣)
هذه الرحلات التى انعكت على مؤلفاتهم . ومن العلوم التى
ازدهرت خلال هذه الفترة :

(١) علوم القراءات والتفسير والحديث والفقه :

لقد ازدهرت العلوم الدينية فى الاندلس ازدهارا كبيرا
خلال هذه الفترة ، ونشط الاندلسيون فى تلقى هذه العلوم
وتعلمها وتعليمها .

فى مجال القراءات :

فجد ان الفازى بن قيس ، الذى كان ملتحزا للحاديب
بقرطبة ، ايام دخول عبد الرحمن بن معاوية ، قد رحل الى
المشرق ، وادرك نافع بن نعيم ، وقرا عليه وهو اول من ادخل

(١) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٢٤٠/٢ .
(٢) ابن هيان ، المقتبس ، تحقيق د. الحجى ، ص ٢٠٧ .
(٣) انظر المقرئ ، فلاح الطيب ، ٥/٢ ومابعدها .

قراءته الى الاندلس . وكذلك كان ابنه عبد الله بن الغازي ،
يعلم القرآن على رواية نافع بن نعيم .^(١)
^(٢)

ومن القراء المؤدبين ، أبو عبد الله محمد بن عبد
الله ، الذي كانت له رحلة ، وقرأ القرآن على عثمان بن
سعيد المعروف بورق صاحب نافع وقد استأذنه الأمير الحكم بن
مهم لطلبه .^(٣)

ومن القراء الذين برزوا في هذا المجال ، المقرئ أحمد
ابن محمد بن عبد الله المعافري الظلمكي . وكانت له رحلة
الى المشرق ، وانصرف الى الاندلس بعلم كثير ، وكان أحد
الائمة في علم القرآن العظيم ، قراءته وإعرابه ، وناسخه
ومنسوخه ، ومعانيه .^(٤)

وكان أبو موسى العواري من أوائل العلماء الاندلسيين ،
الذين ألخوا في علم القراءات وله كتاب في ذلك .^(٥)

التفسير :

كان أبو عبد الرحمن بقى بن مخلد ، من أوائل علماء
التفسير بالاندلس ، وقد صنّف كتاباً في تفسير القرآن ، قال
عليه ابن عزم : "فمن مصنفات أبي عبد الرحمن بقى بن مخلد
كتابته في تفسير القرآن ، فهو الكتاب الذي أقطع قطعاً
لا استثنى فيه أنه لم يؤلف في الإسلام مثله ، ولا تفسير محمد بن
جرير الطبري ، ولا غيره" .^(٦)

-
- (١) الربيدي ، طبقات النحويين ، ص ٢٤٥ ، ابن الفرسي ،
تاريخ علماء الاندلس ترجمة (١٠١٢) .
(٢) الربيدي ، طبقات النحويين ، ص ٢٥٩ ، ابن الفرسي ،
تاريخ علماء الاندلس ، ترجمة (١٢٢) .
(٣) الربيدي ، طبقات النحويين ، ص ٢٧٠ .
(٤) ابن بكوال ، الملة ، ج ١ ، ترجمة رقم (٩٧) .
(٥) الربيدي ، طبقات النحويين ، ص ٢٥٤ .
(٦) المعنى ، بغية المخلص ، رقم (٥٨٤) ، ص ٢٤٥ ، المقرئ
فلح الطيب ، ١٦٨/٣ .

ويبدو أن هذا المصنف كان في غاية من الجودة والاشغال
مما جعل ابن حزم يؤكد تأكيداً جازماً أنه لم يؤلف مثله
ومن علماء التفسير خلال هذه الفترة ، الشيخ أبي موسى
الحواري ، وله كتاب في تفسير القرآن ، كان ابن لبابة
يروي عن العتيبي .^(١)

وكان القاضي منذر بن سعيد البلوطي ، ذا علم بالقرآن
وتفسيره ، له فيه كتب مفيدة منها كتاب الاحكام ، وكتاب
الناسخ والمنسوخ .^(٢)

الحديث :

يعتبر بقرى بن مخلد من أشهر المحدثين في الأندلس ، فقد
رحل إلى المشرق ، فروى عن الأئمة ، واعلام السنة ، منهم
الامام أحمد بن حنبل ، وأبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي
شعبة ، وجماعات اعلام يزيدون على المائتين ، وله في الحديث
ممنه الكبير الذي رثبه على أسماء الصحابة رضي الله عنهم
فروى فيه عن ثلاثمائة ألف صاحب وليف .^(٣)

ومن علماء الحديث المشهورين خلال هذه الفترة ، محمد
ابن وضاح ، الذي رحل رحلتين إلى المشرق ، وبلغ عدة الرجال
الذين سمع منهم في الامصار ، مائة وخمس وسبعون . وبمحمد بن
وضاح ، وبقري بن مخلد صارت الأندلس دار حديث . وكان محمد بن
وضاح عالماً بالحديث ، بغيراً بطرقه ، متكلماً على منله .^(٤)

ومن علماء الحديث أيضاً ، محمد بن عبد السلام بن شعبة
الخشعي ، كانت له رحلة إلى العراق ، وإلى غيرها من البلاد
وأقسام خمساً وعشرين سنة متجولاً في طلب الحديث ، ثم رجع إلى

(١) الربيعي ، طبقات النحويين ، ص ٢٥٤ .
(٢) الزبيدي ، طبقات النحويين ، ص ٢٩٥ .
(٣) الفقي ، بغية المصلح ، ترجمة رقم (٥٨٤) ، وانظر :
ابن الغزوي ، تاريخ علماء الأندلس ، رقم (١٦٩) .
(٤) ابن الغزوي ، تاريخ علماء الأندلس ، رقم (١١٢٤) .

(١)

الاندلس وحدث وانتشر علمه .

ولم يكن استقرار هذه المصنفات التي ألفت في علوم الحديث أو غيرها من العلوم الأخرى في الأندلس ، بالأمير الميسور ، وقد سبق أن ذكرنا أن بقى بن مخلد ، ومحمد بن عبد السلام الخشني ، قد واجها صعوبات جمة في نشر علمهما ، ووقوف بعض العلماء عقبه أمامهما ، وكان لوقوف الأمير محمد إلى جانبهما أثر كبير في ازدهار علم الحديث بالأندلس . فقد قال الأمير محمد لبقي بعد محاربة الفقهاء له : " أنشر علمك وارو ماعندك من الحديث ، واجلس للناس حتى يفتقدوا بك" (٢)

ونهاهم أن يتعرفوا له .

وكان من علماء الحديث الأندلسيين ، الذين كانت لهم رحلة إلى المشرق ، قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف ، وقد سمع بقرطبة من بقى بن مخلد ، وأبى عبد الله الخشني ، ومحمد بن ولاح ، ثم رحل إلى المشرق ، وسمع من عدد كبير من المشايخ ، وعاد إلى الأندلس بعلم كثير ، وسمع منه الأمير عبد الرحمن بن محمد قبل تولىه ، كما سمع منه ولي العهد الحكم ، وكان قاسم بن أصبغ يميز بالحديث والرجال لبيلا في النحو . (٣)

ومن علماء الحديث ، محمد بن عيسى بن عبد الواحد بن نجيع الصمغاري ، وقد رحل إلى المشرق في العام الذي توفي فيه مالك بن أنس ، وكان الخائب عليه رواية الحديث والآثار وكانت وفاته سنة ٢٢١هـ . (٤)

ومنهم أيضا محمد بن إبراهيم بن حيون ، من أهل وادي الحجارة ، سمع من أبى عبد الله الخشني ، وأبى ولاح ،

(١) الفبي ، بغية الملتصق ، رقم (٢٠٢) .
 (٢) الفبي ، بغية الملتصق ، ص ١٥ .
 (٣) ابن الفري ، تاريخ علماء الأندلس ، ترجمة رقم (١٠٦٨) .
 (٤) المصدر نفسه ، رقم (١١٠٠) .

وعبد الله بن مسرة ، ومحمد بن عبد الله بن الغاري ،
وجماعة من نظرائهم بالاندلس ، ورجل الى المشرق فتروا هناك
خمس عشرة سنة . وكان اماما في الحديث ، عالما به ، حافظا
لعله بميرا بطرقه . توفي سنة ٢٣٥هـ .^(١)

ومن هؤلاء المحدثين ، محمد بن عبد الله بن سعيد
البلوي ، من اهل قرطبة ، وكان كثير الكتاب للحديث ، حافظا
لأخبار الشيوخ ، وكان عوام الناس والمحاسبة يهتمون اليه
ويسمعون منه . توفي سنة ٢٣٧هـ .^(٢)

ومن علماء الحديث أيضا شاذ بن عبد العزيز السرقسطي
وابنه قاسم ، وقد رحلا الى المشرق ، ولقيا رجال الحديث
ورجال اللغة ، وجمعا هنالك علما كثيرا ، والفقهاء ككتاب
في شرح الحديث سماه كتاب "الدلائل" وبلغ فيه الغايين من
الاثقان والتجويد ، حتى حسد عليه وذكر الطاعنون انه من
تأليف غيره من اهل المشرق ، فمات قبل اكماله فاكمله ابوه
شاذ بن عبد العزيز .^(٣)

الفقه :

ذكرت من قبل ان الاندلس كانت على مذهب الامام الاوزاعي
ثم اخذت بمذهب الامام مالك بن انس بدءا من عمر الاعير هشام
ابن عبد الرحمن ، وقد نبغ كثير من تلاميذ الامام مالك ، او
تلاميذ تلاميذه في الفقه المالكي ، وكان لهم شأن كبير في
الاندلس ، وقد صبغوا البيئة العلمية الاندلسية بالصيغة
المالكية ، وامتجع المذهب المالكي سمة بارزة يميز اهل
الاندلس من اهل المشرق .

(١) ابن الفري ، تاريخ علماء الاندلس ، رقم (١١٦٤) .

(٢) المصدر نفسه ، رقم (١٣٢٥) .

(٣) الزبيدي ، طبقات التحويين ، ص ٢٨٤-٢٨٥ .

وأول هؤلاء الفقهاء المالكية الذين كان لهم دور بارز في حصيل الفقه المالكي في الأندلس ، الفقيه عيسى بن دينار "وكان لا يمد في الأندلس أفقه منه في نظرائه" ^(١) . وكان محمد بن وضاح يقول : "هو الذي علم أهل الأندلس الفقه" ^(٢) . وله كتاب "الهداية" وهي أرفع كتب جمعت في معانيها على مذهب مالك وابن القاسم ، وأجمعها للمعاني الفقهية على المذهب ، فمنها كتاب الصلاة وكتاب الجيوع وكتاب الجدار في الاطعمة وكتاب النكاح والطلاق ^(٣) .

وكان محمد بن عمر بن لبابة يقول : "فقيه الأندلس عيسى ابن دينار ، وصاحبها عبد الملك بن حبيب ، وعاقلها يحيى بن يحيى" ^(٤) .

ومن فقهاء المالكية الأندلسيين ، الفقيه عبد الملك بن حبيب ، وكان حافظا للفقه على مذهب المدنيين ، نبيلاً فيه ، وله مؤلفات في الفقه والحواريغ والآداب كثيرة حسان منها : الواضح ، لم يؤلف مثلاً ، والجوامع ، وكتاب فكل الصحابة رضي الله عنهم ، وكتاب غريب الحديث ، وكتاب تفسير الموطأ ... ^(٥) .

ومن علماء الفقه المالكي بالأندلس ، محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن أبي محبة ، "وكان حافظاً للمصائل ، جامعاً لها عالماً بالنوازل ، وهو الذي جمع المستخرجة وأكثر فيها من الروايات المطروحة ، والمصائل الغريبة الشاذة ، وكان يثاب بالمصالة الغريبة فساداً سمعها قال أدخلوها في المستخرجة" ^(٦) .

-
- (١) ابن حيان ، المقتبس ، طبعة بيروت ، ص ٧٨ .
 (٢) الممدر نفسه ، ص ٩٩ .
 (٣) المقرئ ، نفح الطيب ، ١٦٩/٢ .
 (٤) ابن الفرغلي ، تاريخ علماء الأندلس ، رقم (٩٧٣) .
 (٥) ابن الفرغلي ، تاريخ علماء الأندلس ، رقم (٨١٤) .
 (٦) ابن الفرغلي ، تاريخ علماء الأندلس ، رقم (١١٠٢) .

هؤلاء ، بعض العلماء الاندلسيين ، الذين كان لهم دور مشهود ، في اثراء الادلل بعلومهم ومؤلفاتهم ، في القراءات والتفسير ، والحديث ، والفقه ، وتفسير المصادر الاندلسية ، وكتب التراجم ، في ذكر اسماء عدد كبير من هؤلاء العلماء الذين يمتعهم ، وقد اسمعوا جميعا بجهد مقدر في تقدم الحركة العلمية بالاندلس .

علوم اللغة والنحو :

وقد نبغ في علوم اللغة والنحو عدد كبير من الاندلسيين نذكر منهم :

جودي النحوي : وهو جودي بن عثمان ، من اهل مورور ، رحل الى المشرق ، تلقى الكسائي والفراف ، وغيرهما ، وهو اول من ادخل كتاب الكسائي ، وله تاليف في النحو ، وسكن قرطبة بعد قدومه من المشرق . توفي سنة ١٩٨هـ .^(١)

الشمر بن نمير : كان من اهل العلم بالعربية واللغة ، عاش في مصر عهد الرحمن بن الحكم ، ورحل من قرطبة بعد^(٢) التاليف بها الى المشرق .

خميب الكلبي : كان خميب ساكنا بمورور ، وكانت المضيعة من اهل مورور يذكرون ان الفرائق كان ياتي من قرطبة من الامير محمد الى خميب يستفتي في الكلمة من اللغة ، والمصالة من العربية ، وكان له كتاب مصنف في اللغة .^(٣)

ابن ارقم : هو محمد بن محمد بن ارقم ، كان من اهل العلم بالعربية واللغة والكلام في معاني الشعر ، وكان مؤدبا لاسير عبد الرحمن بن محمد ، ولما امر الناصر

(١) الريدي ، طبقات النحويين واللغويين ، ص ٢٥٦-٢٥٧ .
(٢) الريدي ، طبقات النحويين واللغويين ، ص ٢٥٧-٢٥٨ .
(٣) الريدي ، طبقات النحويين واللغويين ، ص ٢٥٩ .

بالشاع شعر أبي تمام الطائي ، أحضره لذلك مع جماعة من
(١)
الأدباء

محمد بن الحسن الزبيدي أبو بكر : "كان من الأئمة في
اللغة والعربية الك في النحو كتابا سماه "الواضح" واختصر
كتاب "العين" اختصارا حسنا وجمع في الإهنية وفي لعن العامة
وفي أخبار النحويين كتابا مشهورة ، وفي غير نوع من الأدب ،
(٢)
وكان شاعرا كثير الشعر" .

وكان أول من أدخل كتاب "العين" إلى الأندلس ، ثابت بن
عبد العزيز السرقسطي وابنه قاسم ، وكانا من أهل العلم
بالمربية ، والحنن في فروب اللغة .
(٣)

وهناك عدد كبير من علماء النحو واللغة الأندلسيين ،
الذين لم نذكرهم وقد أثروا الحياة العلمية الأندلسية بلتاج
فكرهم ، بل تعدى علمهم نطاق الأندلس ليخرج إلى المشرق .
وقد صنف محمد بن الحسن الزبيدي الألف الذكر مصنفه في طبقات
النحويين واللغويين وأفراد لأهل الأندلس طبقة خاصة .

علوم التاريخ والجغرافيا

من العلماء الاخباريين الأندلسيين ، الذي كتبوا في
تاريخ الأندلس ، أحمد بن موسى الرازي ، وكان نحويًا لغويًا ،
ومكتبا بليفا ، وزير الرواية ، حافظا للأخبار ، وله كتاب
في أخبار أهل الأندلس ، وتواريخ دول الملوك فيها ، بلغ فيه
النهاية من الإيماء والتقصي . كانت وفاته في رجب من سنة
(٤)
٣٤٤ هـ .

(١) الزبيدي ، طبقات النحويين واللغويين ، ص ٢٨٢-٢٨٣ .
(٢) الطيبي ، بغية الملتمس ، ترجمة رقم (٨٠) .
(٣) الزبيدي ، طبقات النحويين ، ص ٢٨٤ .
(٤) الزبيدي ، طبقات النحويين ، ص ٢٠٢ .

ومن العلماء الذين جمعوا بين التاريخ والجغرافيا ،
 محمد بن يوسف أبو عبد الله التاريخي الوراق ، الذي بالاندلس
 للحكم المختصر كتابا ضخما في "مسالك افريقية وممالكها"
 (١) والى في اخبار ملوكها وحروبهم والقائمين عليهم كتابا جمة .
العلوم التجريبية : الطب والهندسة والرياضيات والفلك .

والى جانب العلوم الدينية ، نجد العلوم التجريبية
 التي تقدمت تقدما كبيرا في الاندلس ، وبلغ كثير من
 الاندلسيين في علوم الطب ، والهندسة ، والرياضيات ، والفلك
 ونجد في بعض الاحيان ضخما واحدا يتفوق في اكثر من علم من
 هذه العلوم .

الطب : "كان يعمل في الطب بالاندلس ، على كتاب مترجم
 من كتب النصارى ، يقال له الابريهم ، ومعناه المجموع او
 الجامع ، وكان قوم من النصارى يحطبون ، ولم تكن لهم
 بصارة بمعناه الطب والفلسفة والهندسة في أيام عبد الرحمن
 ابن الحكم" (٢) ..

ولكن سرعان ما تبغ الاندلسيون بعد ذلك في علم الطب ،
 واشتهر عدد من الاطباء في هذا الممر منهم ، الحرائي الذي
 قدم من المشرق في أيام الأمير محمد ، وهو الذي بنى المسجد
 المنسوب اليه ، وهو مسجد الحرائي ، وادخل الى الاندلس
 معوننا ، كان يبيع السقية منه بخمسين دينارا فكسب به مالا ،
 ومن الاطباء الذين ذاع صيتهم في آخر أيام الأمير عبد
 الله ، واول دولة الأمير عبد الرحمن الناصر ، الطبيب ابن
 ملوك النصارى ، وكان يملع بيده ، ويقعد المروق ، وكان

(١) الفبي ، بغية الملتمس ، رقم (٢٠٤) .
 (٢) ابن جليل ، طبقات الاطباء والحكماء ، ص ٩٢ .
 (٣) ابن جليل ، طبقات الاطباء والحكماء ، ص ٩٤ .

(١)

على باب داره ثلاثون كرسيًا لقمود الناس .

ومن الأطباء في عصر الأمير عبد الله اسحاق الطبيب ، وكان مانعًا بيده مجربًا ، تحكى له منافع عظيمة وأشار عجيبة وتحكى فاق به جميع أهل دهره ، فلما تولى الناصر لدين الله وثابعت الخيرات في أيامه ، ودخلت الكتب الطبية من المشرق وجميع العلوم ، تقدم الطب تقدما كبيرا ، وظهر مشاهير الأطباء في عصره .^(٢)

وخدم أبو بكر سليمان بن باج ، الناصر لدين الله بالطب ، وكان طبيبا نبيلًا . وعالج الناصر لدين الله من رمد عرش له من يومه بخيافة (مرهم) ، وعالج شفيقا صاحب البرد من ضيق النفس ، بلموق من يومه ، بعد أن أعىى علاجه ، وكان يعالج وجع الخامة بحب من حينه ، وكان ضيقا بتركيب الأدوية .^(٣)

ومن أطباء الناصر لدين الله ، أبو حفص عمر بن بريق . وكان طبيبا نبيلًا ، قارئا للقرآن ، حسن الصوت ، رحل إلى القيروان ، ولزم الطبيب أبي جعفر بن الجزار لمدة ستة أشهر وادخل معه إلى الأندلس كتاب "زاد المسافر" ، وهو كتاب في الطب .^(٤)

وفي أواخر عصر الخليفة الناصر ، ظهر الطبيب أبو الوليد محمد بن حسين المعروف بالكثاني ، وادرك عددا من دولته المستنصر ، وكان رجلا بهيا مريا ، حلو اللسان محبوبا من العامة والكافة ، نسخاته بعلمه ومواساته بنفسه ، ولم يكن رجلا يرغب في المال ولا في جمعه ، وكان لطيفا في علاج

(١) ابن جليل ، طبقات الأطباء والحكماء ، ص ٩٧ .

(٢) ابن جليل ، طبقات الأطباء والحكماء ، ص ٩٧-٩٨ .

(٣) ابن جليل ، طبقات الأطباء والحكماء ، ص ١٠٢ .

(٤) ابن جليل ، طبقات الأطباء ، ص ١٠٧ .

(١)

المرضى ، حسن الولوج ، عالما تحريرا .

وقد اشأ الخليفة الحكم المستنصر كزانة لطبيب بقصر
الزهوراء لم يكن قط مطلقا ، وتولى الشفاء لها طبيب يدعى أحمد
ابن يونس الحراني ، ورتب لها اثني عشر مبيتا من المطالبية
لصباغة الاثربة ، ومناعة المعجون ، واستاذن الحراني
الخليفة الحكم أن يعطى منها من احتاج من المساكين والمرضى
(٢)
فأباح له ذلك .

الرياضيات والفلك والهندسة :

يعتبر مسعدة بن أحمد المجريطي ، الذي عاش في عصر
الخليفة الحكم ، امام الرياضيين بالاندلس في وقته ، كما
كان عالما بعلم الافلاك ، وحركات النجوم ، وكانت له عناية
بارصاد الكواكب ، وشكف يحفهم كتاب بطليموس المعروف
بالمجسطي . وله كتاب حسن في تمام علم العدد ، وكتاب اختصر
فيه تعديل الكواكب من زيح البخاني ، ومضى بزيح محمد بن
موسى الخوارزمي ، وصرى تاريخه الفارسي الى التاريخ العربي
(٣)
كانت وفاته سنة ٣٩٨هـ .

ومن العلماء الاندلسيين ، الذين نبغوا في الطب ،
والهندسة ، والرياضيات ، والفلك ، خلال هذه الفترة ، أبو
القاسم أصبغ بن محمد بن سمح المهندس الخرناطي ، وكان في
عصر الحكم . قال القاضي ماعد الطليطلي : " أن ابن السمع

(١) ابن جليل ، طبقات الاطباء ، ص ١٠٩ .

(٢) الممدور نفسه ، ص ١١٢-١١٣ .

(٣) ابن أبي أصيبعة : موفق الدين أبي العباس أحمد بن

القاسم السعدي (ت ٦٦٨هـ) ، عيون الاطباء في طبقات

الاطباء ، تحقيق د. نزار رضا ، منشورات دار مكتبة

الحياة ، بيروت ١٩٦٥م ، ص ٤٨٢-٤٨٣ .

كان محققا لعلم العدد والهندسة متقدما في علم الهيئة والافلاك وحركات النجوم . وكانت له مع ذلك عناية بالطب ، وله تأليف حسان منها : كتاب المدخل الى الهندسة في تفسير كتاب اقليدس . ومنها كتاب شمار العدد المعروف بالمعاملات . ومنها كتاب طبيعة العدد . ومنها كتابه الكبير في الهندسة يفتى فيه اجزاءها من الخط الممقيم والمقوس والمنحنى ، ومنها كتابان في الآلة المسماة بالاسطرلاب^(١) .

ومن هؤلاء العلماء ، أبو القاسم أحمد بن عبد الله المعروف بابن السفار ، وكان متحققا بعلم العدد والهندسة والنجوم ، وله زيج مختصر على مذهب السند هند ، وكتاب في العمل بالاسطرلاب ، وكان من جملة تلامذة مسلمة المجريطي .

اماكن التعليم في الاندلس :

لم تعرف بلاد الاندلس نظام المدارس خلال هذه الفترة ، بل كان المسجد هو المدرسة الاولى التي يتلقى فيها الاندلسيون تعليمهم ، كما كان الحال في بلاد المغرب قبل نشأة المدارس ، يقول المقرئ : "ليس لاهل الاندلس مدارس تعليمهم على طلب العلم بل يفرءون جميع العلوم في المساجد باجرة"^(٢) .

ولذلك فان معظم مساجد الاندلس ، لا سيما في المدن الاندلسية الكبرى ، كانت زاخرة وعامرة بحفلات العلم والدروس التي يدرس فيها اولئك العلماء الذين رحلوا الى المشرق ، وتعلموا هناك ، ثم رجعوا الى بلادهم ، أو الذين تخرجوا في هذه المساجد ، على أيدي هؤلاء العلماء . وجمدا كتب التراجم الاندلسية بمعلومات وافية عن سيرة هؤلاء العلماء .

(١) ابن أبي امية ، عيون الاتباء ، ص ٤٨٢ .

(٢) ابن أبي امية ، عيون الاتباء ، ص ٤٨٤ .

(٣) فتح الطيب ، ٢٢٠/١ .

"ولما كانت قرطبة تمثل قطب الرحى فى النشاط العلمى باندلس حاضرة الخلافة ودار الملك فقد حظى جامعتها الشهير بمكانة علمية لا تدانى . فكان دوره عظيما فى نشاط الحركة العلمية فى عصر الخلافة ومآلاته من عصور حيث لم يبين اروقته (١)
حلقات العلم والدرس" .

وكان مسجد مدينة الزهراء ، التى انتقلت اليها مؤسسات الدولة فى عصر الخلافة ، من المساجد التى شهدت حركة علمية نشطة . "فقد كان الاكبر اللغوى أبو على القالى يعقد مجالسه العلمية فى جامع الزهراء فتحضر عليه افواج الطلبة للاخذ عنه ، وذلك فى كل يوم خميس . وكان يكتب عنه أكثر من أربعمائة طالب فى وقت املائه الامالى" (٢) .

ومن امكنة التعليم الاخرى التى عرفتھا بلاد الاندلس فى هذه الفترة "المكاتب" . "والمكتب عبارة عن مكان يتسع لمجموعة من الاطفال ، وقد يكون غرفة فى منزل ، او هالوتا يكترى ، او فناء ، ولم يكن له مكان معين يقام فيه" (٣) . وقد سبق ان اشرنا الى هذه المكاتب فى مقدمة حديثنا عن رعاية الحكام الامويين فى الاندلس للعلم والعلماء .

وكانت قرطبة تحتفظ بكثايب اخرى قبل الكثايب التى انشاها الحكم ، وكان معلم الكثايب يسمى مؤدبا ، وكان يأخذ اجرا على تعليمه الناشئة (٤) .

(١) د . سعد عبد الله البهرى ، الحياة العلمية فى عصر الخلافة فى الاندلس ، رسالة ماجستير (غير منشورة) جامعة أم القرى ١٤٠١-١٤٠٢هـ ، ص ١٤٢ .

(٢) د . سعد البهرى ، الحياة العلمية فى عصر الخلافة ، ص ١٤٥ .

(٣) د . محمد عبد الحميد عيسى ، تاريخ التعليم فى الاندلس الناصر : دار الفكر العربى ، القاهرة ، الطبعة الاولى ١٩٨٢م ، ص ٢٢٠-٢٢١ .

(٤) د . شوقي خليك ، تاريخ الادب العربى - عصر الدول والامارات - الاندلس ، ص ٦١ .

أما عن المنهج التعليمي في هذه الكتابات ، فقد اشتمل على تحفيظ القرآن الكريم ، وبعض نصوص الحديث النبوي ، وتعليم النحو والكتابة والخط مع تحفيظ بعض النصوص من الأشعار والرسائل البارعة .^(١)

وقد نالت المرأة الأندلسية تمييزها من التعليم أيضا ، إذ يروى أنه كان بالربض القرطبي من قرطبة ، مائة وسبعون امرأة ، كلهن يكتبن المصاحف بالخط الكوفي . هذا في ناحية من نواحيها فكيف بجميع جهاتها .^(٢)

أما بالنسبة لمستوى التعليم والمناهج بصورة عامة فقد كان متقدما جدا .

لقد اشتمل المنهج على تدريس اللغة العربية بطروحاتها المختلفة ، والعلوم الدينية والتاريخ ، إضافة إلى القضاء وشيء من العلوم الطبية بصورة عملية والرياضيات والفلك . وقد أسس الحكم الثاني أول جامعة أو أكاديمية في قرطبة ، ومات قرطبة ومن بعدها طليطلة من أحب المناطق العلمية للأوروبيين الغربيين .^(٣)

هذه جوانب من نشاط الأندلسيين العلمي خلال فترة البحث وقد رأينا كمسافر جهود الحكام والرعية في دفع المسيرة العلمية وتقدمها . ولم يتوان الحكام في تقديم أي عون مادي أو معنوي للعلم والعلماء حتى أصبحت بلاد الأندلس تنافس المشرق في كثير من المجالات العلمية .

(١) د. خوقي فيف ، تاريخ الأدب العربي ، ص ٦٦-٦٧ .
(٢) عبد الواحد المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب
ص ٤٥٦-٤٥٧ .

(٣) T.B.Irving, Falcon of Spain, p.p. 158-160 .

وظيفة القومس :

ماض أهل الذمة في الأندلس في ظل المجتمع الإسلامي ، مستغفريين من سياسة التسامح التي وجدوها من المسلمين ، ينتمون بكافة حقوقهم الدينية ، ويمارسون شعائرهم التعبدية دون أن يتعرض لهم أحد بأذى . وقد تقلد بعض منهم وظائف في الدولة ، مثل قومس بن اثينايا الذي سبق أن قلنا أنه تقلد الكتابة للأمير محمد بن عبد الرحمن ، وحسداى بن شبروط الإسرائيلي الذي كان سفيرا للناصر .^(١)

ومن الوظائف التي أوجدتها المسلمون بالأندلس لرعاية أهل الذمة وظيفة القومس . فقد جعل المسلمون على أهل الذمة والنصارى رئيسا منهم ، ولقبوه بقومس الأندلس أو زعيم نصارى الذمة ، وجعلوه مسئولاً أمامهم عن كل ما يحمل برماياهم من النصارى ، وأحاطوه بما يليق به من الاحترام .^(٢)

والقومس هو الرسم العربي لكلمة (Comes) اللاتينية وهو الزعيم أو الرئيس .^(٣)

وهذه الوظيفة وظيفة قديمة ولكن الجديد فيها هو اللقب يقول ابن الخطيب : "أشار على أبى الخطار أوطباس قومس الأندلس وزعيم مجم الذمة ، ومستخرج خراجهم لامراء المسلمين - وكان هذا القومس شهير العلم والدهاء - لأول مرة بضميريق القبائل الشاميين المسلمين من البلد ، ومن دار الإمارة بقرطبة إذ كانت لاتحملهم وانزالهم بالكور ، على شمس منازلهم التي كانت في كور شامهم" .^(٤)

(١) ابن حيان ، المقتبس ، ٤٥٤/٥ .
 (٢) د. حسين مؤنس ، فجر الأندلس ، ص ٤٥٩ . والنظر ابن الخطيب ، الإحاطة ، ١٠٦/١ هامش (٢) .
 (٣) ابن الخطيب ، الإحاطة ، ١٠٣/١ ، هامش (٣) .
 (٤) د. حسين مؤنس ، فجر الأندلس ، ص ٤٦٠ .
 (٥) ابن الخطيب ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، ١٠٣/١ .

ومعنى ذلك ان هذه الوظيفة كانت معروفة منذ عصر الولاة
فى الاندلس ، وكانت وظيفة القومس ، كما يظهر من النص هى
مناجاة اهل الذمة فى ادايتهم للخراج للدولة بمقتضى اساسية
المناجاة الى بعض المعام الاخرى التى تكلفه الدولة بها تجاه
اهل الذمة .

ويذكر ابن القوطية ان عبد الرحمن بن معاوية امر
بمصادرة بيع ارطباش عندما رأى كثرتها فى احدى غزواته ،
فباعت حاله ، فقدم قرطبة ، واستأذن فى مقابلة الامير عبد
الرحمن بن معاوية فاذن له ، وقابله ، ودار حوار بينه وبين
الامير عبد الرحمن ، فسر الامير من حديثه ، وامر له بعشرين
دينار من ثيابه مكرمت اليه ، وولاه القمامة فكان اول قومس
بالاندلس .^(١)

وفى عصر الامير الحكم بن هشام ، نجد ان القومس هو
"ربيع" الذى كان يتولى شئون المعاهدين من النصارى ، وكانت
له منزلة عند الامير الحكم ، ويرى ابن الخطيب ان الحكم
اطلق يده وسوغه اغتراف المفارم على المسلمين ، مما ادى
الى قيام ثورة الربيع .^(٢)

ولما قامت فتنة النصارى المحميين ضد الاسلام بقرطبة
- اذ ظهرت منهم فتنة تطعن فى الاسلام جهارا - فى عصر الامير
عبد الرحمن الاوسط ، وجه الامير عبد الرحمن قومس بن
انطونيان من خوليان عامل اهل الذمة للاجتماع مع الاساقفة فى
قرطبة ، وبين لهم خطورة مايمكن ان يترتب على اعمال هؤلاء
المضطربين وسببهم للنفسى - عليه اقلل الصلاة والسلام - من
المواقب الخطيرة بالنسبة للنصارى ، فاعذر الاساقفة قرارا

(١) تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٥٧-٥٨ .

(٢) اعمال الاعلام ، ص ١٥ .

باستعجال مملك أولئك المحترفين ، وتحذير البمارى الآخرين
(١)
من حذى مملكتهم .

ويبدو ان سلطان القمامة كان لا يقتصر فقط على المدن
التي ينتخبون فيها ، بل كان يتعدى الى غيرها من النواحي
التي تتبع هذه المدن اداريا . ويتقل الدكتور حسين مؤنس من
سيمونيت (Simonet) صاحب كتاب تاريخ المستعربين قوله :
"ولاشك انه كان يعاون القمامة موظفون آخرون أصغر منهم ،
كانوا يعملون تحت ادارتهم خاضعين لسلطانهم في المدن ،
وينوبون عنهم في القرى الداخلة في زمام ناهيتهم ، وكانوا
(٢)
يتولون الاعمال المختلفة من ادارية ومالية وقضائية" .

وفي الواقع ، ان المصادر الاسلامية التي بين ايدينا لم
تفعل كثيرا في امر هذه الوظيفة ، ولانجد الا بعض الاشارات
المقتضبة منها . ولكمعا على كل حال كانت ضمن الوظائف
الهامة التي ادخلها المسلمون الى نظامهم الاداري في الاندلس
وتدل هذه الوظيفة دلالة واضحة على مدى التصامح الذي اتصف
به المسلمون في الاندلس مع اهل الذمة .

(١) محمد عبد الله عفاان ، دولة الاسلام في الاندلس ،
٢٧١/١ - ٢٧٢ .
(٢) فجر الاندلس ، ص ٤٦٦ .

المبحث الثالث

الإدارة الإقليمية في الانتداب ١٢٨ - ٢٦٦ هـ

إدارة الأقاليم في الأندلس ١٢٨ - ٢٦٦ هـ

يجدر بنا قبل أن نتحدث عن الإدارة الإقليمية في الأندلس، أن نعرف ببعض المصطلحات، مثل الأقليم، والكورة، والريستاق، وماذا تعنى بالإدارة الإقليمية في الأندلس، لأن للأقاليم في الأندلس معنى غير المعنى المعروف بها في المشرق .

معنى الأقليم :

أورد ياقوت الحموي عدة اصطلاحات لمعنى الأقليم، وذكر أن الاصطلاح الأول للعامّة وجمهور الأمة، وهو جار على ألسنة الناس دائماً، وهو أن يسموا كل ناحية مشتملة على عدة مدن وقرى أقليماً مثل خراسان، والشام ومصر والعراق . وأما الأقليم عند أهل الأندلس فانهم يسمون كل قرية جامعةً كبيرة أقليماً، فإذا قال الأندلساني من أقليم كذا، فانما يعنى بلدة أو رستاقاً بعينه .^(١)

والريستاق كل موقع فيه مزارع وقرى، ولا يقال ذلك للمدن كالبصرة وبغداد، وأما المصريون في قولهم مصر مدينة كذا في زمن كذا، وفي قولهم مدينة كذا مصر من الأمصار .^(٢)

وأما الكورة فكل قطع يشتمل على عدة قرى، ولا بد لتلك القرى من لجة أو مدينة أو نهر يجمع اسمها .^(٣)

والذي نعنيه في هذا المبحث بالإدارة الإقليمية، هي ولاية البلدان في الأندلس، سواء كانت هذه البلدان كوراً أو مدناً أو أقاليماً .

(١) معجم البلدان ، ١ ج ، ص ٢٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ١ / ٢٨ .

(٣) المصدر نفسه ، ١ / ٢٦ - ٢٧ .

التقسيم الإداري للأندلس بعد الفتح الإسلامي :

لم تقدم لنا المصادر الأندلسية المعاصرة لفترة البحث معلومات
والية عن التقسيم الإداري للأندلس، فمعلوماتنا في هذا الشأن قليلة جداً.
وقد تتبعنا المصادر المتوفرة لدى، إلا أنني لم أجد فيها ما يعطى الجانب
الإداري قدراً كبيراً من الاهتمام . وقد أسهبت المصادر الأندلسية كثيراً
في ذكر الأحداث السياسية والعسكرية، وأولت ذلك جانباً كبيراً من الأهمية
ولكنها لم تتحدث بنفس القدر من الناحية الإدارية .^❶

وبالرغم من ذلك نستطيع من خلال المعلومات المتوفرة لدينا الربط
فيها بينها لمعرفة النظام الإداري الإقليمي في الأندلس، وتقسيماته
وكيفية إدارته .

لقد استقر المسلمون في الأندلس بعد فتحهم لها في سنة ٥٩ هـ / ٧١١ م،
وقد عرف هذا العصر بعصر الولاة، وكانت الأندلس في هذا العصر تتبع
إدارياً صاحب القيروان الذي يولى عليها الولاة من قبله أو من قبل والي
مصر .^(١)

وقد ظل الصراع في هذا العصر محتدماً بين العرب البلديين والبربر
الذين استقروا في الأندلس منذ الفتح الإسلامي، وبين العرب الشاميين

(❶) أشار بعض الباحثين كذلك إلى قلة المعلومات في الجانب الإداري في
الأندلس مثل د. حسين مؤني، فجر الأندلس، ص ٥٣٠ وما بعدها، هشام
طيم أبورميلا، نظم الحكم في الأندلس، ص ١٦٩ وما بعدها وكرر مسا
ذهب إليه د. حسين مؤني .

(١) الضبي، بغية الملتصق، ص ١١ .

(❷) العرب الذين دخلوا مع طارق وموسى بن نصير، يسمون بالعرب البلديين،
والذين دخلوا مع بلج بن بشر، يسمون بالعرب الشاميين . ابن الخطيب
اللمعة البدرية، ص ٢٦ .

الذين دخلوا بعد ذلك مع بلج بن بشر . وكان حرب الاندلس وبربرها —
(٢)
يعاربون الشاميين ويقولون لهم بلدنا بضيق بنا فاحرجوا عنا .

(٣)
فلما ولي اماره الاندلس الحسام بن ضرار الكلبي ، (ابو الخطار)
في سنة ١٢٥ هـ / ٧٤٢ م ، رأى تفريق جميع العرب الشاميين الغائبين على
البلد عن دار الامارة بقرطبة ، فأنزل في كورتي أكشونية وباجه جند مصر
مع البلديين الاول ، وأنزل باقيهم في كورة تدمير وأنزل في كورتي لبلة
واشهلية جند مصر مع البلديين الاول ايضا ، وأنزل في كورة شدونية
والجزيرة جند فلسطين ، وأنزل في كورة ربة جند الاردن ، وأنزل في كورة
السيرة جند دمشق ، وأنزل في كورة جيان جند قنسرين . وكان انزالهم على
(٤)
اموال اهل الذمه .

(١) هو بلج بن بشر القيسي ، شجاع فارس . كان واليا على طنجة وما والاها
فتكاثرت عليه مراكب خوارج البربر هناك ، فولى منهزما الى الاندلس
في جماعة من أصحابه ، فلما وصل اليها ادعى ولايتها ، وكان واليها
عبد الملك بن قطن فوقع في ذلك اختلافاً وفتنه الى أن ظفر بلج بعبد
الملك فقتله . وكان دخول بلج الاندلس سنة ١٢٣ هـ ، وتولى سنة ١٢٤ هـ ،
الطبي ، بغية الملتصق ، ترجمه ٥٩٢ هـ ، ص ٢٩٢ ، ابن عذاري ، البيان ٢٢/٢٠

(٢) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٤٢ .

(٣) هو ابو الخطار الحسام بن ضرار الكلبي ، قدم واليا على الاندلس من
لبل عنقله بن مفران صاحب افريقية والخطيفة حينئذ الوليد بن يزيد
ابن عبد الملك بن مروان وذلك في رجب ١٢٥ هـ . وكان اعرابيا عصبيا
أفرط في التعصب لليمانيين . وظل بعد أربع سنين وتبعة أشهر من
ولايته وذلك في سنة ١٢٨ هـ . وآل امره الى أن قتله الصميل بن حاتم
المصري ، نلح الطيب ، ج ٣ ، ص ٢٢ ، ٢٤ .

(٤) ابن الأبار ، الحلة السيرة ، ج ١ ، ص ٦١ - ٦٣ ، ابن عذاري ، البيان
المغرب ٢٠ / ٢٣ ، ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٤٤ ، ابن
الخطيب ، السمحة البدرية في الدولة النصرية ، ص ٢٦ . وقد سبقت الشرح
لهذه الكور . ويرى بعض المؤرخين أن انزال الشاميين في هذه الكور
يدل على أن الاندلس كان في ذلك الوقت المبكر مقسما الى كور
محددة وواضحة ، وقد ثبت هذا التقسيم كما هو الى آخر أيام الخلافة
الأموية ، مما يدل على أنه كان تقسيما طليما قائما على اسس طليمة
لم يحنج بعد الى تعديل وقد وجد العرب قائما فأدخلوا عليه
تعديلات ظلمة . وهذه الكور التسع هي التي عرفت بالكور المعجدة .
ابن الأبار ، المعبر السابق ، ج ١ ، ص ٦١ - ٦٣ ، هامش رقم (١) .

وذكر ابن حزم أن أحمد بن محمد الرازي التاريخي ألف كتاباً^(١)
ضمما ذكر فيه معالك الاندلس ومراسيها وأجنادها الستة .

وعليه فيمكن القول بأن نظام الأجناد هو التقسيم الإداري الرئيسي
الذي اعتمدته الدولة الإسلامية في الاندلس في بادئ الأمر .

وهناك من يرى أن الاندلس تشتمل على موسطة^(٢) وشرق وغرب . فالموسطة^(٣)
فيها من القواعد المعمرة التي كل مدينة منها مملكة مستقلة لها أعمال
ضخام ، وألنظار متسعة : قرطبة ، وطليطلة ، وجيان ، وغرناطة . والمرية^(٤) ،
ومالقة . فمن أعمال قرطبة : أستجة وبلگونه وقبره ورندة وفالق ، والمدور^(٥) ،
^(٦) ^(٧) ^(٨)

-
- (١) المقرئ ، نفع الطيب ، ٢ / ١٦٠ - ١٦١ .
(٢) الموسطة يقصد بها المنطقة التي تقع لاسي وسط شبه الجزيرة بالضبط
ولكن المنطقة التي تتوسط ماكان للمسلمين من هذه البلاد ، وتقع
مركزها العاصمة قرطبة . ابن حبان ، المحقق ، تحقيق د . محمود علي
مكي ، ص ٢٨٩ .
(٣) المقرئ ، نفع الطيب ، ١٦٥ / ١ - ١٦٦ ، ابن حديد ، المغرب ، ج ١ ، ص ٢٤٠ ، ٣٣ .
(٤) غرناطة من أقدم مدن كورة البيرة وأهمها وأحسنها . بينها وبين
البيرة أربعة فراسخ ، وبينها وبين قرطبة ثلاثة وثلاثون فرسخاً ، ياقوت
معجم البلدان ، ٤ / ١٩٥ .
(٥) المرية مدينة كبيرة من كورة البيرة . وكانت هي وبجانة بابي الشرق
منها يركب التجار ، وفيها تعمل مراكبهم ، وفيها مرأى ومرسى للسفن
والمراكب . ياقوت ، المعجم السابق ، ٥٠ / ١١٩ .
(٦) بلگونه هي عاصمة لكورة بلگونه . كانت أهلها بالسكان معروفه بالفرسان
ابن حديد ، المغرب ، ١ / ٢٢٢ .
(٧) ليرة : بينها وبين قرطبة ثلاثون ميلاً . وهي مدينة ماشحة ذات عيون
شقي منها العين التي عليها . اختلفت بكثرة الزيتون ، الحميري ، السروض
المعطار ، ص ٤٥٣ . الكور التي لم أعرف بها قد سبق تعريضها من قبل .
(٨) فالق : حصن بالاندلس من أعمال قصر البلوط . وهو حصن حصين ، ومعقل
جليد في أهل نجدة وحزم ، وجلادة وعزم . ياقوت ، معجم البلدان ، ٤ / ١٨٣
الحميري ، صفحة جزيرة الاندلس ، ص ١٢٨ ، الإدريسي ، صفة المغرب ، ص ٢١٢ .
(٩) المدور : حصن من حصون الاندلس المشيعة بالقرب من قرطبة ، كان الروم
يعتقون به في القميم ويعتمدون عليه . ياقوت ، معجم البلدان ، ٥٠ / ١٢٧
ابن حديد ، المغرب ، ١ / ٢٢٧ .

(١) وأطبة ، وبيانة ، والبيانة (٢) ، والقصير (٣) ، وغيرها . ومن أعمال طليطلة
وادي الحجارة وقلعة رباح ، وطمنكة وغيرها (٤) .

(١) أطبة : تقع على بعد خمسة وعشرين ميلا من قلشانة . وقلشانة هي
قاعدة شذونة وتبعد شذونة عن قرطبة مائة وعشرة أميال . الحميري
صفحة جزيرة الاندلس ، ص ٢٢ .

(٢) بيانة : من أعمال القرطبة ، وهي من مدن قنرة ، وعلى يمين الطريق
الذاهب الى قرطبة وشرقي قنرة ، بينهما عشرة أميال ، وهي على ربوة
من الأرض ، طيبة التربة كثيرة المياه السالحة ، ولها حصن منيع ، بها
أسواق ماهرة كثيرة البساتين والكروم والزيتون . الحميري ، صفحة
جزيرة الاندلس ، ص ٥٩ .

(٣) البيانة : وهي مدينة اليهود ولها ربخ يسكنه المسلمون وبعض اليهود
وبه المسجد الجامع وليس على الربخ سور ، والمدينة متحصنة بمسور
حصين . تبعد من قرطبة أربعين ميلا . الادريس ، صفحة المغرب ، ص ٢٠٥ .
(٤) القصير : عبارة عن حصن يقع على شرقي قرطبة على النهر . ابن سعيد
المغرب ١٠ / ٢٢٥ .

(٥) وادي الحجارة : وهي مدينة تعرف بمدينة الفرج بالاندلس ، وهي بين
الجوف والشرق من قرطبة ، وبينها وبين طليطلة خمسة وستون ميلا ، وهي
مدينة حسنة كثيرة الازواق ، جامعة لأثاث المنافع والغلات ولها أسوار
حصينة . بينها وبين مدينة سالم خمسون ميلا . الحميري ، الرواسي
المعطار ، ص ٦٠٦ ، صفحة جزيرة الاندلس ، ص ١٩٢ ، الادريس ، صفحة المغرب
ص ١٨٩ . وتنسب مدينة وادي الحجارة الى الفرج بن سالم المصموي
وتبعد مسافة نحو ستين كيلو مترا الى الشمال الشرقي من مدريد
في الطريق الخارج من هذه العاصمة الى سرقطة ، ابن حيان ، المقتبس
طبعة بيروت ، تحقيق د. محمود علي مكي حاشية رقم (٢٠٢) .

(٦) قلعة رباح : مدينة بالاندلس من أعمال طليطلة وهي غربي طليطلة وبين
الشرق والجوف من قرطبة . ولها عدة قرى ونواحي ويسمونها الاجسواء
يلوم مقام الاقليم . ياقوت ، معجم البلدان ٣٠ / ٢٢ .
وذكر الحميري أنها من عمل جيان . وهي مدينة محطته في أيام بنسفي
امية وقد أمر الأمير محمد بن عبد الرحمن في سنة ٢٤٩ هـ بتحصينها
والزيادة في مبانيها . الرواسي المعطار ، ص ٤٦٩ .

(٧) طمنكة : مدينة بثمر الاندلس ، بناها الأمير محمد بن عبد الرحمن ،
بينها وبين وادي الحجارة عشرين ميلا . الحميري ، الرواسي المعطار
ص ٣٩٢ .

ومن أعمال جيان : أبذة وبياسه ^(١) وقطلة وغيرها . ومن أعمال
 غرناطة : وادي أش ، والمتكب ولوشة وغيرها ، ومن أعمال المريجة :
 أندرش وغيرها ، ومن أعمال مالقة : بلش والحامة وغيرها * .
 (١) (٢) (٣) (٤) (٥) (٦) (٧) (٨)

وبناء على هذا التقسيم فإن الموصلة تحتوي على ستة قواعد كبرى
 عبارة عن مدن تتبعها أعمال صغيرة .

وبلاحظ ان بعض هذه القواعد أو المدن استحدثت في عصر بني
 أمية : كالمريجة * .

(١) بياسه : بينها وبين جيان عشرون ميلا ، وكل واحدة منهما تظهر من
 الأخرى ، تطل على النهر الكبير المنحدر إلى قرطبة ، وهي مدينة ذات
 أسوار وأسواق ومتاجر وحولها زراعات ، الحميري ، الروي المعطار
 ص ١٢١ .

(٢) قطلة : قرية في غرب الأندلس تعرف بقسطة الغرب . ابن سعيد ، المغرب
 ١ / ٤٠٠ .

(٣) وادي أش : مدينة بالأندلس قريبة من غرناطة ، كبرى تطرّد
 حولها المياه والأنهار ينحدر منها من جبل شلير وهو في شرقيها وهي
 على ضفته ، كثيرة التوت والأمناب وأصناف الثمار والزيتون . الحميري
 صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٩٢ .

(٤) لوشة : بالفتح ثم السكون . مدينة بالأندلس غرب البيرة قبل قرطبة
 منحرفة يحيرا بينها وبين قرطبة عشرون فرسا وبين غرناطة عشرة
 فراسخ . ياقوت ، معجم البلدان ، ٤ ، ص ٢٦ .

(٥) أندرش : مدينة من أعمال المريجة ، وهي من انحاء البلدان ، الحميري
 الروي المعطار ، ص ٤٢ ، صفة جزيرة الأندلس ، ص ٣١ .

(٦) وردت باسم بلش لدى ابن سعيد وهي مدينة في شرقي مالقة ، سامرة
 أهلة ، ضخمه الأسواق ، الحضارة أغلب عليها من البادية ، وليس لى
 قواعد أعمال مالقة مثلها في الحضارة ، وحولها ضياع كثيرة .
 ابن سعيد ، المغرب في ظل المغرب ، ١ / ٤٤٢ .

(٧) لم اجد لها تعريفا .

(٨) المقرى ، نفح الطيب ، ١ / ١٦٥ - ١٦٦ .

(١)

التي بناها عبد الرحمن الناصر . كما أن هناك بعض الأعمال الصغيرة مثل قلعة رياح وطمعك وأبذة كلها من مستحدثات الأمويين .

(٢)

وأما شرق الأندلس ففيه من القواعد : مرسية ، بولنسية ، ودانية ،
والسهلة ، والشفر الأعلى ، فمن أعمال مرسية : أوربوله (٥) ولقنت ولورلة (٦)
وفير ذلك . ومن أعمال بلنسية : شاطبة وجزيرة شقر وغير ذلك ، وأما
دانية فهي شهيرة ولها أعمال ، وأما السهلة فأنها متروكة بين بلنسية
وسرقطة ولذا عدها بعضهم من كور الشفر الأعلى ولها مدن وحصون ، ومن
أعمال الشفر الأعلى سرقطة وهي أم ذلك الشفر ، وكورة لاردة ، وقلعة رياح (٨) (٩)

(١) الحميري ، الروض المغطار ، ص ٥٢٧ .

(٢) دانية : مدينة بشرق الأندلس على البحر عامرة حسنة لها ربض هامر ،
وعليها سور حصين ، وسورها من ناحية المشرق في داخل البحر قد بنى
بهندسة وحكمة ، ولها قصبة منبجة جدا ، والسفن واردة عليها وصادره منها
ومنها كان يخرج الأسطول إلى الغزو . الحميري ، الروض المغطار ، ص ٢٢٢ .

(٣) السهلة : تسمى شنتمرية الشرق (شنت مرية ابن رزين) وهي في
شنتمرية التي من غرب الأندلس ، وهي مدينة جميلة عامرة بها أسواق
قائمة ، وعمارات متعلمة دائمة . الإدريسي ، صفة المغرب ، ص ١٨٩ ، أبو
الغداء ، تكوين البلدان ، ص ١٦٨ .

(٤) الشفر الأعلى في الأندلس قاعدته سرقطة ، وتقع في شرق الأندلس وهي
المدينة البيضاء . وهي قاعدة من قواعد الأندلس الكبيرة آهلة بالسكان
حسنة الديار والمساكن ولها سور حجارة حصين وهي على شفة النهر الكبير
المسمى أبهر ، الإدريسي ، صفة المغرب ، ص ١٩٠ .

(٥) أوربوله : مدينة قديمة كانت قاعدة المجمع وموقع مملكتهم . تقع على
شفة النهر الأبيض وهو شهرها ونهر مرسية . بينها وبين البحر عشرون
ميلا وتبعد اثنا عشر ميلا عن مرسية . العنزي ، ترميز الأخبار ، ص ١٠ ،
الإدريسي ، صفة المغرب ، ص ١٩٣ .

(٦) لقنت : مدينة صغيرة عامرة ويتجهز منها بالخطاء إلى جميع البلاد . وهي
مع مفرها تنشأ بها المراكب الطرية والحراريق . الإدريسي ، صفة المغرب ، ص ١٩٣ .
(٧) جزيرة شقر : جزيرة قريبة من شاطبة ، بينها وبين بلنسية ثمانية عشر ميلا .
الحميري ، الروض المغطار ، ص ٢٤٩ ، صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٠٢ - ١٠٣ .

(٨) لاردة : تقع في شرق القرطبة تتحل أعمالها بأعمال طركونه محوله عن
قرطبة إلى ناحية الجوف ، ينسب إلى كورتها عدة مدن وحصون ، يالوت ، معجم
البلدان ، ج ٥ ، ص ١٢ .

(٩) ورد ذكر قلعة رياح على أنها من عمل طليطلة وقد ترجمت لها في
موضعها .

وكورة ندليلة وكورة وشقة^(١) وكورة مدينة سالم^(٢)، وكورة قلعة أيوب^(٣)، وكورة
بريطانية، وكورة باروشة^(٤)،
^(٥) ^(٦)

ونلاحظ في تقسيم شرق الأندلس أن " مرسية " من القواعد التي بنيت
في عصر الأمير عبد الرحمن الأوسط، واتخذت دارا للعمال وقرارا للقساود^(٧)
ومدينة تطيلة محدثة بنيت في أيام بنو مروان اختطت في عصر الأمير الحكم
ابن هشام^(٨) . ومدينة سالم وقلعة أيوب من مستحدثات الفتح الإسلامي للأندلس .

(١) كورة وشقة وتكتب بالالف أحيانا " أشقة " تقع شرق سرقسطة وهي مدينة
قديمة متقنة العمارة . ياقوت، معجم البلدان ١٠ / ١٩٩ ، ابن خالـب
فرحة الأندلس، ص ٢٨٧ .

(٢) مدينة سالم مدينة جميلة في وطاء من الأرض كبيرة القطر كشيعة
العمارات . الأندلسي، صفة المغرب، ص ١٨٩ . ومدينة سالم لا تزال تحتفظ
باسمها العربي في الطريق بين مدريد وسرقسطة ، وتبعد عن مدريد ١٣٥ كيلو
مترا . وتدين مدينة سالم بفعل انشائها إلى سالم بن وردمال المسمودي
من كبار قادة البربر الذين دخلوا الأندلس في فترة مبكرة . ابن حيان
المقتبس، طبعة بيروت، تحقيق د. مكن عاشية رقم ٢٠٨ .

(٣) تبعد قلعة أيوب عن مدينة سالم خمسين ميلا شرقا ، وهي مدينة راقصة
البلعة ، حصينة شديدة المنعة بهية الاقطار كثيرة الأشجار كثيرة الغصن
الأندلسي ، صفة المغرب، ص ١٨٩ ، الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٦٣ .

(٤) بریطانية : مدينة كبيرة في شرق الأندلس يتمل عملها بعمل لاردة ،
وكانت حدا بين المسلمين والروم ولها مدن وحصون ، ولها أهلها جلادة
وممانعة للعدو . ياقوت، معجم البلدان ١٠ / ٣٢١ .

(٥) باروشة تقع في غرب سرقسطة وشرقي قرطبة بقرب أرض الفرنج ولها
بسيط وحصون . ياقوت، معجم البلدان ١٠ / ٣٢٠ .

(٦) المطري، نفع الطيب، ١٠ / ٣٢٠ .

(٧) الحذري، ترصيع الأخبار، ص ٦ .

(٨) أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ١٨١ ، أحمد بن محمد الرازي ، وصف
الأندلس، نقلا عن د. حنين مؤنس ، الجغرافية والجغرافيين في
الأندلس، ص ٦٩ - ٧٠ .

وأما غرب الأندلس ففيه أشبيلية ،وماردة ، وأشبونة ، وشلب ، ^(١)لمسبن ^(٢)
 أعمال أشبيلية : شريش والخضراء ، وغيرها . ومن أعمال ماردة بطليوس ^(٣)
 وبابرة ^(٤) وغيرها ، ومن أعمال أشبونة : شنترين ^(٥) وغيرها ، ومن أعمال شلب ^(٦)
 شنتصربة ^(٧) وغيرها .

ويلاحظ على تقسيمات غرب الأندلس أن بطليوس التي من أعمال ماردة
 امتدحت في العصر الأموي في عصر الأمير عبد الله ، والذي أسسها ~~هو~~
 عبد الرحمن بن مروان المصرون بابن الجليلي أول المخالفين في الأمير ^(٨)
 عبد الله .

ويضاف إلى هذا التقسيم الجزر البحرية مثل : جزيرة قادس ، وهي ^(٩)من
 أعمال أشبيلية ، وقال ابن سعيد : أنها من كورة شريش ، وشريش أيضا من

-
- (١) أشبونة : بقرى باجة وهي مدينة قديمة على البحر تنكسر أمواجه في
 سورها ، واسمها توربة وسورها رافق البنيان بديع الشأن . والمدينة لى
 ذاتها حنة معتدة مع البحر . الحميري ، صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٦ .
- (٢) شلب : مدينة بالأندلس بالقرب باجة ، ولها بسيط متح وبطائح منفسمة
 وبها جبل عظيم منيف كثير المسارح والمياه ، القزويني ، أشار البلاد ، ص ٥٤١
 وهي قاعدة كورة أكتونية يبعد البحر منها ثلاثة أميال إلى الغرب
 الحميري ، صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٠٦ .
- (٣) شريش : مدينة كبيرة من كورة شدونة وهي قاعدة هذه الكورة . ياقوت
 معجم البلدان ، ٢ / ٢٤٠ .
- (٤) بابرة : مدينة من كور باجة الأندلس وهي قديمة ، وتنتهي أهواز باجة
 فيما حواليها مائة ميل . الحميري ، الروض الممطر ، ص ٦١٥ .
- (٥) شنترين : مدينة معدودة في كور باجة ، وهي مدينة على جبل مال كثير
 العلو جدا . الحميري ، الروض ، ص ٢٤٦ ، الأدرسي ، صفة المغرب ، ص ١٨٦ . وكما سست
 الولا تتردد عليها من أشبونة وهي من عمل أشبونة . أبو الفداء ، تقويم
 البلدان ، ص ١٧٣ .
- (٦) مدينة من مدن اكتونية ، وهي مدينة حنة الترية متوسطة القدر بها مسجد
 جامع ، وبها المراكب صادرة وواردة ، وهي كثيرة الأعناب والتين ، وبينها
 وبين شلب ثمانية وعشرون ميلا . الحميري ، صفة جزيرة الأندلس ، ص ١١٤ ، ١١٥ .
- (٧) المقرى ، نلح الطيب ، ص ١١٤ - ١١٥ .
- (٨) ابن سعيد ، المغرب ، ١ / ٣٦٣ - ٣٦٤ .
- (٩) جزيرة قادس : جزيرة في غربي الأندلس تقارب أعمال شدونة ، طولها اثنا
 عشر ميلا . ياقوت ، معجم البلدان ، ٤ / ٢٩٠ .

(١) أعمال اشبيلية . وكذلك جزيرة شلطيخ وهي اهله (٢) .

لقد أحدث المسلمون تغييرا جذريا في البنية الاندلسية كلها ، ولد من هذا التغيير الجانب الإداري الى حد كبير .

صحيح أن العرب وجدوا تقسيمات إدارية محدودة ، فصاروا عليها ، ولكن الشيء الحال ، أن يدخل المسلمون على هذا النظام كثيرا من التغييرات والتعديلات ، أبان حكمهم لاندلس ، وعلى وجه الخصوص في ظل الدولة الاموية حيث نشأت مدن جديدة ، مثل مرسية ، العربية تطيلة . بطليوس .

وهذا التقسيم إلى موطن شرق وغرب ، هو التقسيم الإداري الذي استقرت عليه الأوضاع في ظل الدولة الاموية في الأندلس على ما يبدو ، ولقد ذكر ابن حيان : أن الامير عبد الرحمن بن الحكم " الأوسط " خرج غازيا الى بعض اهل الخلاف بالغرب الأقصى ، ورأى أن لا يدخل دار الحرب في تلك السنة ، فلم يستنفر أهل " الموطن " والتصر على مدونه (٤) .

وهذه الكور المجددة التي نزلت فيها أجناد العرب تدخل ضمن إطار هذا التقسيم ، ونلاحظ أن معظم هذه الكور المجددة تقع في دائرة الموطن والغرب في هذا التقسيم ، أما شرق الأندلس فلم يدخل في إطاره أي من الكور المجددة .

وعلى ذلك يمكننا القول أن تغييرا كبيرا طرأ على التقسيم الإداري الأول الذي وجدته العرب قائما ، إذ لم يلتصق الامويون على هذا التقسيم فقط ، وإنما أضافوا أقالما إدارية جديدة .

(١) المقرئ ، نفع الطيب ، ١٠ / ١٦٧ .

(٢) شلطيخ : جزيرة يحيط بها الماء من كل ناحية وتقع بقرب مدينة لبسة وهي جزيرة لا سور لها ولا حظيرة إنما هي بنيان متصل ببعضه ببعض وهي مرفأ للسفن وركاب البحر - الحميري ، ص ١١٠ - ١١١ .

(٣) المقرئ ، نفع الطيب ، ١٠ / ١٦٧ - ١٦٨ . يرى د. حسين مؤنس أن تقسيم الأندلس إلى موطن شرق وغرب تقسيم نظري لمجرد التقريب ، أنظر تاريخ الجغرافية والجغرافيين ، ص ٤٩٣ - ٤٩٤ . ولكن الذي أراه أن هذا التقسيم معقول إلى حد كبير إذ حدد لنا أعمال كل كورة من الكور تحديدا واضحا .

(٤) ابن حيان ، المقتبس ، ط القاهرة ، ص ١٨٠ .

الإدارة الأموية للأقاليم في الأندلس :

كان الاتجاه الإداري في الأندلس الإسلامية يميل نحو الأقسام الإدارية الصغيرة لضبط الأمن وربط المال . ولذلك اكتفى المسلمون بنظام الكور كل كورة تتبعها مدن ، وكل مدينة تتبعها أقاليمها أو زماماتها ، وقد أدى ذلك إلى تبسيط السلم الإداري ، فالإدارة المركزية يتبعها مجال الكور ، ومجال الكور يتبعهم مجال المدن وهم المسؤولون عن زمامات المدن أو أقاليمها ^(١) . وهذا ما نلاحظه في التقسيم السابق .

(٢)

وكان لكل كورة من الكور أمين مسئول عن الناحية العالية للكورة كما كان للكور المجندة واليا يشرف على شئونها من قبل الإمارة ^(٣) . وهو غير العامل أو الوالي على الكورة وذلك لأهمية هذه الكور المجندة بالنسبة للدولة .

وكذلك فقد كان لكل كورة من الكور قاضي يعين من قبل الأمير أو الخليفة ، وقد وردت إلينا أسماء عدد كبير من القضاة ، الذين ولوا قضاء الكور ، في عصر الإمارة والخلالة ^(٤) . وكذلك كان لها وال للطلاة ^(٥) .

وتطورت الإدارة الإقليمية تطوراً كبيراً في العصر الأموي ، وسادت ، وأحدث فيها الجديد ، فقد أحدث في الشهور إمارة مستقلة عرفت بإمارة الشهور ومقرها سرقطة ، وأحدثت إمارة البحر ومقرها في المرية ^(٦) .

(١) د. حسين مؤنس ، فجر الأندلس ، ص ٥٥٤ ، ٥٥٥ .

(٢) ابن الفرغى ، تاريخ علماء الأندلس ، رقم ٤٥٥/١٠٨٠٨ ، ابن الأبار ، الحلية السير ، ج ١ ، ص ٢٤١ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٤١ .

(٤) انظر قدحشى ، القضاة قرطبة ، ص ٦٣ ، التباهى ، تاريخ قضاة الأندلس ، ص ٥٦ ، ٥٧ ، ٦٠ ، ابن الفرغى ، تاريخ علماء الأندلس ، رقم ٥٩ ، ٢٥٥ ، ٤٩٨ ، ٢٥٦ ، على سبيل المثال ١٢٨٨ .

(٥) ابن الفرغى ، تاريخ علماء الأندلس ، ٢ / ٧٨٤ ، ٧٨٧ ، ٧٩٦ .

(٦) د. عبد الرحمن الحجي ، التاريخ الأندلس من الفتح الإسلامى حتى سقوط غرناطة ، ص ٢١٥ - ٢١٦ .

وكانت هذه الكور والاقاليم مرتبطة ارتباطا وثيقا بالعاصمة قرطبة ، وكان كل ما يحدث فيها يصل الى العاصمة في اصرع وقت ممكن ، وذلك من طريق المظلمين على رفع الاخبار الذين كانوا يتواجدون في كل مدينة من مدن الاندلس . وكذلك عن طريق المقلحين الذين يقيمون بالطرق خارج العاصمة قرطبة ، حيث كانوا يصلون في كل يوم جمعة مع الامراء بقرطبة ويصلون عليهم ويطلبونهم على احوال بلادهم .

وكان يتبع العاصمة قرطبة وحدها خمسة عشرة اقليما ، كل اقليم منها يحتوى على حصون وقرى وبروج كثيرة .

- (١) ابن حوقل ، صورة الارض ، ص ١١١ .
- (٢) المقلح هو الطليع المشاور الذي تكون له الطتيا في الاحكام والشرائع مجهول وصف جديد لقرطبة . ص ١٧٠ .
- (٣) المصدر نفسه ، ص ١٧١ - ١٧٢ .
- (٤) مجهول ، وصف جديد لقرطبة ، ص ١٧٠ - ١٧١ . وهذا الاقليم هو : -
الليم المدور ، وعدد قراء تحون قرية . اقليم القصب وفيه سبع
وشمانون قرية وثلاثون برجا وسبعة حصون . اقليم لورمر ، فيه ثلاثة
حصون وأربعة وستون قرية وستة عشر برجا . اقليم الحدف ، وفيه ثمانية
حصون وعشرون برجا وثمانية وعشرون قرية . اقليم بنى مصر ، وفيه
ثلاثة عشر حصنا وسبع عشرة قرية وستة بروج . اقليم منيانة ، وفيه
ثلاثة حصون وسبعة ابراج وثمان وأربعون قرية . اقليم الهرهار ، وفيه
ثلاثة عشر حصنا وستة عشر برجا وثلاثة وربعون قرية . اقليم الملاحة ،
وفيه ستة حصون وسبعة عشر برجا وأربع وثمانون قرية . اقليم الشعر ،
وفيه عشرون حصنا ، وأربعون برجا وتسعون قرية . اقليم السهلة ، وفيه
ستة وعشرون حصنا وخمسة وثلاثون برجا ومائة واثنان قرية . اقليم
أولبة ، وفيه ستة حصون وعشرون برجا وستة وثمانون قرية . اقليم
الوادى ، وفيه سبعة عشرة حصنا واثنان وثلاثون برجا ومائة واثنان
عشر قرية . اقليم اى مريم ، وفيه اثنا عشر حصنا واثنان وثلاثون
برجا ومائة وثلاثة عشر قرية .

وذكر المقدسي أن الاقاليم المحيطة بقرطبة هي ثلاثة عشر اقليما مع مدنها وأنه سأل أحد العقلاء من الاندلسيين فقال له انهم يسمون الرستاق اقليما وذكر هذه الاقاليم الثلاثة عشر وخالف التقسيم الانف الذكر وذكر جيان ضمن هذه الاقاليم (وجيان من الكور المجندة) انظر المقدسي المعروف بالمشاور ، أحسن التقاسيم ، ص ٢٢٤ - ٢٢٥ . وذكر العذري أن الاقاليم المحيطة بقرطبة هي خمسة عشر اقليما أورد منها اثنا عشر اقليما . انظر ترميغ الاخبار ، ص ١٢٤ وما بعدها .

تولية الولاية وعزلهم :-

لم تستقر الأوضاع في مدن وكور وأقاليم الأندلس المختلفة للأمير عبد الرحمن الداخل بصورة نهائية، إلا بعد أن يذل الكثير من أجل ذلك. وكان الكثير من هذه الكور والمدن خارجا على سلطان العاصمة قرطبة، وكانت مصدر قلق وإزعاج للامارة الأموية الوليدة، ولذلك لم يتوان الداخل وخطاؤه في إرسال الحملات، والجيوش المتتالية، وقيادتها بأنفسهم أحيانا لاختراع هذه الكور أو المدن (١).

ولذلك فإن ملامح الإدارة الإقليمية في عصر الإمارة ليست واضحة ككل الوضوح ونتيجة لعدم الاستقرار، الذي ظل سمة بارزة من سمات الأندلس إبان عصر الإمارة.

وعلى الرغم من عدم الاستقرار في كثير من أنحاء الدولة، فإن سلطة تولية الولاية وعزلهم كانت بيد الأمير. فالأمير عبد الرحمن بن معاوية كان يولي الولاية من قبله.

(٢)
لقد كان أبو الصباح بن يحيى اليحصبي واليا على اشبيلية من قبل الأمير عبد الرحمن بن معاوية، وعزله عن ولايتها في سنة ١١٤٩هـ / ٧٦٦ م.

وولى اشبيلية للداخل أيضا حسان بن مالك أبو عبيد، الذي استطاع أن يسيطر باجة، ومدن الغرب لمدة خمسة أعوام إلى أن توفي بإشبيلية (٤).

(١) اسطر المبحث الأول الخاص بعصر الإمارة.

(٢) هو أبو الصباح بن يحيى اليحصبي. كان الداخل قد ولاه اشبيلية شمس مرله عنها فجمع اليه أهل الخلاف وثار عليه، فوجه اليه الأمير مسوولا تماما فلافقه حتى ألنعه بالاستسلام ثم قدم به قرطبة في أربعمائة رجل من أصحابه على غير عهد. فعاتبه الأمير عبد الرحمن فأغلظ أبو الصباح في الجواب فأمر الداخل بقتله وكان ذلك في سنة ١١٤٩هـ. ابن عسكاري البيان المغرب ٢٠ / ٥٣ - ٥٤.

(٣) المصدر نفسه ٢٠ / ٥٣.

(٤) ابن الأبار، الطبعة السيرة، ج ١، ص ٢٤٦.

رولى الداخلى رزق بن التعمان الفسانى على كورة الجزيرة وعمره
(١)
عنها فى سنة ١١٤٣ هـ / ٢٦٠ م .

(٢)
ومن ولاية الامير عبد الرحمن بن معاوية ، الرماحى بن عبد العزيز الذى
(٣)
كان واليا على الجزيرة حتى سنة ١١٥٥ هـ / ٢٧١ م .

رولى الداخلى " هلال " البربرى ، عمالة شنت برية ، وكتب له هذا على
قومه بذلك ، وكان يرمى من وراء تولية هلال البربرى ، القضاء على اعدائهم
(٤)
الثورات التى قادها احد البربر بشنت برية .

وكان يعهد بولاية بعض الكور الهامة الى بعض امراء البيت الاموى
مثل ماردة ، فقد كان هشام بن عبد الرحمن ولى العهد واليا عليها حتى
(٥)
وفاته والده . اما سليمان بن عبد الرحمن الداخلى فقد كان واليا على
(٦)
طليطلة .
(٧)

وطليطلة من المناطق التى استعمت ادارتها على الامويين كثيرا ، فقد
اتعمت عبد الرحمن الداخلى سبع سنين ، وانتقلت على هشام والحكم وعلسى
(٨)
عبد الرحمن الاوسط الى ان جاء الناصر فأدخلهم فى الطاعة كلها .

-
- (١) العذرى ، ترميع الاخبار ، ص ١٢٠ .
(٢) الرماحى بن عبد العزيز كان على شرط مروان بن محمد فلقح بالاندلس
فولاه الامير عبد الرحمن الجزيرة فخلق طاعته فغزاه الامير عبد الرحمن
الداخلى الا ان الرماحى تمكن من النجاة الى الهدوة . ابن عسذارى
البيان المغرب ، ٢ / ٥٦ .
(٣) العذرى ، ترميع الاخبار ، ص ١١٨ .
(٤) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٢ / ٥٤ - ٥٥ .
(٥) ابن عسذارى ، البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٢٦١ .
(٦) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٢ / ٦١ ، ابن الاثير ، الكامل لى التاريخ
٥ / ٨٤ ، التويرى ، نهاية الارب ، ج ١٢ ، ص ٢٥٢ - ٢٥٣ .
(٧) ابن الاثير ، الكامل ، ٥ / ٨٤ .
(٨) ابن خلدون ، المعبر ، ٤ / ٢٠٥ .

يتضح لنا مما سبق أن سلطة تولية الولاية ومزلهم كانت بيد
الامير عبد الرحمن الداخل .

ويبدو أن الأوضاع الادارية الاقليمية استمرت كما هي عليه ، الى عصر
الامير هشام بن عبد الرحمن ، الذي كان دائم المراقبة لعماله . فلقد
كان هشام يبعث الى الكور قوما عدولا يسألون الناس عن سير العمال ثم
ينصرفون اليه بما عندهم فاذا بلغه فلم اعدم ، أوقع به العقوبة وأسلطه
(١)
ولم يستعمله .

ولقد ساد عصر الامير هشام شيئا من الصراع بين أخويه سليمان
وعبد الله . وقد مررت لهذا الصراع في مبحث الإمارة .

واستمرت سلطة تولية الولاية ومزلهم في عصر الإمارة بيد الامير ، فلقد
كان الامير عبد الرحمن الاوسط ، يولى الولاية من قبله ويصدر أوامره بمزلهم ،
فلقد بلغ رزق عامله على الثغر الاعلى مائتي دينار في الشهر ، إضافة الى
الف دينار في السنة من مال الجباية . وذلك لأهمية الثغر الاعلى ولربه
(٢)
من العدو .

ولكن سلطة تولية الولاية ومزلهم ، تذبذبت كثيرا في عصر الامير
عبد الله بن محمد لكثرة الخارجين على الإمارة ، فلم تعد للإمارة في
تلك الفترة القدرة على السيطرة على هؤلاء الشوار الذين استقل كل
منهم بكورة أو مدينة من المدن . ولقد تحدثنا من هؤلاء الشوار بشيء من
التفصيل في مبحث الإمارة .

(١) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٢ / ٦٦ ، المقرئ ، فتح ، ١ / ٢٢٧ .

(٢) ابن حيان ، المقتبس ، طبعة بيروت ، ص ٦ ، ٧ ، وانظر العذري ، ترصيع
الاخبار ، ص ٢٩ .

نشأة خطة القطع في عصر الأمير عبد الله :

كثر الخارجون على الإمارة في عصر الأمير عبد الله بن محمد (٢٧٥ - ٣٠٠هـ) ، واستقل كل من هؤلاء الشوار بفاهية من نواحي الاندلس . فعلى سبيل المثال غلب ديسم بن امحاق على مدينتي لورقة ومرسية ^(١) ، "وكان عظيم الذكر بعيد الميت كثير الاتباع مظاهرا لأهل الخلاف ، ممدا لهم في حروبهم ، وكانت له غزوات إلى من يخالفه ، وقواد مشهورون يخرجهم بخيله إذا لم ^(٢) يغزو" .

وملك مهيد الله بن أمية جبل شملتان ومايلها من كور حيان ، واستولى على الحسن المعروف بحسن ابن عمر فجاهر بالخلعان ، واستوسع فيما يجاوره واستفحل شره ، وانطلقت يده ، وبنى المباني الفخمة ، وكان له رجال شجعان ، وقواد معروفون يخرجهم بجيشه لمقاومة من يحاده إذا لم يخرج بنفسه ^(٣) .

ومن الخارجين على الأمير عبد الله بن محمد ، عبد الرحمن بن مروان بن يونس المعروف بابن الجليقي . وهو امام المردة كما يسميه ابن حيان وأول من خرج على الأمير محمد كما ذكرنا - وهو الذي فارق جماعة المسلمين وحاربهم ، وجاور أهل الشرك والاهم على المسلمين ، إلا أنه رجع إلى الطاعة مرة أخرى ، وجعل مدينة بطليوس دار مملكته ، وكانت

-
- (١) لورقة : إحدى المعاقل السبعة التي عاهد عليها تدمير وهي على ظهر جبل ، بينها وبين مرسية أربعون ميلا الحميري ، الروق المعطار ، ص ٥١٢ .
ومرسية هي قاعدة تدمير بناها الأمير عبد الرحمن بن الحكم وهي في مستو من الأرض . العذري ، حوصيع الاختبار ص ٦ .
- (٢) العذري ، حوصيع الاختبار ، ص ٩ . ابن عذارى ، البيان المغرب ، ١٣٥/٢ .
- (٣) ابن حيان ، المقتبس ، نشر منشور ، ص ٩-١٠ . ابن عذارى ، البيان المغرب ، ١٣٥/٢ .

شاة خطة القطع في عصر الأمير عبد الله :

كثر الخارجون على الأمانة في عصر الأمير عبد الله بن محمد (٢٧٥ - ٣٠٠هـ) ، واستقل كل من هؤلاء الثوار بناحية من نواحي الأندلس . فعلى سبيل المثال غلب ديسم بن إسحاق على مدينتي لورقة ومرسية ^(١) ، وكان عظيم الذكر بعيد الميت كثير الاتباع مظاهرا لأهل الخلاف ، ممدا لهم في حروبهم ، وكانت له فزوات إلى من يخالفه ، وقواد مشغورون يخرجهم بخيله إذا لم يفلزو ^(٢) .

وملك عبيد الله بن أمية جبل شمشان ومايلها من كور حيان ، واستولى على الحصن المعروف بحصن ابن عمر فجاءه بالخلعمان ، واستوسع فيما يجاوره واستفحل شرو ، وانطلقت يده ، وهنى المباني الفخمة ، وكان له رجال هجمان ، وقواد معروفون يخرجهم بجيشه لمقاورة من يحاده إذا لم يخرج بنفسه ^(٣) .

ومن الخارجين على الأمير عبد الله بن محمد ، عبد الرحمن بن مروان بن يونس المعروف بابن الحليقي . وهو أمام المردة كما يسميه ابن حيان وأول من خرج على الأمير محمد كما ذكرنا - وهو الذي فارق جماعة المسلمين وحاربهم ، وجاور أهل الشرك والاهم على المسلمين ، إلا أنه رجع إلى الطاعة مرة أخرى ، وجعل مدينة بطليوس دار مملكته ، وكانت

(١) لورقة : إحدى المعاقل السبعة التي شاهد عليها تدمير وهي على ظهر جبل ، بينها وبين مرسية أربعون ميلا . الحميري ، الروض المعطار ، ص ٥١٢ .
ومرسية هي قاعدة تدمير بناها الأمير عبد الرحمن بن الحكم وهي في مستو من الأرض . العذري ، ترميع الأحرار ، ص ٦ .

(٢) العذري ، ترميع الأخبار ، ص ٩ ، ابن عذارى ، البيان المغرب ، ١٣٥/٢ .

(٣) ابن حيان ، المقائيس ، نشر منشور ، ص ٩-١٠ . ابن عذارى ، البيان المغرب ، ١٣٥/٢ .

وهذا من ثورته ، فرجع الى الطاعة الا انه سرعان ما اشار مرة اخرى ، وابدعت الفتنة بثورته بين المولدين والعرب وعمت لري اشبيلية هرقا وغريا .^(١)

هذه امثلة لبعض الخورات التي عمّت الاندلس خلال هذه الفترة .

وازاء هذه الموجة العارمة من الحركات الاستقلالية والتي شبعناها فيما سبق بعمر دويلات الطوائف الاولى ، لم تجد الامارة الاندلسية بدا من الاعتراف بسلطات هؤلاء الامراء المستبدين بالنواحي ، ومن ثم انشأت خطة خاصة عرفت "بخطه القطع"^(٢) .

والقطع جمع قطيعة وهي تعنى مبلغ من مال الجباية يتعهد بادائه سادة النواحي الذين تعجز الدولة من السيطرة عليهم ، فتتركهم على مناطقهم في مقابل ادائهم لهذا المبلغ وقد يتعهد المستبد باداء القطيعة دون ثورة او قطع للطامة، وكانت الدولة الاموية حذرك بالامر الواقع ، وتكتب لبعض الافخاص المتغلبين سجلا رسميا على مناطقهم على ان يعترفوا بسلطة الامارة .^(٣) وهذا الاعتراف يحل في اداء هؤلاء المتغلبين مبلغا من الجباية للامارة .

ومن هؤلاء الامراء المتغلبين الذين كانوا يلتزمون باداء هذه الغريبة للامارة ، ابراهيم بن حجاج بن عمير اللخمي ، الذي ملك اشبيلية وقرمونة ، وقد اتخذ لنفسه جندا جعل ارباقهم طبقات كفصل السلطان ، وبلغ عددهم خمسمائة فارس ، ولم يجاهر بالمعصية في اكثر اوقاته ، ولاخلع في

(١) ابن حيان ، المقتبس ، ص ٦٦-٦٧ .
(٢) انظر ابن الابار ، الحلة الميراء ، ٢٢٣/١ .
(٣) ابن الابار ، الحلة الميراء ، ٢٢٣/١ ، هامش (١) .
(٤) انظر العذري ، ترميع الابار ، ص ١٢، ١٣، ١٤-١٥، ٢٠٠١٥ .

جميع مدته ، وكان مال مفارقتة يرد على الأمير عبد الله في كل سنة ، ومدده يتوافق اليه في كل مائة .^(١)

ونلاحظ أن ابن حجاج لم يكتب يدفع "مال مفارقتة" فقط بل كان يرسل إلى الإمارة عددا من الجنود ليشاركوا في الغزو مع جيش الإمارة في كل مائة . وقد بلغ مقدار المبلغ الذي كان يؤديه إلى الإمارة سبعة آلاف دينار في بعض الأحيان . ومن هؤلاء المتقربين الذين اعتنوا بالإمارة وأدوا لها نظيما من الجباية ، ديسم بن اسحاق ، وذلك بعد أن غزاه قائد الأمير عبد الله ، أحمد بن محمد بن أبي عبده ، وحاربه وفاز به ، وغرب ديسم الدراهم على اسم الأمير عبد الله . وكان يوجه بالأموال إلى حصون الثغر لتشييدها ويحبس الخيل والسلاح على أهلها .^(٢)

وكان أول من تصرف للأمير عبد الله في خطا القطع هو موسى بن محمد بن سعيد بن موسى . وكانت مهمته في متابعة هؤلاء المستبدين بالنواحي في ادائهم للأموال التي التزموا بها للإمارة .

وفي بداية عصر الخلافة أيضا نجد أن الناصر كان يقر بعض هؤلاء الخارجين نظير مبلغ من المال ، والتزام بالطاعة ومن هؤلاء : خلف بن بكر ، الذي كان متخفيا على مدينة أكشولبة^(٣) ، وكان خلف من مجرمي أهل الخلاف المستبشرين في الفوايا ، وقد غزاه الناصر بنفسه فبادر إلى الطاعة ، والحرم ادراة الجباية الوافرة ، وحسن السيرة في الرعية ، فافره الناصر على ولاية بلدة ، وفارقه على عدد مقرر من جباية بلده يجعله لعلاقاته في كل عام إلى حفرته .^(٤)

(١) ابن حيان ، المقتبس ، ١١/٣-١٢ .
 (٢) ابن حيان ، المقتبس ، نشره مطبوع انطولية ، ص ٨٢ .
 (٣) العدري ، ترميع الاخبار ، ص ١١-١٢ .
 (٤) ابن الأثير ، الحلة السيرة ، ٢٢٢/١-٢٢٣ .
 (٥) مدينة أكشولبة تحمل بأحوال الألبونة ولها سجل مطبوع .
 كشيرة المرافق وضروب الثمار . لها عدة أقاليم وحصون
 ابن غالب الأندلسي ، فرحة الأندلس ، ص ٢٩١ .
 (٦) ابن حيان ، المقتبس ، ٢٤٨/٥-٢٤٩ .

الإدارة الإقليمية في عصر الخلافة :

لقد كانت إدارة الأقاليم طيلة فترة الإمارة رهينة بقوة وبعد سلطان الإمارة ، فعندما تكون الإمارة قوية تستطيع أن تسيطر هيبتها ، وتسيطر على الأوضاع في أقاليم الدولة المختلفة ، ولذلك فإن الإدارة الإقليمية في عصر الإمارة كانت متارجحة إلى حد كبير ، ولم تستقر تماما إلا في عصر الخلافة ، عندما أضاف الناصر للدولة هيبتها ووحدتها وتماسكها .

وكانت تولية الولاء وعزلهم في عصر الخلافة بيد الخليفة كما هو الحال في عصر الإمارة ، حيث كانت تولية الولاء وعزلهم بيد الأمير ، وقد أورد العذري أسماء عدد من الولاء الذين ولاهم الناصر على بعض كور الأندلس مثل سرقسطة ، وطليطلة ، وقلمنة أيوب ، وبربختر ، ووهقة ، وكان يكتب سجلا للشخص الذي يوليه منطقة من المناطق ^(١) .

كما أمدنا ابن حيان في الجزء الخامس من المقتبس . والناصر بعمر الناصر بقوائم تفصيلية لولاء الناصر على كور ومدن الأندلس المختلفة ، مما يدل على أن زمام الأمور كلها كانت بيد الناصر ، ولأول مرة نرى مثل هذه القوائم التفصيلية لولاء الأمويين على كور البلاد المختلفة منذ تأسيس

(١) انظر العذري ، تجميع الأخبار ، ص ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٧ ، ٥٠ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٧٣

(١)

دولتهم في الأندلس .

(١) ففي سنة ٢١٧هـ كان ولاية الناصر على المناطق المختلفة كالآتي : طرطوشة القامية وخفروها ، عثمان بن عبيد الله ، كورة البجيرة : موسى بن سعيد بن عدير ، كورة شدونة : عبيد الله بن قهر ، كورة استجة : أمية بن محمد بن شعيد ، كورة تاكلنا : عبد الله بن محمد بن بغث ، حمن بلاي واحوازه : سعيد بن أبي القاسم الخال وحاضرة بيالة ومايلها لاحمد بن شراحيل ، كورة الجزيرة الخضراء : عبد الله بن اسحاق ، كورة لبللة : شعيد بن مغل ، كورة اشونة : دلعات بن محمد ، كورة مورور : عبد الوهاب بن محمد ومحمد بن بدر جميعا ، كورة ريه : عبد الله بن محمد بن أمية بعد ما فرق أعمالها على عدة من العمال ، كورة جيان : محمد بن احمد بن أبي عثمان ، كورة بسطة : عبد الله بن احمد بن أبي عبده ، كورة تدمير : احمد بن محمد بن أبياس ، كورة بلنسية وشاطبة معا : عبد الله بن محمد بن عقيل كورة شنت بريبة : يحيى بن أبي الفتح بن ذي اللون ، ظلمكة : فرسية بن احمد ، كورة قلعة رباح : شبيب بن احمد ، ظلييرة : عبد الملك بن مروان بن الشمس الفرشي ، مجريط عبد الله بن محمد بن عبد الله ، انجيشة : اسماعيل بن لب ، مدينة الفرج : اوزاق بن ميمرة ، مدينة بربشتر وبربطالية والقصر واحوازها من الخفر : ميموس بن محمد ، قصر ابن ادانس بالساحل الغربي ومايلها من الجبل : يحيى بن ادانس وعبد الله ابن ميمر بن ادانس ابن اخيه معا ببلدهما المنسوب اليهم مدينة ماردة : محمد بن اسحاق ، مدينة توجيلة احمد بن سكن ، كورة اكشوية : خلف بن بكر ، مدينة يابرة : عبد الملك بن بشر ، كورة باجة : عبد الرحمن ابن سعيد بن مالك ، مدينة شعربين : خطيب بن أيوب ، ابن حيان ، ج ٥ ، ص ٢٥٢-٢٥٥ .

ويلاحظ على هذا البيان ، أنه بعد سنة واحدة فقط من إعلان الخلافة نرى هذا العدد الكبير من الكور والمدن تخضع لسلطة العاصمة قرطبة ، ويولى عليها الخليفة عمالا من قبله ، ولم يحدث طيلة عصر الدولة الأموية منذ تأسيسها بالاندلس أن رأينا هذا الكم الهائل من الولاة الذين يتبعون للسلطة المركزية . وقد دخلت معظم الكور المجتدة في طاعة الخلافة ، وكانت من قبل من مراكز الثورة عليها ، ودخلت الكثير من الكور في شرق وغرب ووسط الاندلس في الطاعة ولم يبق الا القليل منها .

وفي سنة ٣١٨ هـ / ٩٢٠ م استبدل الناصر عمال البلاد بآخرين ، ودخلت الجرائر الشرقية ميورقة ومنورقة وبابسة ضمن المناطق الخاضعة للخلافة ، وولى عليها الناصر واليا من قبله .^(١)

وأمننا ابن حيان بتفصيلات أخرى عن عزل الناصر لعدد كبير من الولاة وتولية آخرين مكانهم في سنتي ٣٢٩ هـ / ٩٤٠ م - ٣٣٠ هـ / ٩٤١ م ، مما يدل على أن زمام الأمور صارت بيده ، وأن الإدارة الإقليمية قد ترسخت في عهده ، فأصبح يجري تغييرات مستمرة على الولاة ، وذلك حتى لا يستبدوا بالنواحي^(٢) .
وفي سنة ٣٣٠ هـ / ٩٤١ م :

سرى الناصر كورتى البيرة وبجانة وذواتهما الى نظر ولى هذه الحكم ابنه وصار العمال فيهما من قبله فاستبدل عمال البيرة ورية وبرجونة ودلاية وبعض الحصون والاجزاء بعمال آخرين ، واستبدل الناصر أيضا في هذه السنة كثيرا من ولاته على معظم كور الاندلس ، وأضاف بعض العمال الى بعضها كما فقد سجلاحي بن محمد بن هاشم التجيبى على مدينة سرقطة وعمالها^(٣) وقد كانت سرقطة قاعدة الثغر الأعلى من آخر المناطق التى دخلت لسلطة طاعة الخلافة وقد وفد صاحبها محمد بن هاشم التجيبى المستنزل منها الى باب مدينة الخليفة الناصر في سنة ٣٢٦ هـ / ٩٣٧ م فأكرم وفادته وولاه على وطنه^(٤) سرقطة وعلى الجهات التى تليها .

(١) ابن حيان ، الملتبس ، ج ٥ ، ص ٢٨٤ - ٢٨٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٧١ - ٤٧٢ ، ٤٨٨ - ٤٩١ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٤٨٨ وما بعدها .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٤٢٣ - ٤٢٤ .

وبدخول سرقسطة في طاعة الخلافة تكون الاندلس كلها قد دانت بولايتها
الثام للخلافة في قرطبة نتيجة للسياحة الحكيمة والحازمة التي سلكها
الناصر في إعادة المخالطين الى سلطان الدولة .

ولما جاء الخليفة الحكم المستنصر الى الحكم سارت الامور على
النحو الذي رتبته والده ، وكان يعهد الى الولاة على الكور بكتب يبين لهم
المنهج الذي ينبغي ان يسيروا عليه في ادارتهم لمناطقهم ، فعندما ولى
أصغ بن محمد بن فطيس ^(١) تلك كورة رية ، خاطبه بكتاب نصخته : " بسم
الله الرحمن الرحيم : أما بعد : فانما تستدأم النعمة بشكرها ، وتعرف
النميعة باستعمالها ، وبالنميعة تتفاوت منازل العبيد لدى ساداتها ، وقد
رأى أمير المؤمنين فيك رأيا عظمت به عليك النعمة ، فامح للمحافظة عليها
بحقدار عقلك وكفايتك ، أو بحسب نعمك وتلقميرك ، فاستعن بالله وخذ بالرفق
في امرك ، ووقلة الرفقة في شأنك ، واجتنب التحامل على رعيته ، فانها ممن
حفي عناية أمير المؤمنين بموضع لا يترك معه البحث عن احوالها والكشف عن
سيرته فيها ان شاء الله ، ورأى تقليدك شطر كورة رية ، وهي من اهم كور
الاندلس عليه ، برا وبحرا ، وجباياتها وبيعائها ، فاضطر أي خادم تكون ،
وشاكرا للنعمة تظهر ، ان شاء الله " . ^(٢)

ان كورة رية من كور قبلى قرطبة ذات الخيرات الكثيرة ، والمدن
الكثيرة ^(٣) ، وقد ولى الخليفة الحكم المستنصر شطرها الى أصغ بن محمد
ابن فطيس وعهد اليه بهذا الكتاب وأوصاه بالرعية خيرا وبالرفق فـلى
معاملتهم ، وهو مع ذلك لا يترك البحث عن احوال الكورة والكشف عن سيرته
فيها ، وهي من اهم كور الاندلس عليه من ناحية البر والبحر ، وقلده ايضا
جبايتها وبيعائها ، وطالما أنها من اهم الكور الاندلسية على الخليفة من
الناحية الاقتصادية ، فعليه أن يبذل أقصى جهد ممكن في ادارتها بصورة
عادلة ، وأن يبرز فيها كفايته ومقدرته على النحو الذي اختطه له الخليفة
في كتابه .

(١) لم اعثر له على ترجمه .

(٢) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د. الحجي ، ص ٧٧ - ٧٨ .

(٣) الحصري ، الروض ، ص ٢٧٩ - ٢٨٠ ، ابن غالب ، فرحة الانفس ، ص ٢٩٤ .

وهذا الكتاب من الكتب النادرة التي وعلتنا بشأن الإدارة الإقليمية في هذا العهد ، وكيف كان الخليفة يومئذ مهاله ويعهد اليهم عندما يوليهم أي عمالة من العمالات .

وكان الخليفة الحكم كثيرا ما يخرج بعض أهل خدمته الذين ينتدبهم لمطالعة أحوال الكور والكثف من سير العمال فيها فقد بعث بعده الملك بن مندر بن سعيد إلى الكور الغربية وهي شريش ولقنت واشبيلية ولبلاسة وقرمونة ومروور وأستجة وشذونة لمطالعة رعاياها ، وتعرف أحوالهم والكشف من سير أعمالهم فيه . كما كان يبعث أحيانا ببعض القضاة ، للنظر في الشكاوى المرفوعة قد بعض الولاة كما فعل مع أهل جيان .

وأرسل الوزير صاحب المظالم عبد الرحمن بن موسى بن حدير إلى أشبيلية ليوقف على حقيقة شكاوهم ضد واليهم المعزول ليقلعه مع المتظلمين منهم ، ويبحثن عليه ما نسبوه من مظالمهم ، فينتصف منهم ، ومن استعدوا عليه من حاشيته وخدمته .

وكان أهل الكور والثغور يأتون بأنفسهم أحيانا إلى العاصمة قرطبة لتقديم تقرير عن سيرة أعمالهم ليقيم في رجب من سنة ٣٦٢ هـ / ٩٧٢ م ، عرض للخليفة الحكم المستنصر في طريقه بالمصارة أسفل قرطبة وفد ركب يريد الزهراء جمع كثير من أهل ثغر لازمة ، فامية الثغر الأعلى وذواتها ، نحو من ثلاثمائة راكب ، مبتهلين بالدعاء له ، وأملين ذلك بشكر واليهم ، والثناء عليه ، فتوقف عليهم ، وأمر بادنائهم إليه ، فترجل وجوهم وقدمهم الحجاب إليه ، وأمر باستنطاقهم رجلا رجلا على رمل من استيفاء أجوبتهم ، فلم يختلفوا

(١) هو عبد الملك بن مندر بن سعيد بن عبد الله بن عبد الرحمن . يكنى : أبا مروان . كان مولده سنة ثمان ومشرين وثلاثمائة ، وولاه سنة ثمان وستين وثلاثمائة . ابن القرض ، تاريخ علماء الأندلس ، ترجمة رقم (٨٢١) ، ج ١ ، ص ٤٦٦ .

(٢) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د. الحجي ، ص ١٠٠ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٠٠ .

(٤) هو عبد الرحمن بن محمد بن موسى بن حدير . يكنى : أبا المطرف ، وكان دييما خيرا - توفي سنة ثمان وستين وثلاثمائة . ابن القرض ، تاريخ علماء الأندلس ، ترجمة رقم (٧٩٨) ، ج ١ ، ص ٤٥٠ .

(٥) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ٨٦ .

في ذكر حسن سيرته ، وجميل نظره ، وفائى معدته ، قسربما أوردوه ، وأعلن
حمد الله عليه ، وأمرُوا بالانصراف .^(١)

ومن ذلك يتضح لنا أن الخليفة الحكم المستنصر كان حريصا كل الحرص
على متابعة ولاته ، ومعرفة مايجرى في هذه المناطق ، فكان يبعث بعماله
لمراقبة ومتابعة سير هؤلاء الولاة ، والنظر في الشكاوى المقدمة فدهم
كما كان يستقبل بنفسه وجوه اهل المدن والثغور لسمع منهم رأيهم في
ولاتهم كما حدث مع اهل ثغر لردة .

وكان الحكم يحرس على اخطار وجوه اهل الكور المجنده لتشهد مراسم
استقبال بعض الوفود الخارجية الواقعة على بلاطه . ففي سنة ٥٣٦٤ هـ / ٩٧٤م
قدم الوزير القائد الأعلى غالب بن عبد الرحمن من العدو ، ومعه بنو
ادريس الحسنيون القرشيون ملوك الغرب ، الذي استنزلوا من معاليهم ، ولد
استقبلوا استقبالا فخما ، وظهر مراسم استقبالهم وجوه اهل الكور المجدين^(٢)

ويلاحظ أن كل الكور المجنده قد شاركت في هذا الاستقبال ، كما شاركت
كور من الموطة والمشرق والمغرب . ويبدو أن الحكم المستنصر كان يهدف
من وراء اشراك وجوه اهل هذه الكور في هذا الاستقبال الى اظهار مظنة
الخلافة ، امام الوفود القادمة عليه من العدو ، ويظهرهم أن الاندلس كلها
تحت طامته موطة وشرقا وغربا ، بدليل أن كل منطقة قد بعثت بممثلين لها
 للمشاركة في استقبالهم .

(١) المعتمد نفسه ، ص ١٥١ - ١٥٢ .

(٢) وهم جند دمشق وهم اهل كورة البيرة وامعاليها من غرناطة وشباط
وشبلين وبيجة ودلاية وياغة والقنذاق ولوشة ويحصب ، ثم جند حمص وهم
اهل كورة اشبيلية ولبلبة ، ثم جند الاردن وهم اهل كورة ربة وتوصل
بومولهم اهل كورة قبرة وبيانة وبللى ، ثم جند فلسطين وهم اهل كورة
شدونه والجزيرة ثم جند قنسرين وهم اهل كورة جيان وأبدى وبياسمه
وبسطة ، ثم جند مصر وهم اهل تدمير وبلنسية وحضر معهم اهل مـوررد
وقرمونه ، ثم توصل اهل أستجة وتاكرنا وأشونه ثم اهل باجة وأكشونة
ثم اهل بطليوس ويابره واهل ماردة ومايلها ، ثم اهل ظليطة وقلعة =